



Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



A 55

جَامِعَةُ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الْأَزْهَرُ الْقَاهِرَةُ

العالم العربي مقالات ونحوه

في بعض شئون السياسة والمالية

الكتاب الأول

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م



جامعة الدول العربية

الأمانة العامة

مجمع تحريات الأمانة الثقافية
بجامعة الدول العربية

العالم العربي مقالات ونحوها

في بعض مشواره السياسية والعلمية

الكتاب الأول

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٦٨ - ١٩٤٩ م

956
L4745
v.1

فهرس

صفحة

المقدمة :

للدكتور أحمد أمين بك - مدير الإدارة الثقافية ٥
مستقبل العالم العربي في السياسة الدولية :

للدكتور محمود عزى بك ١
الأخطار العسكرية التي تواجه العالم العربي :

للعهد طه الهاشمى باشا ٩
الاستثمار الأوروبى للعالم الشرقى :

لعالى الأمير مصطفى الشهابى ١٧
كفاح العرب السياسى ضد الصهيونية :

للدكتور محمد عوض محمد بك ٢٨
الكفاح الاقتصادى العربى ضد الصهيونية :

للأستاذ برهان راعب الدجاني ٤١
المغرب العربى :

للدكتور حسين مؤنس ٥١
سياسة أسبانيا في المغرب العربى :

للأستاذ محمد أحمد بن عبود ٧٢
الحركات الاستقلالية في المغرب العربى :

للأستاذ علاء الفاسى ٨٢
ماذا ينبغي أن يكون موقف العالم العربى إزاء الفلسفة العربية والفلسفة الغربية :

للدكتور جميل صليبا ٩٤

هل يمكن وضع خطة مشتركة للعالم العربي في ترجمة أمهات الكتب العربية في العلوم والآداب :

للدكتور جواد علي ١٠٤

المصطلحات العلمية والخطة التي ينبغي أن يسير عليها العالم العربي في ترميها :

للدكتور داود الجلي ١١١

التعاون الأخرى بين البلاد العربية :

للدكتور زكي محمد حسن ١٢١

اليمين وآثارها :

للدكتور أحمد نخري ١٢٦

مقومات الحضارة العربية :

للدكتور سليمان حزين ١٣٦

الجامعة العربية وأسسها الجغرافية والتاريخية :

للدكتور سليمان حزين ١٤١

حياة المهاجرين العرب في أميركا - ماذا استفادت وماذا تستفيد منهم البلاد العربية :

الأستاذ حبيب إبراهيم كانه ١٥٣

مقدمة

للكنوز أحمد أمين بك

مدير الإدارة الثقافية

كان مما اضطلعت به الإدارة الثقافية لخامسة الدول العربية نشر آراء كبار الكتاب والمفكرين والإحصائيين حول نقصان أي نهم لأقطار العربية ، ولشاكل التي تواجهها في مختلف المواضع ، عسكريه كانت أو اقتصاديه أو سياسية أو اجتماعيه أو ثقافيه

وقد استعنتت الإدارة حول هذه الاشاكل والنقصان كبار الكتاب في العالم العربي ، فتلقت منهم - مشكورين - هذه الاحتمات من مقالات والبحوث التي تقدمها للجمهور العربي في هذا الكتاب ، بعد أن قدمت له خلاصة عن بعضها في محطه الإذاعة المصرية

ولا يهوس أن سبه هما إلى أن بعض هذه مقالات كتبت في ظروف خاصة أثناء حرب فلسطين ، فدعا ذلك إلى أن تكون لها وجهها الخاص الذي ياسب الموقف .

كما سبه إلى أن الإدارة الثقافية قدرب ما يحب عيها من إصاح صدرها لخصرات الكتاب يكتبون ما يرور مع غمام الحربه ، من غير أن يقيدم رأي أو توجههم وجهة خاصة ، وذلك أدعى للافادة والاستفادة .

وترجو الإدارة الثقافية أن تتابع السير في هذا الباب ، وأن يعاينها الكتاب والباحثون سبيجة أبحاثهم حتى يقف العالم العربي على آرائهم في كل مرافقه ومشاكله ، وحتى يؤسس نهضته الحديثه على دعائم علمية متينة .

والله ولي التوفيق

أحمد أمين

مستقبل العالم العربي في السياسة الدولية

للدكتور محمود حمزى بك

المقدّم الاصطلاح هذه السنوات الأخيرة على «أن يعتبر عربياً كل من تكلم العربية وأحس العروبة» دون ارتباط بمختلف نظريات الأصول والأخلاق، فمثل «العالم العربى» لا شبه الحرية وحدها وهي «بلاد العرب» الأممية ولا شبه الحرية مع «الحلال الحبيب» في شمالها مكسفة فلسطين وبيمان وسوريا والعراق وشرق الأردن التي عمرتها من قديم الزمان، على حد رأى علماء الأثر، فمثل سامية ربح إليها من شبه الحرية في موطن فكوت أقوم كنعان وفينيقياً وأشور وسيل وما قام وسطها من جماع، بل ذلك كله وما أشق بفعل انفتح الإسلامى على امتداد شمال الإفرقي في بلادى ولاحق من روح السويس إلى المحيط الأطلنطى ماراً عصر وبرقة وطرابلس ونوس والحرار ومراكش، ووسط القارة خلال بيجرما والصومال وزنجبار، وفي بعض أطراف آسيا بين حرر الملا وأندونيسيا وما إليها من مواطنى

وإن نظره اتقى على هذا «السم العربى» الشامل خلال اعتبارات «السياسة الدولية» لتسجل أول ما تسجل ظاهره «التفاوت» في إمكان بين أحراره التي زاوحت بين الاستقلال انطلق من التعهدات الخاصة بالنسبة لسوريا ولبنان، والاستقلال القيد بالتزامات جمعية بالنسبة للعربية السعودية، وثيقة بالنسبة لمصر والعراق واليمن، ومررت بالنسبة لشرق الأردن، والحماية بالنسبة لشوس ومراكش والكويت والبحرين وعمان ومقط وسائر المحميات التسع، والاستعمار بالنسبة لعدد وييجيريا والصومال وزنجبار، وانضم بالنسبة للحرار وبعض ثور الراب، والدولية بالنسبة لطنجة، والتمثيل في مجال القدر بالنسبة لليبيا وفلسطين والمناطق الأندونيسية.

وكذلك تسجل تلك لظاهرة «الدولية» التي سبى على العالم العربى احتلاف طوائع ذلك التفاوت في الكيان بين أحراره فقد تعددت لدول لأجنبية التي تتصل بهذا الكيان، وموعب وسائل اصطلاحه، وصارت على عدد تلك الدول وسوع هذه الوسائل مصاعفات من شأنها أن تعمل في انطباع فعلا متعددة لأثر ومتنوعه معاً. فالانصال قائم بالعمل بين

أجزاء العالم العربي ودول رتيقيا وفرنسا وإسبانيا وهولندا ، وهو متحضر للقيام بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية بحكم « دور الإشراف العالمي » الذي تود أن تقوم به الدولة « المنتصرة العظمى » ، وهو عمل سمي لعمته من حديد بينها وبين إيطاليا عن طريق الحل الذي تريد الدول العظمى أن تتلصقه لمشكلة « المستعمرات » السابقة ، وبها رقة وطرابلس والصومال ، وهو عمل اقتحام من ناحية الاتحاد السوفيتي خلال محاولات اسماحة في تنظيم شئون فلسطين . ولكل من تلك الدول حيمها آمهات ومصاح خاصة قد يتقارب معها ومنصها الآخر حيناً وقد يقامران مبادات حياً آخر فيعمل التقارب ويعمل التناحر أفعالا متناقضة وغير متسجمة في الكيس العربي وفي علاقات العالم العربي بمسائر عوالم السياسة الدولية .

وبلى هذا ، فإن لكل واحد من وحدات عالم العربي مشاكلها الدولية الخاصة التي تتميز طلباتها وتتمتع بموقف الدول الأخوية إزاءها ، من الدول العربية دسها متصلة بها فلسوريا المطبقة من ليعود لدولة خاصة مثلاً خلافاً لباقيها ، وبين تركيا على يوء الأسكندرية ، ولها ولليمان خلافاً فيما بينهما وبين عرب حول امعد ومصمية العلاقات المالية المتربة على انقضاء عهد الانتداب ، ولليمن إشكالات مع الحبس حول الحميات ، وللعربية السعودية خلافاً مع شرق الأردن داه على « امة » التي يرعها كل منهما نفسه ، ولصرب تورتها على التخلتزا بسدد الخلا ، عها وبسدد السودان ، وللعراق إلى مشكله معاهدة مع رتيقيا مشكلة إقليم « عربستان » الذي يريد انترعه من إيران ، ومشكلة لأكراد الذين يطالبون باستقلالهم الذاتي على الأكر ، وشرق الأردن مطعمه لسافر حياً والكامل ذلك في تحقيق مشروع اتحاد العراق وسوريا المكررى ، وتونس وحرار ومراش رعتها الاستقلالية ، ومصاعفات المصالح الأمريكية متصلة باقتصادات البلاد وعوقها الاستراتيجية المطلة على المحيط الأطلسي وعلى البحر المتوسط ، وقد رامت الحمرات ولولايات المتحدة ، وقد تكون فرنسا وإسبانيا أصاً في ترص على اعتدوها من حظ « مدح » لأول عن نصف لكره العربية ، أوحط المحكوم منه . ، ولليبيا رعتها إلى الاستقلال ووحده هي لأخرى ، ما يطرأ عليها من مصاعبات اربعة لرتيقاتية في استخلاص رقة للعود الرتاني ، والرعبة الفرنسية في إلحاق « فرا » بالداخل الخرابى ، والتخليل الدولي بالنسبة لمرلس ، هل نوصع تحت وصاء هيئة الأمم المتحدة بحيث يعلب فيها المعود الأمريكى الاقتصادي والاستراتيجى ، أو المعود الإنسانى ، يقسمه المعود الأمريكى أو المعود السوفيتى . وللسلطان أرضها المرصمة ، هل قوه في حرة

مها دولة مستقلة لإسرائيل ، أو يقوم فيها نظام « فدرالى » للمنطقة اليهودية فيه حكم ذاتى
عمر ، أو يكون الحكم فيها حكم الدولة الموحدة لا تعتبر فيها اليهودية إلا ديناً من الأديان
ولا يعتبر معتقوه إلا أقلية من الأقليات لها حقوق سائر الشعب الدسية فى الوطن الديموقراطى
الحديث ، أو تسع وقفها بحيث تمتد إلى شرق الأردن أو تمتد إليها شرق الأردن فتصبح
« فلسطين الكبرى » وتوضع كلها تحت نواح الملك عبد الله الهاشمى . وهما لكن الصغير
الذى يؤول إليه ، فهل يفرد بريطانيا باسعود فيها أو تقاسمها بإيه الولايات المتحدة الأمريكية
أو تستطيع المحاولات السوفيتية أن تحدد لها ثمره بعد خلاها وتصبح للاتحاد السوفيتى هو
الآخر فى ذلك اليهود نصيب .

ذلك هو الوضع الذى يجتبه العام لمرى فى عتاب لحصم الدولى ، ولكنه لا يحتله مستنداً
للأمواج تتدفقه ، بل يحتله مجاهداً فى سبيل شوق طريقه إلى شاطئ السلامة ومهاد
الاستقرار ، ولعل أروع نشاط فى هذا مصر ، إذ هو دليف « جامعة الدول العربية » عيناها
المعقود فى الدنى والمشرين من شهر مارس سنة ١٩٤٥ . فقد قامت بهذا الدليف هيئة من
الدول العربية المستقلة عرسها « وثائق العلاقات بين الدول اشركة فيها وسبق حططها
السياسية تحقيقاً للشعاون بينها وصيانة لاحتلالها وسيادتها والبصر بصفة عامة فى شئون البلاد
العربية ومصلحتها » ، فوحدت بتمامها يوم التكتل الذى ربط بين أحرار « العالم العربى »
كله ، ويوجد بين أسباب نهوضها وأساس احتلال سكان الاثنى منها فى اخطير « الدولية
جيم » هى إرالف من « الدول العربية المستقلة » وحدها فقد ذهبت بأعراضها إلى حد
« النظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصلحتها » جيم ، ولم تكن بصفة من المدة
الثانية من ميثاقها النص على هذا « النظر » الشامل فى عموم ، بل راحب تحصى به ملحقات
معينة من ملاحق ذلك الميثاق في سجلات فيه بصريح العار « الدول اشركة » الجامعة
ستماشر فى مجلسها وفى لحاسها شتواً يعود خبرها وأثرها فى العالم العربى كله « وأن مجلسها
« لا يدرج جهداً لتعرف صاحب البلاد العربية عنه اشركة فيه وبهم أمانها وآمدها ،
ويعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيئه الوسائل السياسية
من أسباب »

وإذا كان الساعون إلى دليف « جامعة الدول العربية » من معسكرى العرب وقادتهم
وحكامهم قد قصدوا أول ما قصدوا ، إلى إقامة هيئة « توصى بين الاتجاهاات » على عرار

« جامعة الدول الأمريكية » تهدف إلى « تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الاقتصادية والمالية ، وشؤون المواصلات والثقافة والصحية ، والشؤون الاجتماعية والصحية » فإن الظروف العالمية التي اكتسب مولد « الجامعة العربية » قد كاث أوسع أفقاً من الظروف التي اكتسب مولد « الجامعة الأمريكية » فدوت على أن سعد من مدى نشاطها وطوعت على أن تزيد من خطوات تطورها في الخطيرة الدولية ذاتها .

فقد وقع على ميثاق « جامعة الدول العربية » في اوف الذي كان يجتمع فيه مؤتمر سان فرانسيسكو لإقرار ميثاق هيئة الأمم المتحدة . فبدأ هذا التوافق إلى زيادة مهمة إلى مهام مجلسها على « مرور وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التي نشأت في استقبال لكفالة الأمن والسلام وتنظيم العلاقات الاقتصادية » وقد نص في ميثاق الأمم المتحدة على قيام « منظمات إقليمية » بمهمة بها بشؤون الأمن والسلام في مناطقها الخاصة ، كما نص على قيام المجلس الاقتصادي والاجتماعي « هيئة من هيئات الأمم المتحدة » تكون به اتصال بمنظمات إقليمية في ميدان الاقتصاد والاجتماع ، كما يكون لمجلس الأمن في ميدان الأمن والسلام ، وشأن تقدير مد ذلك أن مرصحت مؤرخ بعض ملاد العربية للامتثال ، فبدأ التخصيص بينها جميعاً على حر ما يكون ، وصهرت جامعة الدول العربية بأنماط ما يكون من طابع التدعيم ، وظهرت « لسكنة » العربية في اجتماعات « الأمم المتحدة » بأروع ما يكون من مطهر في قصاصات سوريا وأردن ومصر وفلسطين

وكان من جراء ذلك كله أن سارت : الجامعة العربية « في طريق « الوقائع » الدولية إلى أن اشتدت « الأزمة الفلسطينية » فاستدعت التدخل المسلح من جانب دول تلك الجامعة للصرب على أمدى أعصره من الحوار والتأخير ، وإقرار الأمن والسلام في ركن من أركان العالم العربي ، فكان هذا التدخل نوعاً من جامعة الدول العربية إلى نهاية طريق تلك « الوقائع » الدولية ، إذ أصبح عمله « منظمة إقليمية » من منظمات التي نص عليها ميثاق « الأمم المتحدة » ، وإذا أعرف « مجلس الأمن » بكيانه وشخصيتها ، فقد أوفد إليها « مندوبه » لإقرار الهدنة والسعي بوسطتها للوصول إلى حل سلمي لما تهدد الأمن في هذا الركن من أركان العالم ، والاجتماع بلجنة سياسية ولاستماع بين خصامهم من الوسطاء والمتصلين واحترام « استكميت : رابط الوجود والعمل ، وأتمحت « حقيقة » من حقائق انشاء الدولي القرار في هذا الركن

وإذا كانت « فلسطين » التي أسفدت أرمها على الدول العربية بصفة استكمال شرائط « الحقيقة الدولية المقررة » مقترحة واحدة من دول تلك الجامعة بحكم انتمائها في ديل ايثاق « وقد أقر بأن لا وجودها وستلها الدولي من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه » ، وإيه « إذا كانت المظاهر الخارجية لتلك الاستقلال طلب محجوبة لأسباب قاهرة ، فلا يسوع أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة » فإن مجلس الجامعة وأمنها العامة قد استطاع أن يمد من أمن الجامعة إلى حيث يشمل غير أعضائها وغير دولها بالذات فالأصل من الأمن العامة وفرض مثالا بحسب من الوقت والوقت في صدد بلاد المغرب ، ويذهب إلى لجنة المحققين الدولي أو مجلس وزراء الخارجية لأزمة شأن ليبيا ، وكذلك فإن اتفاقية حليمة براكشيه وبعض البلاد العربية الجامعة على الحسح العارسي أو المحيط الهندي بمشقة فاعمل ومساهمة في أعمال بعض غير الجامعة ولاسيما الثقافية منها وهذا ودانث يصدين على جامعة الدول العربية بوعا من أنواع صفات الأمن والاستقرار في الخطيرة الدولية قصد تحقيق الاعتبارات التي أشير إليها في مسطرة ايثاق من « شيت العلاقات الوثيقة والروابط المتعددة بين الدول العربية ، والمحرص على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها ، ووجيه الجهود إلى ما فيه خير البلاد العربية فاطلة وصالح أحوالها ، وأمين مستقبلها ومحقق أمنها وأمانها ، واستجابة الرأي العربي العام في جميع الأنظار العربية »



والحق أن تلك الصعاب التي ذكرنا ، صفات الأمن والاستقرار في الخطيرة الدولية ، التي أصفيتها بطورات الحوادث على جامعة الدول العربية ، قد فاعلت مع ما كان يحسب في صميم « الآراء العامة » للعالم العربي من مصالح وأهداف ففعلت وعلى هذه « الآراء » ودفعتها إلى التفكير في إقامة صرح عالمي على أسس متينة مستندة إلى اعتبارات لسياسة الدولية الصعبة السليمة

وواقع هذه الاعتبارات هو أن « الأمم المتحدة » من ناحية فاعلة ، وأن قيامها من ناحية أخرى نمتوره صعب تحول دون تذبذبة رسالتها على الوجه الكامل ، والمعروف أن كمال هذه الرسالة إنما هو في توفير « لأمن الجماعي » عن طريق مجلس الأمن انتصاصة عناصره تصامناً أكيداً ، والملاحظ أن هذا التصامم غير متوافر ، بل إن عدم الثقة هو الأصل الذي نبدي أن العلاقات الدولية لا تزال ترجع إليه .

وقد نشأ عن ذلك الواقع الياىى فى ميدان السياسة الدولية أن الاتحاد إنما هو إلى تقابل كتلتين متحد كل واحد منهما فى «كتلة» أكثر عدد من الدول فى حظيرتها استعداداً للتصادم أو درءاً لهذا التصادم ، كما نشأ إحساس عند كثير من الدول «المتوسطة والصغيرة» أنه لا مصلحة لها فى ذلك التقابل ، بل تبين لديها أن مصلحتها الحقيقية فى ألا يقع هذا التقابل الذى قد تكون هى ميدانه وأن تستمد من جانبها للاتقاء أخطاره .

وكانت «جامعة الدول العربية» من أولى مجموعات تلك الدول المتوسطة والصغيرة «التي أحست ذلك الإحساس وتبين ذلك التبين فلم يتردد أميها العام فى أن يواصل التصريح بالتصريح معلماً أن «الجامعة» تود الاحتفاظ بحيادها وسط ذلك التقابل بين الكتلتين ، وأنها إذ تصطرها الظروف إلى الانضمام إلى واحد منهما دون الأخرى فإنها هى مصلحتها وحدها التى تبنى عليها اختيار الماحية التى تنضم إليها حين يقع التصادم وحين تبين المصلحة . وكذلك اعتصمت سوريا واعتصم لبنان معها باصلاهما من عيود المعاهدات الثنائية .

على أن الجامعة العربية تعرف أن الرمس ليس رمن اتحاات سياسية وحسب ، بل إنه لا يزال كذلك رمن نرعم هذه الاتحاات السياسية بالقوات المادية التى يؤثر فيها التكتل على التفرر . فمكرب فى إقامة «حلف عسكري» بين أعضائها ، تقدم باقتراحه رئيس وزارة سوريا من شهور وحادث فلسطين نرعمه نرعمه ونصرح بصورته صراحة . وعمل البشارك فى المهاد والتأخى فى التصحية «لأرواح أرك عمل» «للقصد» على ما كان يشوب بعض الملافات من شوائب توطئة لإلزام ذلك الحلف لمكبرى المتوح لمارحرب الجامعة الدول العربية من حلف سياسى .

وإرر فقيام «كتلة العربية» أمر واقع لا شك فيه ورعما فى التبر على الكتلتين المتقاسمتين فى علم اسياسة الدولية ووجهه أكيد . ونشاء لأفكار أن تحاور هذه الكتلة العربية أقطار من الدول «المتوسطة والصغيرة» أيضاً تحس إحساسها وتبين مصلحتها بالنسبة للمكسبين المتقاسمتين كدبث . فترى هذه الأفكار مايسارها إلى «حقيقة» الدولية الحديثة وهى حقيقة «جامعة الدول العربية» ، وتود بوقت إلى وسيلة من وسائل الارتباط بها ، فترداد جميعها بوه وبممكن منها من التبر والاستقرار فى العالم الدولى المتلاطم . والواقع أن بين العراق وسوريا ولبنان والعربية السعودية وشرق الأردن ولبنان ، وليس عسيراً عسر استحقالة أباب» ، ومن البلى أن يعمد بطقة إلى سائر دول الجامعة العربية على طريق المراق ذاته ، فيشمل مصر وسوريا ولبنان والعربية السعودية وشرق الأردن ولبنان ، وليس عسيراً عسر استحقالة

أن يسوى بين ماسوريا وتركيا من خلاف حول الإسكندرية ، ولا ما بين العراق وإيران من خلاف حول عربستان . وأفغانستان لا تترك فرصة تمر منذ قيام جامعة الدول العربية دون الانصال بها وإظهار جميل عواطفها نحوها . وتركيا وإيران وأفغانستان متفقات في الإحساس بأنها محل منافسة بين « الكتلتين » . وأن طريق الخلاص الوحيد لها جميعاً إنما هو بالوقوف موقف الحيادة المطلقة من الامتتين . وقد ضمرت تركيا وإيران في ذلك بسهم ، إذ حوت تقاليدهما بالارتباط بمحالفتين والاستعانة « بالصدائقتين » مع روسيا من ناحية وأنجلترا والولايات المتحدة من ناحية ثانية .

وهذا يتكيف - في نظري - السند إلى وقائع الحوادث - مستقبل العالم العربي في السياسة الدولية :

منظمة إقليمية تلتف حولها دول الشرق الأوسط تسهر على الأمن والسلام في ركنها من أركان العالم .

عمومة من الدول « المتوسطة والصغيرة » حرصة على الحيادة بين الكتلتين المتقابلتين المتكبرتين صفو العلاقات في العالم .

هيئة حائلة بذلك دون قيام حرب « عالمية » ثالثة ، ولا سيما أن الهدم آتية من حاسها معكزة الحيادة والاعتماد على الالتزامات العالية المسلحة .

وإنه لمستقبل حدير بفجر العروة والعاملين لها جميعاً ، إذ ينفطوى على رسالة من أميل الرسائل تمت في نفوس المشارة روح الإحساس بكيانهم ، ونقف بأشرف الأوساط موقف الحيلولة دون اندلاع حرب يعرف الناس جميعاً أنها إن وقعت فلن تنق في المصودة على أحصر ولا على نابس ، وتمود بالنشرية إلى سل الوهم والاهتمام بالحصارة الحيرة .

أما بعد ، فذلك هو مستقبل العالم العربي في السياسة الدولية على ما ألتحه خلال الأوضاع التي سقتها متصلة بوقائع الأمور فيما أسببه من أفق دول صافية مماؤه ووراحة مرتبانه . لكن تحقيق هذا المستقبل الذي ارتبته رهين مآوصاع أخرى متصلة بوقائع أمور أخرى تبين في أفق العالم العربي ذاته ، ومن شأن قيامها أن تتفاعل عنصر هذا العالم مع عناصر تلك السياسة الدولية وستج تفاعلها بإفاده العالم العربي مما تهيشه له الملابس الدولية .

وإنما أعني بهذه الوقائع الأخرى التي تحب أن تحمل مكاسها في العالم العربي كي يتم التفاعل وتحصل الاستفادة ويحقق المستقبل المرجو ، توافر العلم الصحيح محجريات الشرور الدولية عند

القادة والزعماء أنفسهم ، وصرعة الإحساس بظورات هذه المحربات حتى لا نصيب المرحض
التي تهيمها هذه التطورات ، وأخذ الأمور العمامة بأخذ الذي تستأمله حتى تأخذ البيئات
الدولية العالم العربي بأخذ الذي يميل على تعامل عناصره بعناصر هذه البيئات ، وأخيراً ، بل
عبل هذا كله ، الإقدام في حرم على استكمال شرائط الوجود الحيوى والخلقى ، وما يستلزمه
من كيان اقتصادى واجتماعى وثقافى داخل كل بلد من بلاد العالم العربى .
عندئذ تتكاتف طوائف لأشياء وطوائف الأشخاص على شق الطريق المستقيم مستقبل
مزدهر للعالم العربى فى السياسة الدولية .

محمد هزيمى

الأخطار العسكرية التي تواجه العالم العربي وكيف يتقها

للمعبد طه باشا الرهاشمي

يحدد هذا قبل البحث في هذا الموضوع أن محدده ، ونسج له إطارا لاستعداد البحث لأن الموضوع الذي نعالجه يشبه إلى حد ما الموقف الحربية التي نعالجها رؤساء أركان الخيوش في وقت السلم لتقدير الخطأ التي تسير عليها البلاد في حالة تعرضها لخطر الحرب . فمعالجة وهي تقدر الموقف كما نمر عنه عسكريا تساعد على وضع الخطأ الحربية التي نجرى عوحيها الحركات الحربية في زمن الحرب .

وكان المارشال مولتكه رئيس أركان الجيش البروسي في منتصف القرن الثامن عشر أول من انتبه إلى معالجة المواقف العسكرية ووضع الخطأ الحربية في وقت السلم فافتدى به بعد ذلك رؤساء أركان الخيوش في الدول الأخرى ، وأحدوا بصمون الخطأ الحربية في وقت السلم ويجحورونها كلها اقتضى ذلك تبديل الموقف السياسي والوضع العسكري . ونحن في معامتنا الموضوع يريد أن نسلط إلى حد ما الطريقة المنبعة في وضع الخطأ الحربية ويوضح لنا أما نستطيع بذلك أن نحدد الموضوع .

الموقف السياسي :

لا ريب في أن العالم سائر إلى الحرب ، والحرب لا بد من نشوبها بين المجموعتين العالميتين أي المجموعة الروسية والمجموعة الأنجلوسكسوية ، أو بالأحرى روسيا ومن نعمها من الدول من جهة وأمريكا والمحتمرا من جهة أخرى .

ويوضح لنا أن من أهم أسباب التآزم العالمي الذي أحد يشتد كثيرا هو فقدان التوازن السياسي أو تغيير آخر فقدان وجود دولة عازلة تستطيع ماصها إلى أحد الفريقين انتفاصين أن توقف اندفاعة ونحول دون نشوب الحرب . ولو كانت الحرب انتهت ببقاء ألمانيا محتفظة ببعض قواتها لم بلغت المفاصة بين الفريق الروسي والفريق الأنجلوسكسوي الحد الذي

نشاهد الآن ، لأن مجرد انضمام ألمانيا إلى أحد الفريقين كان يحمل الفريق الثاني يفكر كثيرا قبل الإقدام على الحرب . رد على ذلك أن خروج ألمانيا من الحرب محتفظة ببعض قواتها كان من غير شك يحول دون توسع نفوذ روسيا إلى وسط أوروبا وتغلغل هذا الشكل الخفيف . لا يريد أن يعلم من هو المحي في هذه المسألة . هل الفريق الروسي الذي يزعم أنه يريد أن ينقذ الشعوب المستضعفة من بير الاستعمار ؟ أو الفريق الأنجلوسكسوني الذي يدعي أنه يريد أن ينقذ العالم من أخطار الشيوعية ؟ وإذا ما صدق كلا الفريقين في بعض دعواهما فليس من شك أن في ادعائهما نواحي لا يطمئن إليها النال ، فروسيا مثلا تزعم أن الفريق الأنجلوسكسوني بعد المدة لإقامة الحصار حولها ، ويسعى لتأليب دول العالم ضدها ، لهذا ليس في كل ما تتخذه من تدابير سياسية في شرق أوروبا سوى إبعاد خطر الحرب عن بلادها واتحاد الحليفة للدفاع عنها عند الحاجة ، على حين أما ترى الفريق الأنجلوسكسوني يحذر العالم من السياسة الاعتدائية التي تسلكها روسيا ، ويرى في امتداد نفوذها إلى وسط أوروبا خطرا على الحضارة لأوروبية . أما الذي تتسع سير الحوادث فعلى أن روسيا في مراميها تريد أن تحيئ السبب الذي دفعها منذ قرون إلى التوسع والبرول إلى صغاف الأبحر الحارة ، سواء في الشرق الأوسط أو في الشرق الأقصى . وهناك سبب آخر له خطورته في الحرب والسلم وهو الاحتفاظ بمساح الزيب من جهة والحمول على مساح أخرى من جهة ثانية . أما الفريق الثاني فيحي وراء ادعاءاته الهدف الأصلي من منافسته لروسيا وهو السيطرة دون رول الأسطول الروسي إلى الأبحر الحارة من جهة وإبعاد روسيا عن مساح ريت البرول في الشرق الأوسط من جهة أخرى . ونتم سبب آخر تنحلي بالذهب الاقتصادي الذي يدين به كل من الفريقين ، والواقع أن كلا من المذهبين لا يرى سلامته إلا بالقضاء على المذهب المنافس له . إذن في مثل هذه المسألة المتأصلة ، ولا سبب هذا كان الفريقان انتماسان يتساويان في القوى أو يكاد ، لادم من نشوب حرب بينهما لهذا سبب فقول إن الحرب لادم من وقوعها آحلا أو عاجلا .

دار الحرب

نقصد بتعبير دار الحرب البلاد التي تجري فيها الحرب في حالة نشوبها بين الفريقين الروسي والفريق الأنجلوسكسوني ، وواقع أنه لمن الصعب تحديد دار الحرب في حرب تقع بين روسيا وتوانسها واملترا وأمریکا وتوانسهما بعد أن أصبحت القوات الجوية العامل الأول

في اكتساب مصر ، فليس من ريب في أن العالم بأجمعه سيصبح دارا للحرب في هذه الحرب .
لقد قال تشميرلين رئيس الوزارة البريطانية الأسبق قبل نشوب الحرب الأخيرة إن مهر
الربح حدودا محتلرا . أما الآن في استطاعة السرا آتلي أن يقول إن اليونان والعراق حدود
بريطانيا ، أما ترومان فيوسمه أن يقول إن بلاد الصبي حدود أمريكا . ومع ذلك ما دامت
الحرب لا تنتهي إلا باشتراك القوات الأرضية فلا بد إذن من تحديد دار الحرب في حالة اندلاع
لهيب الحرب .

والحقيقة أنه على الرغم من عدم وجود حدود مشتركة بين روسيا وأمريكا فإن القوات
الروسية والقوات الأنجلوسكسوية ستقف وحدها لوجه في الحرب التي ستندب ، ذلك لأن
الحيلوش الأنجلوسكسوية من جهة والحيلوش الروسية من جهة أخرى ما تزال تحتل ألمانيا ،
حصلا عن أن . محتلرا حليعة لتركيا واليونان ، وأن لا محتلرا عوحد المعاهدات مع بعض الدول
العربية قواعد عسكرية في اشرق الأدنى وما تزال قواتها تحتل قناة السويس ، وهي بحكم
الحلف والمعاهدات ستسرع إلى مجدة تركيا واليونان ، وستستخدم القواعد العسكرية في
العراق وشرق الأردن وقناة السويس . أما أمريكا فستنادا إلى حلفها مع المحتلرا ستسرع
قواتها إلى تركيا واليونان وستستخدم قواتها العسكرية في بلاد العرب . إذن لا بد من احتلال
القوات الأنجلوسكسوية هذه القواعد العسكرية في حالة الحرب ، أما الأفطار العربية التي
لا يحق للقوات الأنجلوسكسوية أن يستعيد من مرافقها العسكرية في وقت السلم كسوريا
ولبنان فلا بد أن يحمر على الوفوف إلى جانب العرب الأنجلوسكسوي شامت أم أب . ولكي
تتم الأسباب لى يضطر الدول العربية إلى أن تصبح بلادها قاعدة للحركات العسكرية
ينبغي لنا أن نشير إلى الأهداف التي تتوخاها كل من الفريقين متخاصمين .

أهداف الحرب :

أصبحت سياسة روسيا بعد الحرب سياسة ترى إلى التوسع من جهة وسط بقودها
في البلاد المجاورة من جهة أخرى ، فقد شارفت روسيا سلاذها بلاد البلقان ، وامتلك
نصف بونونيا ، واحتول على شرق روسيا ، واحتل شمال كوريا ، واقتطعت من هندا
بعض مقاطعاتها ، وهذه الأعمال صممت روسيا بعض أهدافها في التوسع ، وبعرضها النظام
الشيوعي في رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وهنغاريا . ولقد قد بسطت بقودها في شرق أوروبا .
وباحصاءها تشيكوسلوفاكيا على قبول النظام الشيوعي مدت يدها إلى وسط أوروبا ، وعسا عدها

الشيوعيين الصينيين في بلاد الصين بسط سلطانها في شمال الصين . هكذا انحوت روسيا أهدافها في سيطر بمودها على البلاد المحورة لها ، وما تزال ترى إلى اقتطاع الولايات التركية المتاخمة لبلاد القوقاز ، وتأسيس قواعد عسكرية في مناطق التركية ، وتريد أن تسيطر بمودها في إمالة أدريجان الإلية ، وروسيا تسعى على هذه السياسة التوسعية تريد في الوقت ذاته إبعاد مصائب الحرب عن بلادها وأوصول إلى أهدافها ، ولقد استطاعت أن تمنع بلادها عن مصائب الحرب بسط بمودها على بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، واستيلائها على نصف ألمانيا وحدثت حملات لطارات التي ترسل لطارات تقصفه إلى بلادها بعيدة عن حدودها . بيد أن انخيار تركيا وإيران إلى جانب محتلرا واحتلال القوات البريطانية للقواعد العسكرية في العراق وشرق الأردن عرض مصالح المروول في بلاد القوقاز للحظر وعرب مصائب الحرب من بلادها

لهذا تستهدف روسيا في عملياتها الحربية للمود في وجه الزحف الانحوسكسوى في وسط أوروبا من جهة والمحكوم على بلاد تركيا وبلاد إيران من جهة أخرى . وبداءت تحت روسيا في حركاتها الهجومية هذه تكون قد توصلت إلى أهدافها الحربية فامتلاكها المصالح التركية والبرول إلى شواطئ البحر المتوسط .

أما العرب الانحوسكسوى فيدمي به ، لكي يجمع روسيا من تحقيق أهدافها الآخرة الذكر أن يسرع إلى تحدة تركيا واليونان ، ورغم إيران على فتح حدودها للجيوش البريطانية والأمريكية لكي تحول دون توغل روسيا في بلاد إيران ، وفي كلتا الحالتين أى في حالة الإسراع إلى تحدة تركيا وفي حالة دخول الجيوش في بلاد إيران لا بد أن يسمح لبلاد العربية قاعدة لحركات الجيوش الانحوسكسوية ، لأن الجيوش المددورة ستعمل إلى مبيد جميعا وتغر بالاردن والعراق للذهاب إلى إيران ، كما أن الجيوش التي تصارع إلى تحدة تركيا تعمل بعضها إلى بيروت وطرابلس الشام وعمر طلسار وسوريا وهكذا يتضح لنا أن البلاد العربية ستتحرف إلى الحرب بمرور الجيوش البريطانية من شرق الأردن والعراق ، واستهدافها للقواعد العسكرية فيها بحكم الماهدات ، واتحاد لبنان وسوريا قاعدة لحركاتها بالحجة والإفهام أو باخر والإكرام . رد على ذلك أن البلاد العربية ستصير قواعد صالحة للطيران ، إذ أن أسراب الطائرات ستعمل إلى مطاراتها سواء في سوريا أو في العراق أو شرق الأردن ، وتحمل القنابل إلى بلاد روسيا ، كما أن صد الزحف الروسي في إيران يضطر القوات الانحوسكسوية إلى حشد القوات فيها . أما الجانب الروسي فعلى في إيران هدفا حريباً مختاراً ويسهدف مهاجمتها

تطرد القوات السكسوية منها والاستيلاء على موانع النزول القوية فيها ، وانزول كما علم من أول العناصر في الحرب

إذن لا ممان من أن يوضحه العالم العربي أخطار الحرب في المستقبل ، والعرب أنه يمرض لأخطار لا ناقة له فيها ولا حمل ومن المؤسف أن البلاد العربية بوصفها الزاوية عابرة عن أن تسد عنها أخطار الحرب :

أولاً - لأن جيوشها ضعيفة من حيث التنظيم ، وليس لها معدات كافية ، وليس فيها مصانع ومصانع لتزويد الجيوش وهي معتمدة في هذه الماحية على مساعدته لأجنبي ، وبلاد وصفها العسكري على هذا الشكل لن تستطيع المحافظة على حيادها وقد استطاعت تركيا في الحرب السابقة أن تحافظ على حيادها لأن جيشها كان بدرجة من النعاس ، مما جعل الفرق المتحاربين يحرموا حيادها ، رد على ذلك أن الموقف العسكري العام كان يتعلق من الجانبين بقا ، تركيا عابده لتفكر حبة الحركات ، والعمل في بناء تركيا تحية سعود في الدرجة الأولى ، في قوة حديثها ، لأنه لو كان ضعيفاً لا كسبحه قوات الحلفاء كما اكتسحت إيران ولهاجت القوات الألمانية

ثانياً - وبو يبرز للبلاد العربية جيوش قويه واستطاعت أن تحميها بالصناعات الوطنية لما استطاعت أيضاً أن تمد أخطار الحرب عنها ، دامت هي محرومة من حطة دفاعية مشتركة تفش من حلف عسكري يستند إلى سياسة خارجية موحدة ، فثبات الجامعة العربية الحالى لم يحقق الوحدة لا في السياسة الخارجية ولا في الدفاع

ثالثاً - وإذا تعاضدت البلاد العربية فيما بينها على سياسة خارجية موحدة وحطة دفاع مشتركة ، فلا تستطيع أيضاً أن تمد أخطار الحرب عنها ، دام بعضها قد قدم قواعد عسكرية لأحد المراقبين المتنافسين في بلد ، لأن مجرد وجود هذه القواعد في أحد الأنظار العربية يعرض البلاد العربية الأخرى إلى أخطار الحرب ولا ينيل لأى بلد من البلاد العربية الأخرى أن يحتفظ بحياده وابلد المحاور له قد فتح أبوابه لمرور الجيوش المحاربة وقدم لها القواعد .

وأخيراً إذا سمع العرب الوحدة التي يشهدونها ، وإذا يبرز لهم أن يعطوا جيشاً قوياً معدة ، عدده و استطاعوا أن يحموا هذا الجيش بالصناعات الوطنية ، فإن مجرد بقا جزء من أحرار البلاد العربية حاصلاً ليعود أحد العربتين المتحاضرين باسم حلف أو وصاية أو حماية أو مدد دفاع مشترك أو أى شئ من أسم ، فتتبدل سياسة الخدشة أن تتدعها فإن ذلك جزء من البلاد العربية سوف يدافع لحس الحرب في البلاد العربية أجمع

كيف تنقذ اليهود العربية أخطار الحرب :

والذي بلوح لنا أنه لم المصعب جداً لأنى بلد من بلاد العالم أن يبقى محايداً في حرب معاصرة تكاد تشترك فيها جميع الدول ؛ والذي راه أن تكون للدولة من المنفعة ما يساعدها على تجنب مصائب الحرب جهده الطاقة . والذي يسترعى الانتباه في موقف الدول العربية أنها تكونت بعد الحرب العالمية لأولى بشكل حمل الأحمى يصحح فيها لتتدب السيد ثم أمسى بعد ذلك الحليف الذي تحولت المعاهدة من الاحتلال في زمن السلم ولم يسبق قبل ذلك أن الحليف القوى يترفع من حليفه الضعيف حتى احتلال بلده في السلم ، فهذا التخالف الشاذ الذي ربط دوله صغيره بدولة كبرى ويجررها إلى حرب صروس ، هو الذي يمرض الدول العربية لأخطار حرب لا نافعة لها فيها ولا عمل

فد كيا دولة لا تتجاوز موسها لشرس مليون ، وهي محاولة لأعظم دولة م رحت بحسب الحقح الاعتداء عليها ، ومع ذلك استطاعت بقوة حبشها أن تحمل حلفاءها بحزموسها ولا يقينوسها بقيود الاحتلال في وقت السلم ، مع أنها معصرة تهبط الماشر ، وهي أحو - إلى معاصدتهم لتقف أمام حصنها اعمار ، لا أن معاصها وهب شر ديث من العريب أن يحتل الدول العربية الحقح لترر احتلال ابلد الحليف في وقت السلم ، بينما هي علم أن ضرورات الحرب تقضى بالاحتلال دون الانقياد إلى معاهدة . لقد هاجم ابره ديون واروس بلاد إيران وحملوها فعلا من غير أن يسعدوا في ذلك إلى معاهدة ، ديث لأن ضرورات الحرب سافتهم إلى هد الاعتداء الذي كارهه دمن الاتصال من ابلد وروسيا هذا فاستجدة الدول المجاورة أن تبنى إرادتها على الدول الأخرى لتتحد بها في زمن الحرب وتحتل بلادها حين تقضى ضرورات الحرب ذلك . وكان باستطاعة مصر أن تقف معها من مصائب الحرب لو كان لها جيش قوى ، ولوم تكن 'مختلة' بأحدى الدول المجاورة ، وتحمي إصصيا ليبيا . وينبغي أن ديث لا تتم إلا إذا كانت البلاد العربية الأخرى مستقلة ، الاستقلال ، بيد أن وجود القواات ابرطابية في مصر واحتلال لأحمى للبلاد العربية الأخرى بحجة الوصاية ، وحجة إيطاب لليبيا ، حرف مصر واسلاد العربية لأخرى إلى الحرب ، فأصاها ما أصابها وما زالت تعاني شر هذا المصاب .

وإذا أرادت للبلاد العربية أن تنقذ أخطار الحرب فاعليها إلا أن تتحد اشتداد الآنية :
أولا - تخلص بلادها من الاحتلال الأحمى . وقد سبق أن أشرنا إلى أن احتلال الأحمى

لبلد من البلاد العربية يجعلها هدفاً لأخطار الحرب ، إذ أن الأحسى يحمل ذلك البلد قاعدة الحركة ، وبذلك يحرصه إلى هجوم حصمه في وقت الحرب فتصبح البلاد العربية بأجمعها ساحة حرب .

ثانياً : توحيد السياسة الخارجية في البلاد العربية : ويكون من أهداف هذه السياسة عدم السماح لأية دولة عربية بأن تتعاقد مع الأحسى دون موافقة الدول العربية الأخرى . وبهذا تقسى للدول المذكورة أن سعيهم يعود الأحسى عن بلدها فلا تصح له المجال ليتعاقد مع إحداها بحجة الدفاع أو المساعدة أو غير ذلك

ثالثاً : وضع خطة دفاع مشتركة للجيش العربي . إن توحيد خطة الدفاع لجيوش البلاد العربية ينسب سيطر جيوشها من جهة ، ويجعلها قادرة على الصمود للعدو في وقت الحرب من جهة أخرى ، وبذلك ندسى لها أن تقف في وجه العدو . وإذا ما رأب أن قواتها لا تنكفي للصمود ، فإنها حينئذ تتعاقد مع الحليف العليق لها وسعاون معه للتعلم على العدو

لنس من شك في أن التدابير الثلاثة الآتية بذكر إذا لم تنفذ في البلاد العربية من خطر حرب عالمية لا حيل لأنه دونه أن يبق فيها عاصمة ، فإن التدابير المذكورة تنقذها على الأقل من أضرار الاحتلال في وقت السلم

ونذهي أن توحيد خطط الدفاع يتطلب من الدول العربية أن تسلك سياسة اقتصادية موحدة لتفقد حاجات جيوشها في زمن الحرب ، لأن لجيوش مهم كانت قوتها ، فإنها لم تستطع أن تقوم بنفسها بالمؤن الحربية من مصبوعات بلادها . تكون مصطوره إلى طلب المعونة من الأحسى ، وقد تجرأ هذه المعونة إلى الحرب

فلسطين وريما

وبفرصاً أن البلاد العربية نصب على الاحتلال الأحسى ووحدهت سياساتها الخارجية ، ووضعت خطة دفاع مشتركة بينها ، وقوت جيوشها بحيث أصبحت صمد لكل هجوم وتعمل الدول تحترمها وتخطب ودها فإن هذا وحده لا يكفي لتصبح بلاد العربية تنحى من الأخطار الحربية . مادام في فلسطين دولة يهودية . إن فلسطين النقتة الضعيفة في احبها العربية ، أو تنمير آخر ، الثغرة التي يستطيع المستعمر أن يمد منها إلى البلاد . إن السماح بتأسيس دولة يهودية في فلسطين مهما صغر حجمها معناه تأسيس رأس حرس في بلاد العرب المستعمر . وعنى عن البيان أن الدولة اليهودية لا يمكن أن تقوم إلا بمساعدة الأحسى ، وإذا رفض

الأحشي تأسيس علاقة معها فهي حتماً تمر به طليق ليكون حليقها أو وصيها أو حاميتها . وإذن ، ما دامت فكرة تأسيس دولة يهودية على سفوف البحر المتوسط قائمة فلا بد أن تكون فلسطين ثمره في الخطة العربية . وقد عقد هذه الدولة حملاً مع الدول العربية ، ونشهد بالسير على سياستها الخارجية وتفتح عن عقد أية معاهدة مع الأحشي دون رضا الدول العربية ولكنه لا يبعد أن تصبح البلاد العربية بين عشية وضحاها معرضة لأخطار الحرب لأن الدولة اليهودية فتحت موانئها للقوات الأحشية والواقع أن البلاد العربية كلها تخلفت من الاحتلال الأحشي وقصفت على موانئها في سفوف البحر المتوسط تكون قد أعدت عنها خطر الحرب لأن البحر ذاته ، يُمدُّ خط دفاع لها

ونعطة الصعف الأخرى في الخطة العربية هي ليبيا ، ولقد تعرضت مصر لأخطار الحرب لمجرد وجود قوات أحشية في ليبيا بعد أن فرضت إيطاليا حمايتها عليها لا شك في أن الأحشي يحتل بلاد العرب العربي ، غير أن هذه البلاد ما تزال أكثرها الساحة عربية ، ويتمتع بعضها بنظام حكم لا بد أن يوصلها إلى الاستقلال أما ليبيا فعرضها فدية ودا طلت محمية من قبل الأحشي ، وظن باب المحخرة مفتوحاً في وجهه ، فلا بد أن يصنع عنها سبيل الأحشي فتصبح بلداً أحشياً يعزل البلاد العربية بعضها عن بعض ، وذلك بتقطع الصلات بين الشرق العربي والغرب العربي فصلاً عن أن تقام لأحشي فيها بحر وبلاد الحرب إلى البلاد العربية

طه الرهاشمي

الاستعمار الأوروبي للعالم الشرقى

بالمؤيد مصطفى الشراوى

مقدمة

لاند ، ومن الخصائص في موضوع هذا مقال . نأخذ كلمة موجزة جداً عن ماهية الاستعمار وعملاً بسموه حقوق الاستعمار ، وعن تاريخ الاستعمار على هذه الكرة الأرضية

ماهية الاستعمار (١) :

الاستعمار على شبكة السياسة الحديثة ، استيلاء دولة على قطر من الأقطار ، وإدارة شؤونه ، واستثمار موارده المختلفة ، إما بيد مهاجرين يحلون إليه وقطونه ، وإما بيد سكانه الأصليين ، وبما يشهد التاريخ ومن بذاته الأمور أن الدولة المستعمرة تضمن في هذا العمل لمعسها ولقومها أعظم فائدة تستطيع الحصول عليها

وأداة الاستعمار التسلط وهو تحكم شعب في غيره من الشعوب . وتسلط أنواع أهمها التسلط السياسى ، والتسلط الاقتصادي ، وتسلط النعالي

ووسيلة التسلط : القوة ، أى غزو الأرض المراد استعمارها . واحتلالها عسكرياً ، والقضاء على القوى المخربة فيها ، وحلج سلطاتها ، وإسقاط حكومتها ، وإقامة حكومة من رجال الفاتحين ، ثم استعمال مرفقها في مصلحة هؤلاء الفاتحين في الأمم من الحالات .

والأرض المملوكة على أمورها تسمى مستعمرة . وهي تفقد السيادة الداخلية والخارجية ، وتكون تابعة للفاتحين في جميع أمورها ولا تعرف لساكنها كياناً قومياً ولا بحكومة قومية

(١) في اللسان أعمره السكان واستعمروا به حملة تسميته . وفي الأساس : استعمار افقة عباده في الأرض أى طلب منهم العسائر منها . وفي القاموس حمة اللسان . ولم يرد صاحب القاموس على ما جاء في الألفاظ المذكورة ، وكذلك أصحاب المعجمات الحديثة . ويتضح من ذلك أن مدلول لفظة الاستعمار اليوم لا يختلف كثيراً عن مدلوله القديم . ونحن في الاصطلاح حدث بحمل معنى «استعمار» بمعنى إلى الأرض أو المكان أو لغيره من مالا . يستعمر بكثرة سترية ، أما لو أريد ابتاع عن المعينات حرقاً لوجب أن يقال «استعمر» بكثرة شعبتها في أسسها . . . وقد شاع الاصطلاح الحديث .

ويستمر هذا النوع أشد أنواع التسلط وأفظه ، ولاسيما إذا قُدم المستعمرون عنها حرس يحلّون محل السكان الأصليين ويقرصونهم بسدّ سبل العيش في وجودهم وهالك نوع ثان من التسلط أقلّ مظاعة من الأول سمي الحماية ، في هذا الشكل يُستبقى رئيس البلد المحمي وحكومته لكن المستعمر يقيم إلى جانب تلك الحكومة اشرعية شبه حكومه مسطه يقصر رحاها على مصالح الدولة ، ويحمّلون رئيسها على اتخاذ ما يشاءون من المراسيم ، كما يحلّون الحكومة الشرعية أداة صالحة لتسييد خططهم الاستعمارية .

ومقد الدولة المحمية سيادتها الخارجية وكثيرا ما تفقد سيادتها الداخلية على بعض مصالح الدولة ، كالجنش والأمن العام والنقد والاكوس وغيرها ، مما تنصرف به الدولة الحامية وحدها

وأخف من الحماية الانتداب ، وهو وليد الحرب الكبرى الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) فرض على الشام والعراق وغيرها على ما هو معروف

وأخف منه التعاقد بالمهادن بين دول كبره ودول صغيره مستقلة ، عمد به تكون الثانية محاولة على التعاقد بالإرهاب أو القوة .

مفهوم الاستعمار :

يدعى المستعمرون وبعض اشرعيي الوالين لهم أن للاستعمار حقوقا تحرمه ولهم في هذا الباب كتب تدرس في قسم الدكنوراء ببعض كليات الحقوق . وهذه الحقوى في بطرهم هي :

١ - حق القوة . أى أن يكون لقوى صاحب حق في التسلط على لضعيف ، ولو أدى الأمر إلى إهلاكه لبقاء الأصلح ، وذلك على مذهب بيشه وهوس ومكيافلي وأصروهم من أصحاب فلسفة القوة النافية لمبادئ الأخلاق الإنسانية .

٢ - حق العنصرية : أى حق قوى سلالات من البشر على غيرها من اسلالات ، كالقول بأن الحرمان مفرطهم أصبح من عرهم للتمديد والحكم ، ولدا يحب أن يسودوا العالم ، وهذا على مذهب غوييتو الفرنسي وقيح الأدي وهستون سيوارت تشمرلين الريطاني ومن هم على شا كلهم من أبناء ألس مثل هنر وجماعته ولهمروف أن هذه الفلسفة هاسدة ، لأن الخصائص الحسية والصفات النفسية في الإنسان ليست من اقوابين الطبيعية الثابتة ، بل هي تبديل وتتحول تبعاً للبيئة التي يعيش فيها الإنسان . فهو وصف الزوج في بيئة مماثلة تماماً للى يعيش فيه الحرمان (بدلا من وصفهم في مناطق أفريقية الاستوائية) ، وثققت

المرتين ثقافة واحدة ، وحملت لها شروطاً معاشية واحدة مدة طويلة من الزمن ، لأغريت الزنوج مساوين للتجerman إجمالاً .

٣ - حق الاحتلال الأول : وهو أن تحتل دولة من الدول بلاداً مجهولاً لم يعرف عليه علم من الأعلام ، فتكتسب تلك الدولة حق التصرف بشؤونها ، مثلاً تكتسب المراء حق التصرف بالأرض الموات إذا ما أحيهاها

وهذه النظرية فاسدة ، لأن احتلال بلد ما سياسياً عصباً اثنين وتعد على حقوق أفرادهم وقبائله ولا يجوز حصار الاحتلال حقاً ، لا إذا كان البلد جلياً من السكان ، وهذا شيء ، بدر

٤ - حق الاحتلال بالتعدي وهي دريعة مشهورة يتدبر بها المستعمرون عندما يفتدون معاهدات مع شعوب أو قبائل ضعيفة أو ضالقة ، فينتسفون بها عليهم ، لقاء حمايتهم من عدوان الأعداء ، ولقد ثبتت سلطة رؤسائهم ، وسطيتم شؤون حكوماتهم ، وما إلى ذلك من المعاملات والمستمرون في الحقيقة يتحدون المعاهدات أدوات فمالة لتثبيت سلطتهم الاستعمارية على تلك الشعوب والقبائل .

وتقوم هذه المعاهدات إما على الإكراه أو على المنفعة أو عليهما جميعاً ، وهي لذلك فاسدة .

٥ - حق الاستعمار نتيجة لحرب عادية ، والحرب العادية في نظريهم هي التي تثيرها الدولة الاستعمارية على الشعب الضعيف إذا أصرا أحد أفرادها بأحد دواعيها ، أو مصلحة من مصالحها ، كأن يعتدي على قسملها ، أو على إحدى شعبها ، أو على إحدى شركائنها وأنت ترى أن حق الاستعمار هذا هو حق الدنث على المحل ليس عمر

٦ - حق مرور الزمن : يدكر بعض المشرعين أنه مثلما يجوز للفرد أن يملك الشيء بمرور الزمن ، كذلك يجوز للدولة الاستعمارية (أو للشعب الغالب أو للشعب المتوطن) أن تملك الأرض إذا طال مقامها فيها . وهذه النظرية صحيحة إذا انقضى قرون على احتلال الأرض بلامعارض ولا منازع . فالعرب مثلاً قضت حقها في الأندلس بمرور الزمن ، وكذلك الإنجليز في الولايات المتحدة ، والروم في ديار الشام ، واليهود في فلسطين ، وفرنسا في كندا الخ . أما إذا وثبتت دولة استعمارية على شعب آمن فاحتلت بلاده ، وتسلطت عليه بالقوة ، وقبعت ثرواته بالحديد والنار ، وعكست أوصافه ، بينما هو لا يفتأ يحاهد بشق الوسائل في سبيل استقلاله ، فلا مرور زمن على هذه الحال مهما بطل .

٧ - الاستعمار باسم الرأفة والإحسان . وهو عنوان عجيب لأن تاريخ الاستعمار الحديث

جاء فدمع ونهول ومدح و مدح من وراءه . سموه شعوب ضعيفة وجنودها وفرضها ، فمن
ستوى الاستثمار مع رافة وإحصاء عن صعيد واحد ؟

٨ - حق الاستثمار لأهل المدن وهي ثم غلبه نعتي . الدول الاستعمارية ، وأكبر
دراسة مدع بها لاحتلال مستعمرات وتسلط عسك . والحقيقة أنه من دولة استعمارية
تفتح بلاداً من البلاد بقية تمدن سكانها ، بل فتحة بقية الاستفادة منه ، والفائدة هي عايتها
الأولى والأخيرة . والمدن بآتي عرضاً . وارتقاء ، شمت درجة أو أكثر في سلم المدنية
لا يورى فقد استقلاله وبحكم الأحمى في مقداره

٩ - حق المحنة يرى معظم شرعي الأول بين أن ضرورة ليس خير الاستثمار ،
وأن حق المحنة حق محرم ، وأنه لا يجوز أن يظل كدراً لأرض مدعونه في بلاد يجهل سكانها
ستجراحها والآثارها ، بل تكون البلاد لخدمة المكتظة سكانها في صنت وحداثة
لقلة الوارد في تلك البلاد .

وهذه أمثلة بدو مدعونه بـ نصف المستعمرون ، ولا كتموا بالقوب ، فلم يتعوا انهم
والزرافة و بهيمة امش من شفاء شعوب . استعمار . وفي وسع الدول الاستثمارية استقلال
الراعى الاقتصادية بعدل وحكمه دون أن يحد شعوب الصنعة استقلالها

نصيح من هذه النكته الموحدة في سموه حقوق الاستثمار أنه ليس للاستثمار حقوق
مهما برحرفها الكتاب وطبها من انطوى فالاستثمار على حقيقةه ليس سوى لتسلط
على شعب مسيئ ، وسلبه استقلاله بقية الاستيلاء على ما في بلاده من ثروة ، و بهية تشغيل
أمراده في الخدمة أو الزراعة أو الصناعة لمصلحة المستعمر . وكل ما يقال غير ذلك فهو
وبصليل ، ثما من دولة كبرى تستولى على بقعة من بقاع لأرض ويكون عنها تمدن سكانها
أو الرافة بهم . وأي تمدن أو رافة في دول تناسق إلى التسلط الاستعماري بالحديد والنار ؟

وتصحح أن للشعوب المعنوية على أمرها حق الثورة في سبيل الاستقلال فالأديان
الساوية ولما دى الحسية لا تفر الطغيان ، ولا تسلط شعب على شعب رعماً عن أعنه . وجميعها
تجبر الثورة لدفع الظلم وإزالة حكمهم الخائر . والدولة الاستعمارية بعد الثوار عصاة يستحقون
القتل ما دموا صعباً ، وبعدهم أطلاً ورحل دولة شرعيين ، ذا بجحت ثورتهم وما برح
المستعمر ذنباً مع الضعيف ، وهرماً مع لقوى . وهذه الخلة تمثل أخلاق المدنية الغربية الحديثة
خير تمثيل .

الاستعمار الأوروبي للشرق الشرقي

لقد كانت الدول العربية من قبل ، والدولة العثمانية في أواخرها الأول ، عثرة في طريق الاستثمار الأوربي . ولكن فيما كانت أوربة نهض بهضتها الحديثة المعروفة ، وتسابق إلى استثمار الأرض ، لبنت الدولة العثمانية نفضاً في يومها . وهكذا البلاد العربية التابعة لها ، والبلاد العربية الواقعة في شمال أفريقيا ، مما جعلها جميعاً مطمع أنظار الدول الاستعمارية

وكانوا يسمون الدولة العثمانية الرجل المريض . ولو تمكنت الدول الاستعمارية من الاتفاق على اقتسامها لقضت على استقلالها ونفاستها منذ أواخر القرن الماضي وليس ما سموه « القضية الشرقية » سوى فصل بصادي الدولة العثمانية عنها في أوربة ، ثم الاستيلاء على الأقطار الإسلامية من تلك الدولة ، سواء أكانت عربية أم تركية

وقد تحقق الشئ الأول من هذه السياسة بمساعدة الدول الاستعمارية الكبرى ، فاستقلت اليونان بموجب معاهدة لوندرة المؤرخة في ٢٢ آذار سنة ١٨٢٩ ومعاودة أدرنة المؤرخة في ١٤ أيلول سنة ١٨٢٩ . ثم استقلت ولايات ملداية وولاشية استقلالاً داخلياً ، عقب حرب القرم ، بموجب معاهدة الصلح المؤرخة في ٣٠ آذار سنة ١٨٥٦ ، مما أدى بعدئذ إلى اتحادها واستقلالها التام باسم رومانية . وقد تم ذلك رغم انتصار تركية وحليفتيها إسكندرية وفرنسة على روسية في حرب القرم !

وهكذا الصرب ، فإنها استقلت داخلياً سنة ١٨٢٩ بتأثير روسية ، ثم استقلت استقلالاً تاماً بموجب معاهدة رلين سنة ١٨٧٨ ، وذلك عقب انتصار روسية على تركية في حرب سنة ١٨٧٧ . وقعت معاهدة رلين باستقلال الجبل الأسود نهائياً ، وبحمل بلغاريه إمارة مستقلة داخلياً تابعة لسيادة السلطان نظرياً ولها سلطة على الروملي الشرقية

وفي سنة ١٨٩٦ ثارت حريرة إيريطنش (كريد) على الدولة العثمانية ، وقامت الحرب بين تلك الدولة واليونان بسبب هذه الحريرة فانتهت الحرب الأولى ، ومع هذا تألمت عليها إسكندرية وفرنسة وروسية ورغبتها على الاعتراف باستقلال الحريرة المذكورة داخلياً ثم التحقت باليونان سنة ١٩١٣ عقب حرب البلقان

وبعد خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ صحت خمسة مقاطعتي البوسنة والمهرست إلى أراضيها ، وأعلنت بلغاريه استقلالها التام . وبعد ذلك احتلت إيطاليا رودس وحرار البحر الأبيض . وهكذا لم يسكد بدأ الحرب الكبرى الأولى في صيف سنة ١٩١٤ حتى كان القسم

الأول من القصبة الشرقية قد تحقق ، أي حتى كانت جميع الشعوب النصرانية في البلقان قد استقلت عن تركية استقلالاً تاماً بمعاونة الدول الأوروبية الكبرى ومساعدتها الحكمة .

أما القسم الثاني من القصبة المذكورة أي استيلاء الدول الأوروبية الكبرى على الأنظار الإسلامية من الدولة العثمانية ، فكان قد تحقق منه قسم كبير في شمالي أفريقيا خاصة . فذ سنة ١٨٣٠ احتلت فرنسا الجزائر ، ثم احتلت تونس في سنة ١٨٨١ ، وفي السنة التالية احتلت إسكندرية مصر . وحملت إيطاليا تحت طرابلس العرب وربة في بدء سنة ١٩١٢ ، وعمدت فرنسا في تلك السنة إلى مرا كس فاحتلتها ، وإن تكن حارحة عن نطاق الدولة العثمانية . ومن سنة ١٨٨٨ حتى سنة ١٩٠٣ حصلت ألبانية على مرمات بحبر لها مدة السكة الجديد من إسطنبول إلى بغداد . ولما كان هذا الخط على طريق الهند خفت إسكندرية سنة ١٩٠١ إلى نشر هانتها على الكويت . وكاب هذه الدولة احتلت عدد ، وأعلنت حمايتها للمحميات التسع جنوبية حرية العرب كحرموت والحج والمكلا وغيرها

ولم تقف فرنسا مكتوفة الأيدي ، فصعدت على الدولة الروسية واترعت منها بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٣ بصفة امتيازات ، كد سكة حديد من بيروت إلى دمشق فالليرب في حوران ، وأخرى من دمشق إلى حمص فجاءة حلب فالبيرو (براحك) ، وثالثة بين يافا والقدس ومنها إنشاء ميناء في كل من إسطنبول وبيروت وإزمير .

أما الروسية فما رحلت منذ تقديم حتى يومنا هذا طالب عصيق السمر والدردييل . وفي سنة ١٩١٢ ايفقت فرنسا وإسكندرية اعفا اعترفت فيه الثانية للأولى بنفوذ اقتصادي في سورية ، أي سورية ولسان اليوم . وما إن بدأت وقائع الحرب الكبرى الأولى سنة ١٩١٤ حتى راح الحلفاء (إسكندرية وفرنسا وروسية) يتآمرون على الدولة العثمانية وإيران لاقتسام أراضيها . وقد نشر البلاشفة بعد فضاءهم على القيصرية سنة ١٩١٧ وثائق هذه المؤامرات ، وحلاستها مطالبة روسية بإسطنبول والسمر والدردييل ، ومطالبة فرنسا بسورية وفلسطين وكيليكية ، وادعاء إسكندرية بإدخال انقسم الحموي من إيران ضمن نطاق نفوذها وتأسيس امراطورية عربية إسلامية مستقلة مركزها الحجاز .

ولكن نصارت مصاح تلك الدول ، وقيام الثورة الشيوعية ، وحواف فرنسا من الإمبراطورية العربية ومماضيتها في إدخال سورية ضمنها ، كل ذلك حال دون تحقيق تلك المطالب .

انفصال السمر العربية عن الدولة العثمانية

من المروى أنه بعد سقوط السلطان عبد الحميد واستلام جمعية الاتحاد والترقي زمام الحكم

سارت هذه الجمعية على سياسة ترك العرب وغير العرب شتى الوسائل وما كانت تعرف للعرب نكيان هوى ولا تعرف بالامة العربية من الحكومه ولا في المحاكم ولا في مدارس حيث كانت جميع الدروس تلقى بالتركية .

وعندما شنت حرب بكتري سنة ١٩١٤ احدث هذه جمعية السطة تسليح سياسة ترك العرب بالهوية والمطس واثبت في الامر العربي كغيره في بلاد الاندلس وكان التلغظ بحقوق العرب في الاستقلال الإداري بعد حصاره عصمى حراؤه اقتل

كان أمام العرب خطر تحت اسماء بكتري وحمى ما لإعلاء عن قضايع لأفراد الاتحاديين ريث ينتهي حرب ، وبما انشود عليه في حرب ادور متخافة وساع الحطة الأولى كان مصر أمامه سواء كان المصر لأسيية وحقيقها تركية أم كان مصر للجنة . . ذلك أنه في حالة انتصار لاسية تركية بعد العرب قوميتهم ولصهم في دنا الشام والعراق على الأمل ، نتيجة لصدسة تركية بقوة ، وطر الحجار وثن تحت سدسة بدولة أما في حالة انتصار الحجار فإن هؤلاء الحجار كالبعدا يسدون العرب رعا دولة ممونة ، فمستبدون عليهم ويستعمرون بلادهم اسنم امال بلادهم .

وساع حطة ثمانية أي الثورة على الدولة العثمانية في حزب الحجة له أحد معس : الأولى انه إذا انتصر لاسية تركية ، نصير الشام والعراق يكون إلى ترك ، وإلى استعمار العراق بمهاجري الألمان ، وسبق الحجار وثن دمين بدولة العثمانية . وهو لمصر بعد الذي أثمرت إليه في حالة اساع الحطة الأولى لمكنه إذا انتصر الحجار ، من المحتمل جداً أن يستقل الحجار والنمى عاماً ، وإذا لم يستقل العرب والشام عاماً من ثواب أنه متوفى نكيان سياسي وهوى ، كما يعرف بنة الصدارة رسمية لدولتهما ، وهي حطوة سياسية كبيرة ، إذا قيسن عما كانت أو كما ستكون عليه البلاد العربية ، عندما تطل تحت سيطرة الدولة العثمانية أي لا تعرف هذا نكيان سياسي ، ولا تفل أن تكون في الدولة إلا حرس واحد وثقة واحدة .

ولهذه الأسباب الهامة التي كان يحملها كثير من جوانا مصريين في تلك الأيام ، سبب انفصالهم القديم عن الدولة العثمانية ، قامت الثورة العربية سنة ١٩١٦ في الحجار ، واشترك فيها محبة من رجالات العرب ، وانتهت الحرب المذكورة بانتصار الحجار ، ورحلت العرب استقلال النمى والحجار استقلالاً تاماً ، واستقلال الشام والعراق استقلالاً مشروطاً بالانتداب

أما ديار نجد وسلطة الدولة العربية عليها كانت سلطنة سنية ، فاستمكت استقلالها ، وصعد
الحجاز إليها ، على ما هو معروف .

وكان حظ أشقاء 'سوأ' من غيره ، فقد حموا منه أربع دول ، هي سورية وسنار وشرق
الأردن وفلسطين ، وحظت فرنسا من سورية أربع دولات صدرت استقلالها ، وهي دولات
دمشق وحلب وحماة ودرعا ، أما فلسطين فقد 'تمت' بوعدها ، وتهدق
سبيل من يهودها ، حتى فكر حصتها 'سوأ' المخصوصة ، وأصبح وضعها في قيدة خطر
عليها وهي البلاد العربية المحاذرة .

وحده العراق في سبيل استقلاله ، فاستمر - من ربه - مرد معاهدين ، شابهتهما أصبح
من الأولى ، وهو ما يرجع الحال إليها . وحده سورية لحظت استقلالها الأربع
الذكورة ، في حكومة اتحادية تصممها 'حمية' ، وفي حكومة سورية موحدة . ومثلهم أصبح
بيد الفرنسيين كالحسن وسليمان وأسعد ولأمن إمام ومراغمة انشكاك وإدارس لأحمية
حتى تم خلافتهم عن سورية ، في سنة ١٩٢٥ فتمتحت الدولة من استقلالها .

ومن أمروا أن مصر حدها اتحادها معدها . حرب الكبرى الأولى ، في يوم من
الحماية ، في إعلان الاستقلال الشو . بالتصديق ، في معاهدة سنة ١٩٣٦ ، في استجاب
احتشش العرب ، في قمة السويس ، وهي تسمى 'يوم' ، في تحالف من تلك المعاهدة ، وإلى
إعادة علاقاتها الطبيعية الأخوة بالسودان المصري .

أما شرق الأردن فقد عقد مع 'سكوت' معاهدة صحت استقلاله ، وصممت أنصا معصا
هامة لتلك الدولة فيه . ودخل شرق الأردن في هذه السنة تلك المعاهدة بمعاهدة جديدة أصبح
له من الأولى ، ولكن 'سكوت' نشر في المعاهدة الجديدة 'بصا' صامته أمهات مطروحة
عسكريين في أرض شرق الأردن .

جامعة الدول العربية :

يتضح من هذه الخلاصة الموحدة أن الشعوب العربية حطت خطوات واسعة في سبيل
استقلالها منذ الحرب الكبرى الأولى إلى يومنا هذا ، وأنه ما يرجح أمامها عقبات جمة
لاستكمال هذا الاستقلال في كثير من الأقطار العربية . فهناك قضية فلسطين الهامة ،
وقضية السودان المصري ، وقضية ليبيا ، وقضية حقوق العرب في تونس ومراكش
والجزائر الخ .

وقد دلت تحارب الأتام والسفن ، وتحارب الحرب الكبرى الثانية ، على أن الدول الصغيرة ، أما كانت ، لا تقوم لها قاعة في عمراك الدول الكبرى وتنازعها العود أو السيطرة على العالم . ولهذا أعدم معكرو العرب منذ عدة سنين يتحدثون عن ضرورة إيجاد صلة تربط بعض الدول العربية ببعض . وأندكر أبي كتكت في الخرائد المصرية ، وحاصرت بعصر في هذا الموضوع منذ خمس عشرة سنة . ولكن أوصاع سورية ولبنان اسياسية حامة كانت تحول دون تحقيق هذا الاتصال . فما نعتت المصمماء عقب الحرب الأخيرة تدلت أكبر عقبة ، وحدد دور الشار منا إلى البحث والتشاور في تحقيق هذه الأهمية العاليه ، فكان روتوكول الإسكندرية سنة ١٩٤٤ ، ثم ميثاق جامعة الدول العربية في ٢٢ آذار « مارس » سنة ١٩٤٥ والدول التي اشتركت فيه هي : مصر والراف والمملكة العربية السعودية واليمن وسورية ولبنان وشرق الأردن .

وقد ولدت هذه الجامعة الباركة وعمن في أشد الحاجة إليها . وهي في نصيف الدول لا نمد دولة موحده ولا دولة اتحادية ، بل عصمة دول مستقلة داخلياً وخارجياً ، يصل بعضها ببعض مجلس يباح أمورها المشتركة ، ويتحد مقرانه بإجماع آراء الممثلين للدول تلك العصمة . وليس ذلك المجلس دولة في ذاته . وليس له سيادة على دول العصمة ، ولكنه أداة فعالة لتنسيق جهودها ، ورعاية مصالحها سياسياً وثقافياً واقتصادياً .

وكفي مرور ثلاث سنين على تأليف جامعة الدول العربية لكي يفس الشرق والغرب أثرها الكبير في أداء رسالتها . فقد عملت عملاً مبروراً في تحرير سورية ولبنان ، وما رحلت تعمل في إنقاذ فلسطين من الاستعمار الصهيوني ، وإنقاذ أفريقيا الشمالية من تسلط المستعمرين . وكان لها يد مشكورة في عدول الولايات المتحدة عن مؤازرته قرار تقسيم فلسطين ولو إلى حين ، وبدلت في قضية اليمن لحقت فيها الدماء ، وآذرت كل سميف يشد العدل والحرية كالأندونوسيين والفتناميين .

وبدل ما أملت إليه من أعمال اللحنه السياسية لجامعة دولنا العربية أنها كانت بقطة تجاه الأحداث السياسية . أما لحاسها الأخرى كاللحنه الثقافية واللجنة الاقتصادية ولجنة المواصلات فابرحت في يده عملها ، وأمامها مجال واسع جداً لخدمة الدول العربية خدمات جلي هي اليوم في أشد الحاجة إليها .

المقدمة :

مثل من ظن أن من المستطاع دفع استعمار أوروبا للعالم الشرق بمعير الاتحاد والقوة .

ومن خطئ الرأي الاعتقاد بأن الدول الاستعمارية ، أياً كانت ، قد بدلت نظرتها إلى العالم الشرقى من حيث أساس استثماره . نخطط الاستثمار وحدها هي التي تتبدل ، نبماً للأحداث السياسية ولتطور الشعوب الشرقية ونقدمها في الحضارة . ولا شك أن بعض تلك الدول أرحم أو أعقل من بعض . ولكن المصلحة — لا الحق ولا العدل ولا التقدم ولا الإحسان — هي رائد المستعمرين في كل عمل من أعمالهم . ولهذا وحدها عني الأمم الشرقية كافة وعني الشعوب العربية خاصة أن نتقوى ونشكاه لندره الاستثمار الأوربي . وما دامت بلادهم غنية بالثروات الطبيعية فعين الاستثمار ستظل شاحصة إليها ، لا يقيمها عنها سوى أمسين : الأول تراحم تلك الدول ، والثاني بقطة لأهم الشرقية ومقاومتها الفعالة للاستثمار . ولا يكفى المستعمرون عن تسلطهم الاستثمارى إلا عند ما روى أن مصالحهم أصبحت مهددة ، وأن من الأفضل لهم ترك الشعوب الشرقية تحكم نفسها كما يريد ، ونتمنى بحرية وسلام . وعندئذ يكتفى الدول الاستعمارية بأن تعمل ، رساء تلك الشعوب المقتلة ، على استخراج كنوز أراضيها ، واستثمار حراقتها ، في مأثده الفرقين ، دون ما تسلط ولا استثمار .

كفاح العرب السياسي ضد الصهيونية

للدكتور محمد عوض محمد بك

عندما أخذت أحرار الصهيونية مصر شنوباً ، وسليفاً شهواً ، وحرراً أقرباً
للمصري ، كان سر من لأفكارهم حربية صليبية بحقكم العرب ، بأن يبدل جهدهم ليجلّص
من يرد ذلك بحقكم فكان هدف الأول الذي وجهه إليه جهودهم وحسنه أن يملأ البلاد
العربية حرساً واستعلاءها ، وعلى الرغم من أن مطامعهم لم تلبسها إلا بكنى دينية ،
العرب ، وبخطر السكاس ، وإذ كان الصهيونية آخذة في نهوض ، فإن نظاماً من صهيونية
الحكم العثماني كان في الحقيقة يشهد به لشعوبهم ، بحسب في ذلك يوم ، وفالاع
آثارها ، وكل لحظة في ذلك يوم ، ومعها في حركته ، حربية هو لتجديس
من الحكم العثماني ، وبقية حكومات عربية مستقلة

ولكن هذا السعي إلى الاستقلال ، كان يشهد في نفسه ، من الكفاح ضد الصهيونية
على الحكم العثماني أحد ، يشاء بشر من المستعمرات الصهيونية وتحت هذا المسمى
في عام ١٩٠٥ في ١٨٦١ تم فتح اليهود ، بناء مدرسة اعلمها بقرى من ٥٥٠ ، بقرى رابع
للمستعمرات ارمع ، يشاءها ، وقد نسبت لهذا المرض حملة في بغداد ، يمين عذاب ،
إذ صمد دى ، ويشيد ، واستطاع أن يؤسس سبع مستعمرات ، من عامي ١٨٨٣ و ١٩٠٠ ،
وأكثرها حواراً وحيداً والقدس وبغض هذه المستعمرات ، رد عدد اليهود في فلسطين
من ٢٥٠٠٠ في سنة ١٨٨١ إلى ٨٠٠٠٠ في عام ١٩١٤ .

هؤلاء المهاجرون ، كانوا أقاموا الحياة في فلسطين سواء بسائر سكانها ، من أحدوا
يشنون مدارسهم ويستعملون فيها اللغة العربية ، وكان لهم مثقتهم الخاصة ، وعملهم
التي بدأوا بها ، وبما كهم إلى يحكمون بها ، وكانوا يعفرون من فئة لسكان ، ويعشرون
كانهم دولة وسط الدولة .

هكذا ولدت الصهيونية الفلسطينية تحت ظل ارايه انعمية ، ولم يعمل الدولة شيئاً
لكبح جماحها ، ودفع شرورها ، فلا عجب أن كان بعض الصهيونية حراً ، آمن بعض التسلط

اتركوا الحكم مطلقاً ، وكان محمود حيدر بنى في العراق ليس حراً ، بل أمده لحرب
العربية الأولى هو بده الكفاح العربي ضد الصهيونية
وفي وسعنا أن نضم هذا الكفاح إلى أربع مراحل . الأولى ثورة العربية على الحكم
العربي ، والثانية كفاح الاستقلال الذي أدى الصهيونية وجعلها تحت رعايته ،
والثالثة تحت مظلة لقطر العربية مصر . فمضى من عام ١٩٣٩ إلى تأسيس جامعة
الشرق العربية ، و . حبه أربعة على الكفاح ، نظم بحر على الجامعة وتقيدها ، ومستقبل
كلها من هذه المراحل الأربع شيء من الوصف

١ - الثورة العربية

بولى الشريف حسين على قيادة الحركة العربية من مصر ، وفي مكة أثناء الحرب العربية
الأولى ، ولم يكن الإنجليز أو الأمريكان في مثل هذه الحركة . لأنهم خشوا أن تحول
مهمهم بين تحقيق مآربهم في الشرق العربي . غير أن هزيمة الأولى في العراق ، وسر الحرب
في أوروبا ، أسدا الفرصة لجماعة من مصر عرب من المطامير من أمثال لورنس ، ومن على
شاكته ، فطلبوا من الحكومة البريطانية أن تؤيد ثورة العربية وتشد أزرها . من أجل
ذلك دارت تلك المفاوضات بين الشريف حسين وبين مندوب بريطانيا في مصر الدعو هري
مكاوون ، وقد تبادل فيها الطرفان نحو عشر رسائل . ونظر لأن هذه الرسائل تشتمل على
ركن هام من الكفاح العربي ضد الصهيونية فلا بد لنا أن نورد هنا خلاصتها

كتب الشريف حسين في ١٤ بويه سنة ١٩١٥ سبع أسدوب السامي البريطاني في مصر
بصم الأمة العربية على بين حريتها واستقلالها ، واستمدادها لأن نساهم في تحرير الأقطار
العربية من العدو المشترك ، على شرط أن تعرف الحكومة البريطانية باستقلال البلاد العربية
التي تحت شمالا بخط يبدأ من مرسيا ويمتد إلى أطه وأرما ومردني ، وحريره ابن عمرو إلى حدود
إيران ، وتحد شرقا بالحدود الإيرانية وخليج البصرة . وحبوا بالخيوط الهندية فيما عدا عدن ،
التي نضل على حالها التي كانت عليها ، وعربا بالبحر الأحمر والمحيط المتوسط لغاية مرسيا

رداً على هذا الكتاب أرسل المندوب السامي البريطاني خطاباً في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥
يقول فيه إن قلم أطه ومرسيا ، والأراضي الواقعة غرب دمشق وحمص وحماه وحب
ليست عربية صرفة ، ولذلك يجب أن تسعد من الحدود المذكورة ، أما فيما عداها فإن
الحكومة البريطانية تقبل أن تكون الحدود كما وصفاها الشريف حسين ، وهي مستعدة
لتأييد استقلال العرب داخل تلك الحدود .

وقد قبل الشريف حسين استثناء أطنة وحمصيا ، ولكنه أصر على أن سواحل سوريا الواقعة غرب دمشق وحمص وحماه وحلب ، كلها أقطار عربية صرفة ، وأن من فيها من الصاري لا يقاون في عروبتهم ووطنهم عن المسلمين . وأنه لذلك يصرّ على المطالبة بأن تظل هذه الأقطار حرة ، لا تنجزاً من الوطن العربي .

وقد حاول القديس البريطاني بعد ذلك أن يشرح للشريف حسين أن موضوع تلك الجهات أمر لا تملك بريطانيا أن تف فيه وحدها . لما عرضا فيه من مصالح ، لا بد لبريطانيا من مراعاتها حرصا على بقاء الوحدة بين الدولتين في كفاهما المشترك ، غير أن الشريف أصرّ على موقفه ، وقال إنه يحتفظ بحق العرب في تلك الجهات بعد أن يتم النصر للحلفاء .

لهذه الرسائل شأن كبير في مشكلة فلسطين ، فقد حوت بريطانيا أن تقصر بمصوبها بأن الأقطار الواقعة غرب دمشق تشمل فلسطين ، فكان داعها في هذه النقطة نادي الصعف لأن هذه الرسائل لم نشر بكلمة واحدة إلى فلسطين أو إلى الصهيونيين ولم يحنّ فيها إلا ذكر الجهات التي تزعّم عربها أنها تنهها ، ولا يستطيع بسان عاقل أن يزعم أن مدسة القدس أو نابلس أو طبرية واقعة إلى العرب من دمشق .

لم يكن وعد نفور قد صدر بعد ، أو لاحق صلاته في لأوى ، ولذلك لا يستطيع أن يؤم الشريف حسين أو مستشاريه ، لأنهم لم يصرّوا على بيان أكثر حلاء ووضوحا . وبعد صدور نصريح نفور حول الإنجليز جهدهم أن يحفوه عن العرب ، وأن يهبوا من أمره ، طامعا للحياصة الانتهازية التي تخري عليها إحتظه في أكثر الناس .

وقبل أن يوجه نقداً للناس العرب في هذا الشأن يجدر ما أن يذكر الأمور الآتية :
أولا . كانت الحركة الوطنية العربية في حالة محمر ونوب ، وزيد أن يمس لتحرير البلاد العربية لكي يكون لها بعض العصف في ذلك التحرر .

ثانيا . أن جبة العرب بالسياسة القريبة وما اشتملت عليه من مراوعة كانت فيلة ، وتجارهم مع الإنجليز محدودة .

ثالثا . كانت المشكلة الوحيدة في نظرهم هي مقدم فرنسا في لبار ، وكانوا يرجحون أن التحالف الذي بين إحتظه وفرنسا قليل الخطر .

رابعا . لعل أهم عنصر في الموقف أن العرب كانوا حتى الصن بالإنجليز إلى أمد حد . ولهم اعتروا بمن شاهدوهم حولهم من الذين يقطعون على قضية العرب من أمثال لورنس وهكذا مصى العرب في ثورتهم . وتم للحلفاء النصر بوزارة العرب ثم جاء أوان السلم .

واستقرار الأمور ، ورد الحقوق المصونة إلى أصحابها ، فبدأ العرب بإحاطون بالانتداب البريطاني على العراق ، والعربي على سوريا ولبنان ، والصهيونية في فلسطين

٢ - مكافحة الاستعمار

انتقل إلى المرحلة الثانية من الكفاح العربي ، في فترة تفرقت فيها وحده الملاد العربية ، وأصبح لكل قطر عربي مشكلته الخاصة في مقاومة الاستعمار البريطاني أو الفرنسي .
انصرفت جهود أسائه إلى مكافحة قوى الظلم والظلم في قطرهم الخاص ، وقد اعترف معاهدة فرساي وملحقاتها للأقطار المتخلعة عن انحلال الدولة العثمانية تحتها في الاستقلال ؛ ولكنها فرصت عليها انتداب لا تختلف في حقيقتها ومظهرها عن أفسح أنواع الاستعمار . فثار أساء كل قطر لمكافحة العدوان الذي رل بهم . واستند هذا الخهاد الشرط الأكر من جهودهم .
في هذه الفترة لم يكن بد من أن يقع عبء مكافحة الصهيونية على عاتق أساء فلسطين أنفسهم ، وعلى الرغم من أن جميع الأقطار العربية كانت دائماً تعطف على قضية فلسطين ، وأن كثيراً من قادة الرأي في كل قطر عربي كانوا يشدون أزرها جهده طاقهم ، فإن الظروف التي تقدم وصعها جعلت من المستحيل أن يقوم العالم العربي بمجهود مطم مشترك لمكافحة الصهيونية ، في المصصة عشر عاماً التي أعقبت الحرب العالمية الأولى .

فانصل الأول والأكر في مكافحة الصهيونية في اليهود الأولى من الانتداب ، راجع إلى أهل فلسطين أنفسهم . وقد أدوا بكفاحهم هذا إلى العروبة كلها - لا إلى فلسطين وحدها - أحل الخدمات ، ولا يستطيع المرء أن يملك نفسه من الإغجاب البالغ بالشمع الفلسطيني العربي ، الذي استطاع وحده في هذه السنين الطوال - دون أن يدركه السأم أو الكلال - أن يواجه قوات الشر والظلم الاستعماري الذي بثله البريطانيون ، وعصامات الإحرام والحياة التي تتمثل في الصهيونيين في فلسطين . ومن وراءهم عصامات من الأنصار في أوروبا وأمريكا

كانت وثيقة الانتداب التي وصعها الإنجليز بتحريض الصهيونيين ، ووافقت عليها بعد ذلك هيئة الأمم المتحدة ، وثيقة يادنه التحجير والخور ، لا نكاد نفودها انمانية والعشرون أن تشمل على شيء سوى حقوق الصهيونيين ورفاهيتهم ومخوتهم ، وتحقيق مآربهم وأوطارهم ولم يجر فيها ذكر العرب ، ولم يرد فيها لفظ « عربي » إلا عند الإشارة إلى أن اللغة العربية إحدى اللغات الثلاث الرسمية . أما السكان العرب فلم يدكروا فيها مرة واحدة ، بل اكتفى

في مصر لم يحدّد الاشارة إلى « سكان الآخرين » مسبقاً فصار من الواضح أن الانتداب لم يشأ إلا لحرص واحد وهو إقامة الوطن للصهيوني ، وحاطته بجميع صروب ارباعه والعناية ، التي تكفل به التقدم والعلاج والسيطرة على الملاك وسكانها .
 توألت عرب فلسطين قاموا هذه الحال بالزنى والسكون ، ولم يهتسوا بكمهج الصهيونية والاستعمار ، بل كان هناك شئ في انتشار قوى العنصرية وعدوان انتصاراً كاملاً سريعاً .
 وبسكن عرب فلسطين لم يهتسوا ولم يستقيموا ، بل يهتسوا منذ بدء الانتداب في الثورة على الصنيع الذي يرد عليهم ، واضطروا حكومة الانتداب والصهيونيين لأن يحسبوا مقاومة العرب حساباً ومن مظاهر كفاح العرب الفلسطينيين :
 ١ - الاعتاق في التام من المصالح والمصاري تحت رُحمت الاحتلال الصائغية بين عرب فلسطين ، وأصبح فلسطين في هذا الأمر دولة للأقليات ، بل للصنم الأمريكي .

٢ - مهضة جديدة تدور جميع لوحى الأدبية والفنية ، فقبل مكان فلسطين على إنشاء معهد عربيي الخلد ، وإبها من الحياة العملية والثقافية ، والإلحاح على دولة الانتداب بأن تشأ اندارس العربية ، وأحد روح من أضاء فلسطين يدع إلى لبنان والعراق والشام ومصر ، في طلب العلم .

ومهدت الصحافة العربية في فلسطين مهضة ملحوظة ، بحيث أصبح للعرب في فلسطين صبر يسمع منه الصنم العربي صوت أبناء القطر الشقي ، فيشاطروهم آلامهم وآمالهم .
 وصاحب هذا كله - في الناحية المادية - مهضة اقتصادية عظيمة الخطر . فقبل الرعم من أن العرب لم تأتهم تلك الإمدادات المادية التي كانت ترد إلى الصهيونيين من جميع أنحاء العالم ، أمكنهم أن يحطوا خطوات واسعة سديدة في الزراعة وتجارة والصناعة .

٣ - التنظيم لسياسي على الرعم مما سمعه من أن عرب فلسطين قد انقسموا فرقاً وأحزاباً ، فإن مثل هذه الانقسامات الحزبية أمر لا مفر منه ، وهي من الطاهرات التي تلازم اوعى السياسي في كل قطر من الأقطار . وحسباً أن جميع تلك الأحزاب ليس لها سوى برصع أساسي واحد ، لا يكاد يختلف ، وأنها كلها تسمى إلى تحقيق هدف واحد ، وهو التخلص من خطر الصهيوني والحكم الاستعماري . ومهما قيل في نقد هذه الأحزاب ، فإنها كانت وسيلة لتنظيم الحياة السياسية ، وإنحاد أداء وقياده للحركة القومية وفي إبريل سنة ١٩٣٦ أمكن لهذه الأحزاب أن تتحد وأن يؤلف « اللجنة العربية العليا » ، التي تولت قيادة عرب فلسطين فترة من الزمن ، وقد أعيد تأليفها في الأعوام الأخيرة ، ولا تزال إلى

اليوم تؤدي لقضية فلسطين حدمات خطيرة . ليس أفتها خطرا أنها هى الأداة التى أمكن بواسطتها إتحاد اتصال وثيق بين فلسطين وبين جامعة الدول العربية .

ويدخل فى هذه المنطلقات وإن لم يكن ذا صبغة سياسية صرفة — إنشاء نقابة للعالم العرب ، أمكنها أن تعمل لرفع مستوى العمال ولحمايتهم من حور أحراب العمال الصهيونية ، بل كان لها فوق ذلك نشاط سياسى ملحوظ

٤ الثورة على سلطات الانتداب . لعل أكر مطهر للنشاط السياسى للشعب الفلسطينى العربى هو تلك الثورات التالية التى قام بها منذ بداية الانتداب إلى سنة ١٩٣٩ . ومن الصعب أن يفصل القول هنا فى هذه الثورات ، وما كان لها من الآثار . وليس من الإصراف فى شىء أن نقول إن عرب فلسطين فى العشر عاما التى نلت الحرب العالمية ، رأوا أن آمالهم انحطت على صحرة الشبهوات الاستعمارية ، كانوا فى حالة ثورة دائمة ، وإن كانت ثورتهم قد انحدرت صورة أظهر وأكبر فى بعض الأوقات ، وهذه الثورات لم تهدأ ولم تصعب على معنى الزمن ، بل اردادت حدة وشدة على مر السنين ، حتى صارت فى سنة ١٩٣٦ ثورة عسكرية منسقة ، بقيادة موحدة ، وقوات منظمة .

والعالم الغربى لا يفهم الحق ما لم تؤيده مظاهر القوة . ولذلك اكتسب الشعب الفلسطينى العربى احترام الإنجليز وتقديرهم رغم أنهم . وأمكن فى الوقت نفسه للعالم العربى أن يستيقظ وأن يشنه لما مرصه واحب المرونة من مساعدة فلسطين ومؤازرة سكانها لم يكن هذه الثورات فى أى وقت من الأوقات تنتهى بانتصارات عسكرية للعرب ، ولكنها من غير شك كانت تنتهى فى كل مرة بانتصارات سياسية ظاهرة لقضية العرب . فقد كانت حكومة الانتداب بعد كل ثورة ترسل اللجنة إثر اللجنة ، والبعثة بعد البعثة . لكن « تحقق » فى أساليب « الاضطراب » فكانت هذه اللجان حياء ومن غير استثناء ، تظهر فى تقريرها ما للعرب من حقوق مضمومة ، وما يقرصون له من الظلم بسب نظام الانتداب الصهيونى وعلى الرغم من أن حكومة بريطانيا لم تستطع لوقوعها تحت الضغط الصهيونى — أن تنفذ ما أوصت به تلك اللجان ، فإن هذه التقارير كانت بصراً سياسياً كبيراً للعرب ، ومقياساً واضحاً لمخاحهم فى كفاحهم السياسى ضد الصهيونية

٣ — تأييد الأقطار العربية

تمثل الثورة العربية فى فلسطين عام ١٩٣٦ بداية مرحلة جديدة فى مكافحة الصهيونية ،

لأن بعض الدول العربية أخذت تساهم بمصعب متزايد من العناية والاهتمام بقضية فلسطين .
لم يكن في وسع سوريا ولبنان ، بعد ، أن تشتركا رسمياً في هذا الجهاد الحديدي ، لأن الانتداب
العربي كان لا يزال حائماً على القطرين . ولكن أقطاراً عربية أخرى تتمتع بمصيب وافر من
الاستقلال ، في ظل حكومات عربية صميمة ، استطاعت أن تدخل ميدان الدفاع عن قضية
فلسطين ، وأن ترسل الإرشادات اللازمة لمدوينا السياسيين في بريطانيا ليدنوا جهدهم
في لندن أو غيرها من الموانئ لصرة تلك القضية ؛ وليدفعوا عنها في عصبة الأمم نفسها .
ورأت حكومة إنجلترا ، أنها قد مضت في مصادره الصهيونية إلى أمد مدي ، وأن صوت
العرب في فلسطين أصبح ينعمر عن مشاعر العام العربي كله ، وأن الانتداب وشروطه القديمة
أصبحت نظاماً مستحيل التنفيذ ، ولذلك رأت أن تشرع عهداً جديداً ، ونظاماً جديداً ، يقبضه
العرب واليهود إذا أمكن ، ويشترش في وصمه الحجاب العربي واليهودي من أهل فلسطين ،
ومندوبون عن دولة مصر ، والعراق ، وبلاد العرب لسعودية ، وشرقي الأردن ، وإثين

ودعت الحكومة البريطانية هذه الدول إلى إرسال مندوبينها إلى لندن . فكان ذلك أول
اعتراف صريح من حكومة الانتداب بأن مسألة فلسطين هي قضية العالم العربي كله . وقد
أرسلت الدول العربية مندوبينها لحضور هذا المؤتمر في شهر فبراير ومارس سنة ١٩٣٩ ؛
وكان رئيس وفد مصر سمو الأمير عبد المنعم ، وصمه عن ماهر صا ، ووزير مصر العوض
المدين ، ووزير مصر بالعراق (عزام صا) ، وكان يمثل العراق بوري السعيد صا ، بمذوبه
وزير العراق في لندن ، وقام الأمير فيصل آل سعود بتمثيل دولته ، بمذوبه وزير الملكة
السعودية المفوض في لندن .

وهذا التمثيل القوي للبلاد العربية يربط ملحق اهتمام الأقطار العربية بقضية فلسطين ،
وهذه الظاهرة لم ترد على مر السنين إلا تأكيداً ووضوحاً ، وفي مؤتمر لندن أمكن للحكومة
إنجلترا للمرة الأولى أن تقابل العرب وحياً نوحه في لندن ، وأن يصغي إلى آرائهم ، وأن
يصح مقترحاتهم موضع التقدير .

ولعل حكومة إنجلترا كانت تدرك دائماً أن ما يتعرض له عرب فلسطين من الظلم كان له
آثره السيئ في العالم الإسلامي عامة ، وفي العالم العربي بوجه خاص . ولكنها مصب في سياستها
الصهيونية ولم تحاول أن تحفف من حدتها ، لأن مدخل الدول العربية لم يتحدد صورة قوية
قبل سنة ١٩٣٩ ، ولأن صفط الصهيونيين على حكومة إنجلترا ورماسها كان أشد تأييداً في
سياستها ، وكان كثير من أولى الأمر فيها ممن استطاع الصهيونيون استمالة لهم أو شراء صغارهم

وقد حملنا نقطة التحول في سياسة المحمرة ثورة العرب في فلسطين سنة ١٩٣٦ ؛ ومن الممكن تلخيص الأسباب التي جعلت المحمرة على محاولة تعديل سياستها الفلسطينية في الأمور الآتية :

١ - أن ثورة سنة ١٩٣٦ لم تكن ثورة على الصهيويين وحدهم ، بل على حكومة الانتداب أيضا ، وقد اضطرت المحمرة إلى طلب وحدت من الحش من مصر وقبرص ومالطة ، وإلى بدل مجهود عسكري منظم .

٢ - أصبح العالم العربي شديد الاهتمام بشئون فلسطين ، يرى مصيتها ومصيته ، سواء في هذا شعوب العالم العربي أو حكومه ، وقد رأت المحمرة نفسها أن تستعين رؤساء الدول في مختلف البلاد العربية لكي يدلووا النصح والإرشاد لعرب فلسطين ، حتى يكفوا عن أعمال العنف ، فكانت هذه الدعوة عارفاً صريحاً بأن مسألة فلسطين ليست قاصرة على عرب فلسطين .

٣ - الأمر الثالث - ولله أهم العوامل عند الإنحدر - التطور السبيء للحالة الدولية فقد قويت شوكة المحور ، واعتدت إيطاليا على استقلال الحبشة ، فأصبحت بذلك مركز المحمرة في الشرق الأوسط . وأحدث الدعاية العربية تمسح السياسة البريطانية في فلسطين . وإكدهم هو السياسة الدولية ، بحيث بات بمقدور محطو محض ، حتى أصبحت المحمرة تدرك أنها بن كسب شيئا من محاربة العرب وممالأة الصهيويين إلى أقصى حد .

٤ - صار للعرب في ذلك الوقت شعور مجموع في قصة الأمم وفات في وسعهم أن يستخدموا هذا المبرر العالمي للدفاع عن عرونة فلسطين وفي معنى كانت لا تصل إلى المعية سوى الشكاوى التي ترسلها اللجنة العربية العليا ، ومعنى الأفراد والهيئات في فلسطين . أما الآن فقد أصبح بعض الدول العربية أعضاء في عصبة الأمم يدافعون عن قضية فلسطين من داخل الهيئة لا من الخارج .

وهكذا تحولت قضية فلسطين بصورة رسمية . بحيث أصبحت قضية العالم العربي . ولابد هنا أن نشير إلى ناحية أخرى لاهتمام الدول العربية بأمر فلسطين . تلك أن قادة الدول العربية أصبحوا عنصرأ هاما في توحيد كلمة عرب فلسطين ، وإزالة ما بين الأحزاب الفلسطينية من أسباب الخلاف . وقد أوقدت الدول العربية غير مرة بعض سدودها لكي يسعى بين تلك الأحزاب ، ويدعوها إلى الاتحاد والائتلاف . وهذه الجهود كانت نال دائما حظا كبيرا من التوفيق ، وستكون دائما عاملا هاما في توحيد كلمة فلسطين .

وبعد أن شرد كثير من قادة الرأي في فلسطين وسحبوا أو بقوا إلى بلاد بعيدة ، ولم يبق
 بها منهم من تنتف حول جماعات الشعب الفلسطيني ، كانت قضية فلسطين أمانة في عنق الدول
 العربية ، وقد أدت هذه الدول الأمانة في فوه وإخلاص

لم يسفر مؤتمر لندن عن اتفاق برصاه العرب واليهود الصهيونيون . فأصدرت الحكومة
 البريطانية الكتاب الأبيض المعروف في شهر مايو سنة ١٩٣٩ ، وقد رسم هذا الكتاب
 السياسة التي آتت حكومة إنجلترا على نفسها أن تتبعها في فلسطين ، وتشتمل هذه السياسة
 على ثلاثة عناصر رئيسية :

الأول : تحديد مهاجرة اليهود ، بحيث لا يدخل منهم فلسطين بعد ذلك التاريخ سوى
 ٧٥.٠٠٠ مهاجر ، موزعين على خمس سنوات تنتهي في ٣١ مارس سنة ١٩٤٢
 الثاني : منع بيع الأراضي لليهود ، إلى جهات محدودة حول القدس وتل أبيب وحيما
 وبعض جهات أخرى .

ثالثاً : التدرج في نظام الحكم ، بحيث نشأ في فلسطين حكومة موحدة في مدى
 عشرة أعوام

لا شك في أن هذه الوثيقة تمثل تراجعاً كبيراً في السياسة البريطانية ، لأنها المرة الأولى
 استطاعت أن تعلن أن اليهود لن يسمح لهم بأن يكونوا أكثر من ثلث سكان فلسطين ،
 وأن معظم الأراضي يجب أن يظل في أيدي ملاكها من العرب
 وبما لا شك فيه أن هذه السياسة تعد نصراً مؤكداً للعرب ، وغلبة من غمرات كفاحهم
 الطويل ، ولو أنها لم تحقق ما كانوا يطالبون به .

وعلى أثر مؤتمر لندن ، عقد مؤتمر عربي في القاهرة ، وعلى الرغم من أنه لم يكن أول
 مؤتمر عربي فلسطيني ، فإنه امتدد بأشمله على ممثلين رسميين لحكومات الدول العربية . وقد
 أسفر هذا المؤتمر عن طائفة من المقترحات العملية لحل قضية فلسطين على أساس عادل وسكن
 حكومة بريطانيا فصب كتابها الأبيض والسياسة التي اشتمل عليها ، وقد أثبتت الحوادث
 أن العرب كانوا أمد نظراً وأصدق سياسة من البريطانيين وأهم نواحي الاختلاف بين
 السياستين أن مشروع القاهرة بقرار الخروج فوراً في إنشاء حكومة وطنية ديمقراطية في
 فلسطين ، وأن يقوم بين هذه الحكومة وبريطانيا تحالف مؤيد بمعاهدة بين الطرفين . ويدعي
 أن إنجلترا وقبت هذا الحل في ذلك الوقت لما حوت على نفسها كل تلك الولايات

والكوارث ، التي انتهت بحروجهما من فلسطين في صورة لا يستطيع أن يصفها بأقل من أن الصهيونيين - وهم صانعو الإبحير - كانوا السب لمانثر في إخراجها منها .

في أثناء الحرب العالمية ساد نوع من الهدوء في فلسطين ، لأن العرب كانوا يراقبون هاهناهم تبعيد بريطانيا للسياسة التي طمها الكتاب الأبيض ، ولأن العرب لم يكونوا معطوفين على دول المحور ، وأشفقوا من أن يحقوا للدولة الناشئة مشاكل معمرها عن منامة الأعمال الحربية . وهذه السياسة - أي أثرها واضحاً في منه تأييد العرب لثورة رشيد الكيلاني عبر أن الصهيونيين لم يهدأوا ولم يستقيموا ، وانغمسوا في أعمال الشعب والعنف في أثناء الحرب ، وكان نشاطهم الإحراشي يرداد أردده مطرداً كلما قربت الحرب من نهايتها . هذا على الرغم من أن بريطانيا كانت تحارب عارس ، وهم يمدو لأكثر اليهود أن نشاطهم السياسي ، فقد انمحه بوجه خاص إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أمكنهم أن يكتسبوا عطف الرئيس روزفلت ، وأن يحرسوا مجلس الشيوخ ومجلس النواب في واشنطن على النظر في اقتراحات خطيرة تؤيد الصهيونيين أشد التأييد

قدمت هذه الاقتراحات في عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ وفي المرة الثانية كان المعروف عن الكونغرس الأمريكي أن يوافق على فتح أبواب فلسطين للمعمر اليهودية من غير قيد ولا شرط ، وأن يتحول فلسطين بعد الحرب إلى دولة يهودية حرة ، وأن تستخدم الولايات المتحدة نفوذها في تحقيق هذا الهدف .

لم يكد هذا الشروع أن يثار في البرلمان الأمريكي ، حتى «دور» الدول العربية جميعاً - ومما الآن سوريا ولبنان - بالاحتجاج الشديد لدى الحكومة الأمريكية ، وكان لهذه الاحتجاجات القوية أثرها . حتى اضطرب الجنرال مارشال رئيس أركان حرب القوات الأمريكية إلى الضغط على البرلمان الأمريكي بأن يمدل عن هذه المقترحات

وفي أوائل عام ١٩٤٥ كان الرئيس روزفلت عائداً من مؤتمر «لايبتا» ماراً بالبحر الأبيض المتوسط ، وقد رست به سفينة بمصر الوقت في بحيرة التماسح بقاء السويس وداره هناك الملك عبد العزيز آل سعود ودار بهما حدث ، احتف فيه قضية فلسطين لمكان الأول وحسبنا أن يذكر هنا ما قاله الرئيس روزفلت رحمه في هذا الصدد ، في رسالته عن رحلته التي أرسلها إلى الكونغرس ، والتي قال فيها إن هذه اللقطات التي قصاها مع الملك عبد العزيز قد غلغته عن مشكبه فلسطين أكثر مما كان يعرف في مدى سموات عديدة ،

ومند عاد الرئيس روزفلت إلى أمريكا ظهر تحول واضح في موقفه من الصهيويين ، فلم يعد يفتح لهم باب الباب الأبيض ، أو يستمع إلى شكائهم ومطالبهم التي لا تنتهي

وبعد عودته الرئيس إلى واشنطن تلقى رسالة طوينة من ملك عبد العزيز ، والراحح أنه كان ينتظر مثل تلك الرسالة وقد شرح فيها الملك العربي قضية فلسطين شرحا وافيا وصحها كل حجة دامعة عرق دعاوى الصهيويين شر محرق ، ولم يفت أن جاءه اريد من الرئيس روزفلت ، بمن أنه لن يحدث أى تحول في حالة فلسطين السياسية ، دون الرجوع إلى رأى العرب واليهود ، وأن حكومة الولايات المتحدة لن تبدأ من تلقاء نفسها باضطالة بإحداث أى تغيير في فلسطين

وقد وجه سائر ماثوث ورؤساء الدول العربية رسائل في نفس المعى والتاريخ إلى رئيس الولايات المتحدة ، وكتب منه ردوداً مشابهة . ولاشك أن وفاة الرئيس بعد ذلك تقيل كاهل حساره كبيرة للعالم العربي وقضية فلسطين ، بعد أن جاهد قادة العرب جهادا صادقا لإفهامه قضية فلسطين على حقيقتها ، ومكنوه من أن يدرك نصيب الصهيويين وطلال دعاتهم

وقد حاول الرئيس ترومان بعد ذلك أن يسكر أن مثل هذه الرسائل قد سودلت وسوت له نفسه أن يزعم أنه يحجر وجود أمثال هذه المكاسات ولكن الدول العربية اضطرتة إلى أن يمدل عن هذا الموقف العرب ، وأن يعرف وجود هذه الرسائل ولا يكن ما يفعله العقل أن يحجل نائب الرئيس عملا خطيرا ، كهذا من أعمال رئيسه ، وكأن يوسع له أن يستوفى من الأمر قبل أن يمدح في رعيه الماعز ، وأن يتخذ موقفا لم يكن له أن يجمع عنه ، وليس في مثل هذا الحادث ما يحفظ رئيس كرامته وشجعه على ثقة به .

٤ - قيام جامعة الدول العربية

لاشك أن قيام ائتلاف سياسي واقتصادي وثقافي عظيم بين الأنظار العربية ، لدى تتمس في جامعة الدول العربية ، كان ولا يزال أكبر أداه لمكافحة لصهيوية وأنصارها ومن يمكن أن تحول إن هذه جامعة الدول العربية قد جاء بعد أن وجد ذلك التدون فعلا ، وبعد أن كانت تلك جامعة قائمة بامعزل ، وإن لم يكن قد أشتت رسميا ، فلم يكن هذا الإشتاء الرسمي سوى عراف للأمر الواقع بدأ هذا لتعاون بصورة قوية منذ سنة ١٩٣٦ ثم أخذ يدعو عواما مطردا وفي أثناء الحرب كان العرب في جميع محافلهم وأديتهم لا يتحدثون

في شيء أكثر من حديثهم عن وحده البلاد العربية ، والصورة التي يجب أن تتخذها تلك الوحدة . وبدأت الدولاب في أثناء عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ، وانتهت بوضع روتوكول الإسكندرية ، موقعا عليه من المدعوين الرسميين لحسن دول عربية ، وهي : لبنان والعراق وسوريا وشرق الأردن ومصر ، في ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ . ثم وضع ايثاق في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ ، ووافقت عليه الدول العربية السافرة الذكر ومعها المملكة العربية السعودية ، كما انضمت إليها بعد قليل مملكة اليمن .

وفي كل من الروتوكول وايثاق أدت الدول العربية عنايتها واهتمامها بقضية فلسطين بقاء في الروتوكول قرار خاص بفلسطين ، ينص على أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية ، وأن حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير إصرار بأسلم والاستقرار في العالم العربي ، ويعمل تأييد الدول العربية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق أمانيهم المشروعة في قضيتهم العادلة

أما الميثاق فقد عني عبارة خاصة بالوضع السياسي لفلسطين ، والوسيلة التي يجب أن تتبع لضمان مساهمة سكانها العرب في أعمال الجامعة العربية . ولقد المرض اشتمل الميثاق على مدح خاص لفلسطين ، ينص على أن استقلالها الدولي من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه وأنه إذا كانت الظاهر الخارجية لذلك الاستقلال طلت بحجوة لأسباب القاهرة ، فلا يسمى أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة . ولذلك رأت الدول الواقعة على ميثاق الجامعة العربية ، أنه بطرا لطروف فلسطين الخاصة ، وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا ، تتولى مجلس الجامعة اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله . كان نصيب الميثاق هذا المدح الخاص لفلسطين أمرا على جانب كبير من الأهمية ، لأنه مكّن عرب فلسطين من الاشتراك الرسمي في مدولات الخدمة والجانها ومؤتمراتها من جهة ، ومن جهة أخرى ساعد على توحيد كلمة الفلسطينيين وتسيق نشاطهم وجهودهم بحيث تتمشى مع الإجراءات والسياسة التي يرسمها مجلس جامعة

ومد تمت الموافقة على الميثاق منصب جامعة الدول العربية في جهودها لمصره فلسطين ، رازدادت هذه الجهود أصداقا مصاعمة . ومن مستحيل أن يحيط بجميع هذه الجهود في هذا مقام المحدود . وعلى الأحص أن معظمها لا يزال ماثلا في أذهان وأمام أعيننا . وحسبنا هنا أن نشير إلى بعض نواحي الهامة كحتاج جامعة الدول العربية . من أجل فلسطين ؛ وليس أهمها توحيد وتسيق العمل في المؤتمرات الدولية عامة ، وفي اجتماعات هيئة الأمم المتحدة بوجه خاص .

كان لوجود جامعة الدول العربية فصل كبير في اعتراف الأمم المتحدة لهذه الدول بأنها مجموعة متصانة تؤلف وحدة إقليمية ذات شأن . وقد ضمن هذا أن تكون للجامعة عصبها في مجلس الأمن . وفي سائر الهيئات واللجان التي يشتمل عليها نظام الأمم المتحدة . وكان لهذا الأمر أعظم الأثر في الدفاع عن قضية فلسطين ، وقد رأينا ذلك في وصوح ، ولا يزال شاهده حتى اليوم ، في الدفاع المجيد الذي يقوم به مندوب سوريا في مجلس الأمن عن شئون فلسطين . والحقيقة أن ممثل سوريا في مجلس الأمن هو ممثل لجامعة الدول العربية كلها .

واشتركت الدول العربية في مؤتمرات في لندن ، في أواخر عام ١٩٤٦ وأوائل عام ١٩٤٧ وبفضل جهودها الموفقة أمكن مكافحة النفوذ الصهيوني الذي كان يسيطر على حرب المال . وأحدث حكومه المال تنظر إلى قضية فلسطين نظرة أقرب إلى الحقيقة . ومن أهم الثمرات التي نشأت من اجتماع لندن ذلك المشروع العربي لحل قضية فلسطين ، الذي يمتار بالحدود والاعتدال ، ولا يستطيع منصف أن ينكر أنه أفضل حل لتلك القضية ، على كثرة ما عرّض فيها من الحلول ، وما أثير حولها من الأراجيف

وقد أمكن لجامعة الدول العربية أن تعي بالدعاية لقضية فلسطين ومساعدة المكتب العربي في إنجلترا وأمريكا على الهوص بأعماله في هذا الميدان الهام ؛ كما أنها استطاعت أن تنظم الوسائل التي تقع لفافطة الصناعات والسلع الصهيونية ، فأرلت بالاقتصاد الصهيوني أهدح الحصار

وبدعى أنه لولا النشاط السياسي الذي اصطلح به جامعة الدول العربية ، لما يصر لها بدل ذلك المجهود الحربي المنظم ، لتحرير فلسطين والقضاء على المصائب الإرهابية فيها . وهو من غير شك أكبر مطهر للتعاون العربي ، بل لعله من أهم مظاهر التعاون في الميدان الدولي كله .

وهكذا يرى أن الكفاح السياسي ضد الصهيونية قد بلغ ذروته بإنشاء جامعة الدول العربية ، وما ترب عليه من توحيد كلتها وتنسيق جهودها

محمد هوضي محمد

الكفاح الاقتصادي ضد الصهيونية

لؤؤستاز برهان راجب الرحاني

حيثما بدأت الصهيونية عروها لفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى كان هذا البلد متأخراً من الوجهة الاقتصادية بأخراً كبيراً فالصناعة كانت في بدء نشوئها ، وكانت طرقها قديمة غير معدية . والمعرفة الفنية اللازمة للصناعة حديثه كانت معدومة بفرس ، كما أن نظام الحكم لم يكن يشجع على نشوء الصناعة أو على التطور الاقتصادي بشكل عام . ولم يكن حال الزراعة أفضل من حال الصناعة ، فقد كانت هي الأخرى متأخرة تستعمل الطرق الساذجة القديمة . وكان يجمع بقدم الزراعة نظام الأعشار والصرائف ، ونظام توزيع الأراضي الذي حصل معظمها في أيدي فئة من الناس يفتقر معظمهم خارج فلسطين . وقد سبب نظام توزيع الأراضي فيها بعد كارثة سياسية بالإضافة إلى استمراره الاقتصادي كما سرى .

وقد كان نفوذ الصهيونية الاقتصادي ساحقاً في يادي الأمر ، فقد نص الانتداب الفلسطيني على وضع البلاد في أحوال اقتصادية وسياسية تساعد على إنشاء الوطن القومي اليهودي ، واستعمل الصهيويون هذا النص استقلالاً تاماً فأصبح جهاز الحكم أداة طيعة تسهل لهم تحقيق مشاريعهم الاقتصادية المختلفة ، ثم استطاعوا أن يوطئوا في فلسطين كميات طائلة من الأموال جمعوا معظمها من أرباب اليهود في مختلف أنحاء العالم ، وأوجدوا مؤسسات مالية تغدي مشاريعهم الاقتصادية على أساس محاري ، وأخرى تصديها على سبيل الخبة والقرع كلاً لاقت الصعوبات . ولم تكن دور اليهود انعرفه الفنية ، فقد جاء معظمهم من بلاد صناعية متقدمة في أوروبا ووصموا حرسهم للقيام بمختلف الشاربع .

وقد استطاع اليهود بفضل هذه الأمور إنشاء نظام اقتصادي واسع في فلسطين ، كلهم رها ، مائة وخمسة وعشرين مليون جنيه . وقد وظف اليهود حوالي خمسة عشر مليوناً من الحسبات في إنشاء عدد كبير من الصاعات المتنوعة ، وأفقوا ما يقارب عشرة ملايين من الحسبات على تنمية زراعة الحبوب ، أما الباقي فوزع بين أنواع الزراعة الأخرى وتكاليف البناء والعمران والمشاريع الإيثائية والتجارية المختلفة .

أما الأهداف التي كان الصهيويون يرمون إلى تحقيقها بالوسائل الاقتصادية فهي ثلاثة :

١ - دعم الحياة اليهودية في فلسطين ، وحمل الطائفة اليهودية فيها قادرة على النمو واستقبال المهاجرين اليهود

٢ - إنشاء صناعة قوية تغطي على الصناعة العربية في فلسطين والبلاد العربية الأخرى إن أمكن ، حتى يمكن بذلك إصناف العرب في فلسطين اقتصادياً وجعلهم قريسة سهلة للعدوان السيامي من جهة ، وتأمين أسواق البلاد العربية للصناعة اليهودية من جهة أخرى .

٣ - إخلاء المزارعين العرب عن أراضيهم وتحويل طبقة الملاكين العرب في فلسطين إلى طئفة عمال حتى تسهل إخلائهم عن فلسطين بوسائل البسط الاقتصادي إذا ماتم تأسيس دولة يهودية .

فهل يحج اليهود في تحقيق أي هدف من هذه الأهداف ؟ أو هل يحج العرب في مقاومتهم لها ؟ إن بطرنا واحدة من الأهداف الصهيونية المتقدمة ، يظهر لنا بخلاء أنها أهداف سياسية قد حمل الاقتصاد أداة لتحقيقها . ولذلك فإن الصهيونيين لم يتفقدوا في سبيل تحقيقها عما تقتضيه المشاريع الاقتصادية عادة من مقياس الزرع والحصاد ، بل مصوا غير عاقلين بأخسائر ، تاركين مستقبل أمر إعادة النظر في تلك المشاريع لوصفها على أسس اقتصادية سليمة ، مثلهم في ذلك كمثل حشيش يريد أن يحتل موقفاً هاماً يسهل عملياته في المستقبل ، ولذلك تراه لا يعبأ بما يصيبه من خسائر في أول مراحل المركة ، مادام يستطيع بعد احتلاله لذلك الموقع أن يشب أقدامه ويغطي على عدوه . وقد مكّن اليهود من القيام بالمشاريع غير السليمة من الوجهة الاقتصادية أموراً : أولها الحماية التجارية العالية التي استطاعوا أن يحصلوا عليها من حكومة فلسطين . والثاني : ذلك السيل الحار من الإعانات التي تدفعها ثغور يهود في العالم والتي مكنتهم من تعطيه خسائر كثير من المشاريع ومن القيام بمرها .

وما الهدف الأول وهو دعم الطائفة اليهودية في فلسطين ونسبتها ، فقد يحج اليهود في تحقيقه إلى حد غير قليل . إلا أن هذا الحجاج لم يكن هيباً ، فقد مرت باليهود فترات من لصيق الاقتصادي أظهرت فساد الأسس التي بنى عليها نظامهم الاقتصادي ، وكادت تعصف بهذا النظام من أساسه . وقد كانت أشد هذه العرات وأفساها افترة الواقعة بين سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٩ أي فترة ثورة العرب في فلسطين . وقد كان للهبوط العم في الحياة الاقتصادية اليهودية فلسطين في تلك الفترة عدة أسباب ، منها فئة دخول المهاجرين نسب الثورة العربية مما أدى إلى تناقص حركة البناء ، وكان أرمون في امائة من الصفقة اليهودية معتمد على حركة البناء حتى ذلك الوقت . ومن الأسباب أيضاً هبوط أسعار المواخ في لأسواق

العالمية ، وكانت صناعة الموانع أحد الأركان الأساسية للحياة الاقتصادية اليهودية . وهناك أسباب أخرى بالطبع مثل سوء المواصلات ومقاطعة العرب وسواها . ولكن هذه المبررات انتهت بإعلان الحرب التي قطعت فلسطين وكثيراً من البلاد العربية المتجاورة عن مصادر الإنتاج الصناعي في العالم ، فأنهر اليهود انفرصة وأحسوا كثيراً من الصعوبات الممتدة وأنشأوا مصانع أخرى ، حيوا منها في فترة الحرب أرباحاً طائلة

والرغم مما يسدو على الاقتصاد الصهيوني من ثبات في الوقت الحاضر فإن امره ، ليلحظ كثيراً من نقاط الضعف القديمة ، ولا بد لهذه النقاط أن تظهر يوماً وتؤثر في حياة اليهود تأثيراً كبيراً . فمن مظاهر الضعف ذلك الدين العظيم الذي يقر به مستعمرات الزراعة حتى لقد قدر دين استعمرات الزراعة لجامعة لمطبعة المصدروات اليهودية وحدها بأربعة عشر مليون جنيه في العام الماضي ، وقد أظهرت حسابات استعمرات اليهودية الزراعية أن أكثر من ثمانين في المائة منها تحصل حصاده نسبة غير قليلة . كما أن الصناعة اليهودية قد عادت إلى شيء من الأرباح منذ نهاية الحرب وعودة الاتصال مع البلاد الصناعية الأجنبية وقد راد في هذا الأرباح مقادير البلاد العربية للصناعات الصهيونية

وقد بذل اليهود جهوداً عظيمة لتصرف مسوحيهم في الأفطار العربية المختلفة ونوسلوا لذلك وسائل مختلفة . فمن ذلك وسيط إغراق الأسواق العربية بمصانع صهيونية رخيصة ، حتى لقد كان الكثير من المنتجات الصهيونية يباع في فلسطين ضمن عني من ثمنه وأسواق الاقتصاد العربية الأخرى ، وقد استعمر عدد لطريقه قبل الحرب عدد شركاء يهودية منها شركة الأنابيب التي استقطعت أن يبيع الأنابيب في سوريا وسما في بقرب من نصف ثمنه في فلسطين وسكنها من ذلك الحانه لكثرة التي فرصها حكومه فلسطين على الأممست لستورد من الخارج . كما توسل اليهود أيضاً وسائل الدعاية ولإعلان بشر مصانعهم في مختلف الأسواق العربية ، وساعدتهم على ذلك أن كثيراً من كبار التجار والبنائين في الأسواق العربية كان من اليهود .

إلا أن جامعة عربية قد وصفت حديثاً هذه المحاولات بقرارها مقطعة لمصانع الصهيونية كما سنرى .

وأخيراً فقد نجح اليهود أيضاً في الاستيلاء على قسم كبير من أراضي فلسطين الزراعية وفي إخلاء العرب عنها وفي حياطة قطعة كبيرة من الملاحين الذين لا يمكنون أرضاً . ويقدر الآن أن ما يملكه يهود من الأراضي الزراعية في فلسطين يبلغ حوالي مليوني

دوم ، من مجموع ثمانية ملايين دوم تصحح للزراعة في فلسطين بأكلها ، أى أن اليهود يملكون ربع الأراضي الزراعية في فلسطين ، إلا أن الأراضي التي يملكونها تفوق الربع بكثير ، فهي أجود أراضي فلسطين وأخصبها ، وكلها تقع في السهول الخصبة بترتها ، والتي يتوفر لها الماء ، إما بواسطة الآبار الارتوازية ، أو الأنهار والحدود ، أو مياه المطر ، وتقع أكثر هذه الأراضي في السهل الساحلي ومرتفعات الجليل والأردن والحوطة ، وهي سهول فلسطين الرئيسية فالواقع إذن أن قيمة الأراضي الزراعية التي يملكها اليهود تزيد على ثلث الأراضي الزراعية في فلسطين

وقد كانت مشكلة الأراضي في فلسطين إحدى المشاكل الحادة التي أدت إلى الاضطرابات والثورات ، ولذلك فقد قام لتحقيقها عدة لجان بريطانية . بعضها تخصص في التحقيق بها وحدها ، وكان أهم تقرير كتب عنها ذلك التقرير الذي كتبه الخبير البريطاني جون هوب سمسون سنة ١٩٣٠ ، فقد أوضح بوضوح أن الأراضي التي بيد العرب قليلة جداً ونقص عن حاجتهم الزراعية بكثير ، ودعا إلى تدارك الأمر بسرعة ، وأظهر أن أكثر من تسعة وعشرين بالمئة من الملاكين العرب لا يملكون أرضاً على الإطلاق ، ولذلك يعتمدون على الأعمال الزراعية الموسمية أو على مساعدة الأقارب ، أو يضطرون إلى اللجوء لعمد ، وسن يكون بدورها مكتظة بالسكان ، فلا يجدون فيها العمل الذي يبحثون عنه . وأوضح التقرير أيضاً أن المزارعين العرب الذين يملكون الأرض لا يملكون منها ما يكفي لسد أودهم ، ولذا يرام عراقيين فلبانيون . ولا بد أن يضطر الكثيرون منهم بسبب ديونهم هذه إلى بيع أراضيهم وأظهرت لجنة أخرى ألفت للتحقيق في أحوال المزارعين العرب وهي لجنة هوبسون كروسي أن معدل دين المزارع العربي يزيد على دخله لمدة سنة كاملة ، وأن معدل ما يملك من الأرض يطلع نصف ما يحتاج . وكثيراً ما توجه اللوم إلى عرب فلسطين واعتبروا مسؤولين عن بيع أراضيهم ، ومستحقين للنتائج المترتبة على هذا البيع . ولكن درس مشكلة الأراضي في فلسطين يظهر لنا بوضوح أن عرب فلسطين لم يبيعوا إلا قليلاً من الأراضي لا يريد في مجموعته على ربع ما يملكه اليهود . فقد كان اليهود يملكون حوالي ٦٥٠ ألف دوم في فلسطين قبل حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ ، وقبل أن تظهر الصهيونية شكلها السافر . ثم اشترى اليهود بعيد تلك الحرب ما يقرب من ٧٠٠ ألف دوم من عدد من الإقطاعيين اللبنانيين والسوريين الذين لم يسكنوا فلسطين في يوم من الأيام ، وكان أكثرهم من العائلات التي لم تعرف الوطنية ولم تكن يهتمها في الحياة سوى الملاذ وتشبه بالأحباب .

وكان انتشار النظام الإقطاعي ، أى ملكيات الأراضي الكبيرة ، أحد العوامل التي مكنت اليهود من شراء صفقات كبيرة من الأرض بإعراء عدد قليل من الناس . أما العلاج الفلسطيني فلم يبع من الأرض إلا مساحات قليلة اضطرت إلى بيعها أحواله المالية الصعبة ، وكان البيع بحري في الغالب إلى سمسار اشتراء اليهود بأموالهم وبيعها السمسار بدوره إلى اليهود . وعا أن حكومة فلسطين مكافئة تسهيل إنشاء الوطن القوي اليهودي ، فإسها لم تعمل شيئاً يستحق الذكر لحماية الفلاح العربي من الدائن والسمسار أو لمحافظة على أرضه . وقد سنت في سنة ١٩٤٠ قانوناً لتنظيم انتقال لأراضي في فلسطين قسمت فيها البلاد إلى ثلاث مناطق - منطقة يمنع فيها بيع الأراضي إلا لعرب فلسطيني - وأخرى يسمح فيها البيع لعبر العرب الفلسطينيين بشرط موافقة السمسار السامي وثالثة يسمح بها لليهود شراء الأراضي . وقد وجد اليهود طرقاً عديدة للاحتيال على هذا القانون ، ولم تعمل الحكومة شيئاً إزاء تلك الطارق ، فاستمر سرب الأراضي إلى اليهود في جميع المناطق

لقد استمرصا فيما تقدم مدى نجاح اليهود في تحقيق الأهداف التي حملوا من الاقتصاد وسيلة لتحقيقها . وهو كما رى نجاح خطير بحيف ، من حيث التقليل من أهميته والخط من شأنه ، ولتم نظرنا الآن إلى الصورة لرى ما فعله لعرب لمكافحة هذه الأهداف عن طريق الاقتصاد

قدما فيما تقدم بأن ما لدى العرب من الوسائل المادية والعمية بقل كثيراً عما لدى اليهود ، ولذلك فإن عرب فلسطين وحدهم لا يستطيعون وسائلهم المادية المحدودة مقاومة تيار قوى حارب كهذا ومع ذلك فإنهم لم يبقفوا مكتوفى الأيدي وحاولوا ، حدهم ، العمل بقليل الذى لديهم

وكان واحد العرب الأول بالطبع أن يقولوا جهارهم الاقتصادى حتى يستطيع الثبات أمام الجهار اليهودي ، وحتى يساعدهم على الصمود السياسى ولئن كات لدى اليهود انبرات المتقدمة فإن لدى عرب ميره على الأقل ، وهى أن أحور المال عندهم أقل بكثير مما هى عند اليهود ، وهذا يحول سكاليف الإنتاج عندهم أقل وقد استطاع العرب أيضاً توسيع صناعاتهم ، فبعد أن كان رأسهم سنة ١٩١٨ لا شجاور مليون حفيه أصبح الآن يقرب حصة ملايين أى أن الصناعة العربية تدع ثلث لصناعة يهودية ، كما استطاع لعرب أيضاً توسيع زراعة .واخ ، وهم الآن يمدكون ما يقرب من ٥٥ في مائة من مواج فلسطين ، ويبيع مجموع ما وطفوه في تلك الزراعة عشرة ملايين حفيه إلا أن الموح قد تآرب كثيراً بسبب عدم تصديرها طول مدة

الحرب ، ولم يصدر جميع ما أنتهت فلسطين من المبالغ منذ سنة ١٩٣٩ إلا في هذا الموسم (١٩٤٧ ٤٨) وقد حلت بمرارعي المبالغ خسائر كثيرة مدة الحرب ، ولئن صحت هذه الزراعة ، ولم تزل تماماً في فلسطين ، فكثير من الفصل يعود إلى القروض التي دفعتها حكومة فلسطين لمرارعي المبالغ خلال مدة الحرب . ولعله يصح القول أنه لو لم يكن لليهود نصف بيارات الرقاع في فلسطين لما دفع الحكومة شيئاً من القروض لمساعدة هذه الزراعة

إلا أن الإجهاد الاقتصادي الأخرى في فلسطين يحتاج إلى دعم قوى من دول الجامعة العربية ، وإلى مساعدة هذه الدول في إنشاء المشاريع لاقتصادها لدى عرب فلسطين ، فثمة الاقتصاد اليهودي السلبية بمقاطعة البضائع الصهيونية لا يمكن . بل يجب دعم هذا المجهود السلي بمجهود إنساني . وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى ، وهي النقطة الوحيدة التي حالف العرب فيها نجاح تام في كفاحهم لاقتصادي ضد الصهيونية . وهي مقاطعة البضائع الصهيونية . فقد قررت الجامعة العربية في جلستها المنعقدة في ٢٨ ذي الحجة ١٣٦٤ هجرية الموافق ١٢ ٣ ٤٥ ، أن تقوم جميع الدول العربية بمقاطعة البضائع الصهيونية ، وأن تمنع استيرادها إلى بلادها ماداماً ما . وقد أصدرت الحكومات العربية فوراً القوانين لتعميد هذا القرار وأعلنت لجنة من الجامعة للإشراف على أعمال المقاطعة . ولا شك أن الدول العربية قد نجحت في تطبيق هذا القرار وقد حاول الصهاينة الاحتيايل على قوانين الدول العربية ، كتحاولتهم الاحتيايل على قوانين حكومة فلسطين بشأن منع بيع الأراضي لليهود ، فأخذوا يرسلون البضائع إلى أقطار عبر عربية أولاً (كقصرص) ثم يصدرونها إلى الأقطار العربية على أنها بضائع عبر صهيونية ، كما حاولوا تهريب هذه البضائع . ولكن هذه المحاولات لم تنل نجاحاً يستحق الذكر لأن الدول العربية اتخذت ما يبرم من الإجراءات لإحباطها من جهة ، ولأن مثل هذه الطرق يريد في تكاليف البضائع الصهيونية فيحصل نصر بها في الأسواق العربية صعباً نظراً لملأها . ثم اتخذت بعض الحكومات العربية إجراءات أخرى لتضييق الخناق على الاقتصاد الصهيوني ، وذلك بمنع تصدير المواد الأولية إلى فلسطين سكيلاً يستعملها اليهود في صناعتهم ، ثم قررت حكومة مصر اتخاذ خطوات أخرى بمنعها مرور البضائع بطريق الترانزيت في مصر سواء كانت داهية إلى الصهيونية أو خارجة منهم .

وقد كان من أثر هذه الإجراءات أن اختفت البضائع الصهيونية من الأسواق العربية . احتفاء تاماً تقريباً ، وزال أمل اليهود في أن يحدوا من الأقطار العربية سوقاً ، وهبطت صادرات فلسطين إلى الأقطار العربية في السنين الأخيرة هبوطاً عظيماً كبيراً . وقد أثر ذلك على

الصناعات اليهودية ، فأصبحت صناعة السيج تماي أزمة حادة وأعلى كثير من مصانع السيج أبوابه ، كما احتفت صناعة الماس تماما ، وارتكأ أكثر الصناعات اليهودية ، وراح اليهود يشنون حملة دعابة واسعة ضد الأفطار العربية ومحاولون التفتيش عن أسواق أخرى في البلدان وتركيب وسواها ، دون نجاح يستحق الذكر . وقد ساعد على هذا الارتكأ المهام أن مصادر الإنتاج الرئيسية في العالم قد أعيد فتحها وأصبح من الممكن استيراد المصانع منها إلى الأسواق العربية . والمصانع التي ينتجها الصهيونيون معجز عن الصمود أمام منافسة حرة مع المصانع الأوروبية والأمريكية نظراً لارتفاع تكاليف الأولى ولعدم جودها إذا ما عيس «لا حرة» . ومن الصعب تقدير أثر المقاطعة العربية في الاقتصاد لصهيوني بقدر ما ذهبنا ، ولكن المعتقد أنه إذا ما أثر العرب على هذه المقاطعة ، فإن أثرها مستصعب تحلاه عظيم في المستقبل وسيكون من نتائج المقاطعة العربية مصاعبة متاعب الاقتصاد الصهيوني وزيادة إرماكة إلا أن في طرق سعيد المقاطعة حلفاء صميعة يحج زيادة الاهتمام بها ونفوتها

ينتقل الآن إلى كفاح العرب لمنع تسرب الأراضي العربية إلى اليهود . سمى أن هذا إن معظم ما اشتراه اليهود من الأراضي كان في سدة ملكا جماعة من الاقطاعيين عبر الفلسطينيين وإن الفلاح الفلسطيني متعلق بأرضه لم سمع لا القبل منها ، وكان يبع لها ناشئا عن شدة حاجته إلى المال وتفرر بعض اخوة به . وقد قام العرب بصراع سياسي قوى للحصول على تشريع لمنع تسرب الأراضي إلى اليهود فأسفر هذا الصراع عن سن قانون سنة ١٩٤٠ سبقت الإشارة إليه

وقد أدرك العرب أيضا أنه إلى جانب الصراع السياسي يجب أن يقوموا بصراع اقتصادي في سبيل تحقيق العدة نفسها ، ومن الواضح أنه مادام سب بيع الأراضي هو الحاجة أو الإغراء ، فيجب على أي مشروع عربي أن يواحه هذين الاحتمالين حتى تتحقق له النجاح ، فترال الحاجة التي قد ندعو إلى بيع الأراضي ، ونشتري الهيئات العربية الأرض التي تعرض للبيع بسب الإغراء . وكانت أول محاولة عربية لإيقاد المزارع العربي من المرائي ونأمن الذين له موائد معقولة هي إنشاء البنك الزراعي العربي سنة ١٩٣٣ ، وقد أشرفت الهيئات الوطنية على تأسيس هذا البنك ، وقام بتمويل العرب بشراء أهمه . إلا أن هذا البنك قد فشل ، وبعد أن عمل سنوات قليلة كبنك زراعي انقلب إلى بنك تجاري عادي سنة ١٩٤٢ وغير اسمه فأصبح يدعى بنك الأمة العربية . وكان أسباب فشله كسث زراعي مائلي .

١ - - يضطر البنوك الزراعية إلى فتح فروع كثيرة ، تحمل تكاليف البنك من نفعة ،

ويريد في كثرة التكاليف أن مجموع الدين انقسم إلى صفقات صغيرة كثيرة العدد
٢ - يصعب التأكد من أن العلاج يستطيع بسديد دينه في المستقبل ، خصوصاً وأنه
لا يمكن مراقبة إعاقته للدين ، فكثيراً ما يفرق العلاج نفسه بالدين ، دون أن يتفق الأموال
المستقرصة في الأعراض الإبتاحية ، بل يتفقها في سبيل استهلاكه ، كقائمة الولائم والأعراس
والحف ، وفي سين عاصمة العبر وما شابه ذلك . ولذا تجد بعد الاستدانة أقل إنتاجاً وأكثراً
مجزاً عن تسديد الدين .

وهذه الأسباب تقف في وجه نجاح أي شك رراعى للعلاج في فلسطين إذا ما أقیم
هذا البنك على أساس تجارى .

ولم يكن حط المحاولة العربية الثانية في كعاج بيع الأراضي لليهود بأحسن من حط
الأولى وكانت هذه المحاولة هي شراء الأراضي العربية المهددة بالمبيع لليهود بأموال تجمع من
العرب عن طريق التبرع . وقد أنشئت لجمع الأموال وشراء الأراضي مؤسسة دعيب (صندوق
الأمة العربية) فنقد الشيء انقيل من الدعاب (الدوم المطاى ألف متر مربع)

إلا أن مئات الألوف من الدولعات التي كان العرب يملكوها تسربت في هذه الأثناء
إلى اليهود دون أن يستطيع صندوق الأمة العربية عمل شيء لإنقاذها . أما سبب فشله فيرجع
إلى أن الأموال التي يجمعها لإنقاذ الأراضي المهددة لانقاس بحال من الأحوال بالأموال التي
يدفعها اليهود في سبيل الحصول عليها ، خصوصاً وأن موارد صندوق الأمة العربية كانت
تأتى من عرب فلسطين وحدهم . فبما يجمع اليهود الأموال من جميع اليهود في مختلف أقطار
العالم . واليهود ، كما نرى ، هم أكثر الناس ثراء في كل قطر ، ولن يستطيع عرب فلسطين بحال
من الأحوال بحارة اليهود في جمع الأموال ، ولذلك فإن الأمان التي يستطيع الهيئات العربية
دفعها تفر كثيراً عما يستطيع اليهود دفعه ، ولا تكفى إلا لجزء من الأراضي المهددة .

وقد قدم للجامعة العربية في سنة ١٩٤٥ مشروع لإنقاذ الأراضي في فلسطين ، يحاول
نحس الصعوبات التي لاقها المشاريع سابقاً وذلك هو « المشروع الإنشائي العربى » ، الذى
قدمه الأستاذ موسى العصى صندوق فلسطين للجامعة العربية جيداً . ويقوم هذا المشروع
على أساس الاعتراف بأن مائتى العرب من اوسائل المادة لا تكفى لشراء الأراضي العربية
المهددة في فلسطين ، كما أن مثل هذا الشراء غير مرغوب فيه لأنه لا يعمل شيئاً للعلاج بل
يحوله من مال إلى أحرار ، ويعترف المشروع أيضاً بسوء حالة العلاج الاقتصادية والاجتماعية ،
ويحاول مداخلة خطر تسرب الأراضي وسوء حال العلاج في آن واحد وتقلل التكاليف

وطريقة المشروع في ذلك أنه يقدم خدمات مجانية الآن للفلاحين ، كزراعة الأشجار وحفر الآبار وتحسين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية بينهم عامة ، مقابل أخذهم عليهم تمهيدا قانونيا ببقاء الأرض في أيديهم فلا يستطيعون بيعها لليهود . أما في الأحوال التي تتعرض فيها الأراضي للبيع بسبب الإغراء ، فيشتري المشروع الإنشائي هذه الأرض على أن يمد يدها لمصارف الفلاحين حالا وبشروط معتدلة تراعى فيها مصالحهم ، مع أخذ التسهيلات القانونية لمنع بيعها المستقل . فيكون من نتيجة هذا المشروع تثبيت الفلاح في أرضه ، وإبقائه مالكا لها ، بل وحمله مالكا حيا لم يكن كذلك من قبل ، وتحسين أحواله في آن واحد والتكاليف اللازمة لإقناع الفلاح بإعطائه سهم قانوني هو في الواقع لمصلحته ، هي تكاليف قليلة ، نقل كثيرا عن التمنع اللازم لشراء الأرض . ثم إن هذا التمهيد يضمن عدم بيع الأرض في المستقبل أمام أي إغراء وقد قدر الأستاذ الديني الالهامي لتحقيق مشروعه في جميع أنحاء فلسطين بحصة ملايين تدفعها الحكومة والتمويل العربي في خمس سنوات ، ويصبح بعدها العرب في مستوى اجتماعي يصارع مستوى الفلاحين في أرق البلدان . وقد قدم للجمعية العربية في الوقت نفسه مشروع آخر وصممه سعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا ، يقوم على أساس إنشاء شركة عقارية رأسمال قدره مليون جنيه ، يضمن الدول العربية أربع أسهمها بمائة مائة مائة ، ويده من الزمن وساهم ربع مليون ليكون احتياطا لها مقابل ضمان أربعين . وتقوم هذه الشركة بوعده من العمل أوها يسر القروض للفلاحين ونأبهم شراء الأراضي واستثمارها ، وهي في الشق الأول من أهدافها تشبه البنك الزراعي العربي وفي الشق الثاني شبه مشروع صندوق الأمة . ثم إن هذه الشركة فوق هذا وذاك ستحاول إجراء أعمالها على أساس تجاري . وقد أقرت الجمعية العربية للمشروعين في آن واحد وترك للدول العربية أن تختار كل منهما ما شاء ، فاختارت الحكومة العراقية المشروع الإنشائي ودفعت للجمعية التي أنشئت في القدس نفقته مبلغ ربع مليون جنيه ، واختارت باقي الحكومات العربية مشروع الشركة العقارية ودفعت كل منها فسطحا من احتياطها ، وقد دعت حكومة العراق أيضا حصتها من احتياط الشركة ، بالإضافة إلى ما دفعت له المشروع الإنشائي وقد لاقى المشروع الإنشائي صعوبات سياسية عظيمة . كما أن الأموال المدفوعة له لا تؤمن قيامه . ثم إنه الرئاسة اعطى التي كان المشروع يهدف إليها بالأسفل . ومع ذلك فقد كانت تعد العدة للبدء بأعماله حينما تاحته لاصطافات الحماية فتوقف العمل فيه مؤقتا

وقد أسست الشركة العقارية وطرح أمورها للبيع ولكن الاضطرابات أيضا فاحتلتها فلم تعمل في فلسطين حتى الآن .

الخلاصة

رأينا فيما تقدم أن اليهود قد جعلوا من الاقتصاد أداة لتحقيق هدف سياسي وأنهم بفضل ذلك قد نجحوا في إحراق قسم كبير من أهدافهم . وبو سوا مشروعاتهم على أساس تقويض الاقتصاد العربية من ربح وحصاره لأحجموا عن كثير منها . وقد بذلوا في سبيل محاولتهم لإنشاء دولة لهم في فلسطين بسخاء ما يملكونه سخي .

ورأينا أيضا أن موارد عرب فلسطين شحيحة لا تقاس عالمي اليهود ، وأنها غير قادرة وحدها على صد هذا الغزو الاقتصادي . لذلك لا شك الوقوف في وجه هذا الغزو ، ولا مؤثره من البلاد العربية . ولكي تكون هذه المؤثرات فعالة يجب أن نحري أيضا على أساس سياسي ودون اتقياد بالقياس الاقتصادي . ويجب أن يكون البدل فيها سخاء ، وأن تكون أهدافها تقوية الاقتصاد العربي في فلسطين في سائر فروعه و تحويله دون سرط الأراضي العربية إلى اليهود مهما كلف الأمر .

ونش كان الإجراء السياسي الذي أمرته الجامعة العربية في حبل كسب المعركة الاقتصادية وهو مقاطعة البضائع الصهيونية ، إجراء سلب وقوي وفعالا ، فإن الإجراء الاقتصادي الذي قست به حتى الآن وهو مشروع الشركة العقارية لإجراء ضعيف غير كاف ، وذلك لأنه يني على أساس نحاري لا على أساس الترع بسخاء ، ولأن ما حصص له من الأموال غير كاف وليس هناك شك في أن مصير المعركة الاقتصادية يتوقف إلى حد كبير على نتيجة المعركة السياسية الحربية فإن نجح العرب في هذه المعركة كما نأمل فحينئذ يمكن وضع فلسطين في أحوال تمكن من ربح المعركة الاقتصادية . ولست فإن ما أيقنته الدول العربية وتفقه في كسب المعركة السياسية الحربية إجراء سليم يؤدي في النهاية إلى إحوار النصر في جميع النواحي الأخرى .

برهان راقب الدجاني

المغرب العربي

للكنور حسين مؤسس

خلف الستار المغربي :

نعيب جداً أن نتحدث الإنسان عن الدين الإسلامي المعاصر في شيء من سعة أو قرب من الاقعة ، لأن الدولة الفرنسية هي وصفت بها على معظم أراضي المغرب جميعاً بالتسريح من حدود تونس إلى ساحل المحيط ابتداء من سنة ١٨٣٠ حرصت على أن تسدل على هذا القطار الإسلامي لتوسع ستراً كشمساً لا تكاد شعاع واحد من أنوار سعة منه ، لا من المغرب إلى بقية العالم ولا من هذا العالم إلى المغرب . وحدت حدودها بإيطاليا في طرابلس وإسبانيا في منطقة الريف . وهي إنما حرصت على ذلك لأنها وصفت نفسها عابرة واحدة لعل دولة من الدول لم يرسمها لاني حقيقة ولا في حيل : وهي إلهاء هذا المغرب الإسلامي من الوجود إلهاء واستبدال المغرب مسيحي أو أوروبي به . وهي لهذا لم تحرص إلا على شيء واحد في هذا العالم الواسع : الأرض وما نصيبه من خيرات ، فأب الناس الذين يعيشون على هذه الأرض ، وأما الإسلام الذي تأصل في طبيعة البلاد حتى صار جزءاً من « مساحتها » فلم يدخل للفرنسيين في حساب . ومن ثم توجهت همه الحكومة الفرنسية مثلاً إلى استئصال الشعوب العربية الإسلامية . وكلمات الفرنسيين المتحمسين نعم إشارات كثيرة إلى ما فعله الأوروبيون بأهل القارة الأمريكية الأملاء من الهنود الحمر ، وقد لاحظت في بعض تصرفات حكام الجزائر الفرنسيين ما يدل بوضوح على أنهم يسمون لئلا هذه العاية سعيًا سافراً ، ويتضح ذلك حلياً في جميع التصرفات التي صدرت عن حكام الجزائر الفرنسيين بين سنتي ١٨٣٠ و ١٨٧٠ — فقد أصدر الجنرال بومون في سنة ١٨٣٠ قراراً استقصى به للحكومة الفرنسية كل الأوقاف الإسلامية في الجزائر ، وبعد ذلك ثلاث سنوات أصدر الجنرال « تون » بي مشوراً استقصى به للحكومة الفرنسية المقارنات التي لم يستطع أصحابها إيراد أدلة ملكيتها خلال فترة قصيرة معينة ، وقد أصدر هذا القرار وبعده وهو يوم أن ٩٠٪ من أهل الجزائر لم يعلموا بأمره ، ولو علموا ما استطاعوا تنقيده لجهلهم بالاحكامات القانونية التي ينبغي أن يقوموا بها

وفي سنة ١٨٤٦ أصدرت الحكومة الفرنسية قراراً استصفت به لنفسها كل الأراضي الفضاء وهي تعلم أن هذه الأراضي إنما هي مراعى للماشية القاتل ، ولا حياة لرحالها بدونها ، وفي سنة ١٨٥١ أصدرت قراراً استصفت به لنفسها أراضي الغابات في الجزائر كلها ، وفي سنة ١٨٧١ وصفت يدها على خمسة وعشرين ألف كيلو متراً من أحصأ أراضي الجزائر عقب ثورة محلية قامت في بعض النواحي ، وبهذا استخطمت الدولة الفرنسية لنفسها ١١٦٩٠٠ كيلو متراً من مجموع مساحة البلاد وهي ٣٠٨٠٠٠٠ كيلو متراً أي ما يزيد على النصف . وبديهي أن هذا المستصقي هو حيز أراضي الجزائر جميعاً ، ولم نتوقف الحكومة الفرنسية عن هذه السياسة إلا حينما لم يبق في هذا القطر أرض تصلح لشيء . ولو قد كانت الحكومة الفرنسية تستصقي ما يصع عليه يدها لصالح الجزائر وأهلها لكان من احذر بمرر مثل هذه التصرفات ، وسكها استصفتها باسم الحكومة الفرنسية ولمصلحة الشعب الفرنسي وحده . وعابتها من هذه السياسة واسمها : هي طرد الشعب الجزائري من بلاده وأراضيها وقدره إلى العياش والمهضاب كما فعل المستعمرون الأوروبيون مع الهنود الحمر . وكلما استصفت الحكومة جزءاً من الأرض سارعت إلى توريثه على مهاجرين فرنسيين أو أوروبيين . ونعيمى أن طرد الناس من بلادهم على هذه الصورة لا يتم في سهولة وسلام ، وإننا نستعمل القوة لتفديده . ومن ثم عصّ تاريخ الجزائر الفرنسية بحوادث عمره بسميها المؤرخون الفرنسيون « حروباً » وسميها النطق الصحيح بحارر ، ولا يعرف العالم عن تفاصيل هذه الحوادث شيئاً ، وإن كنا نستطيع أن نتيقن الكثير من هذه التفاصيل أثناء مطالعنا في تاريخ رجل كالمارشال ليوثي كان يستأصل قبائل مراكشية تسرح لكي يستولى على أراضيها ويورعها على المهاجرين لأفريقيين الذين فروا إلى فرنسا عقب استيلاء الألمان عليها بعد هزيمة فرنسا سنة ١٨٧١

فرنسا تستصقي نصف تونس الشمالية للمستعمرين الأوروبيين

وبعد أن فرضت فرنسا حمايتها على تونس في مايو سنة ١٨٨١ أمرت بتطبيق أصاليب الاستصعاء واحداً فواحداً عليها حتى حرد أربعون ألف فرنسيون من أكثر من ٦٧٤ من الأراضي الصالحة للزراعة في الشمال ، ولم يبق أحد أهل البلاد إلا الارتداد إلى حياة الرعي أو العمل كأجراء عند المستعمرين

وفى مراکش :

وقد انبعت فرنسا هذه الخطوة في مراکش بعد وضعها تحت الحماية الفرنسية سنة ١٩١٢
فقد استمرت الحكومة الفرنسية تمرد الأتليين من كل أرض سالحة للزراعة حتى أصبح
٨٦ ٪ منهم محالاً زراعيين أو رعاة لا أرض لهم ، ولا تزيد نسبة المراكشيين الذين يملكون
أرضاً عن ١/١٠ في حين لا يوجد بين ١٨٤ و ١١٥ فرسي الذين يعيشون في مراکش واحد
لا يملك أرضاً أو عقاراً أو مصنفاً .

وبل أعرب ما في الموضوع هو طريقة تصرف الدولة الفرنسية في هذه الأراضي التي
استصفتها ، وهي تبلغ نحو ٧٠ ٪ من لأراضي الصالحة للزراعة في المغرب كله . فقد نشأت
في كل قطر من أقطار المغرب الثلاثة حراثة منها صندوق لـ *Caisse de Colonisation*
وأحدثت من مبرايه الفطر حراً كبيراً أو دعتة فيه ، ثم أنشأت دواب منها « إدارات إصلاح
والتمهيد » تقوم بتقسيم الأراضي وبيعها بيماء صوريا للمهاجرين الفرنسيين بشأن رهيدة تسدد
على مدى عشر سنوات ، ولـ كان المهاجر الفرنسي يقبل إلى المغرب ولا مال معه ، فإن
الحكومة الفرنسية تقدم له فروصاً بدون فوائد من صندوق الاستثمار ، أي أن فرنسا تسلف
المغربي أرضه وتهدبها إلى الفرنسي . وتأخذ من المغربي مال الذي يرمي لاستصلاح
هذه الأرض . وقد نجح ما جمع من اتوسيين وحدهم لصندوق الاستثمار هذا بين سنتي ١٩٠٠
و ١٩٠٧ نحو عشرة ملايين من المراكبات الذهبية ، (أي نحو مليونين من الخيمايات المصرية
الذهبية) . وقس على ذلك ما جرى في الجزائر ومراكش هذا ولا تسمح للمغربي بشراء
أرض من هذا استصفاً ولم تسجن المزارع في عرف من توان الاستبداد بها هو أشنع من
ذلك ولو اشترت الحكومة الفرنسية الأرض وأقرضت المهاجرين الفرنسيين من ماله
لكان ذلك معقولاً بعض الشيء ، ولكنها تأخذ من صاحب الأرض أرضه وتطبخها للدجيل ،
ثم ترمي صاحب الأرض مسكين على تقديم المال إلى هذا السيد المستعمر ، بل ترمعه على العمل
في أرضه كأجير ، وتتحدد الأجر الذي يدفع له ، وتعاقد المغربي لإدارة قص العمل

هكذا أخرج الفرنسيون أهل المغرب من أرض بلادهم وأرلوم إلى مسة الأحرار والزراعة
تحكموا عليهم بذلك أن بطوا في مستوى اقتصادي معنوى منخفض جداً لا يمكن من مجرد
التفكير في التقدم أو الازدهار . ومهما فعل الفرنسيون بعد ذلك من إنشاء مستشفيات أو طرق
أو موانئ ، فإن الإنسان لا يستطيع أن يحسه لهم في حساب الخدمات أو في حساب الأعمال

الإسلامية ، لأن شيئاً من هذا كله لا يعود على العربي بالخير ، بل هو محض للعربي أو الأجنبي وحدهما ، ومن هنا لا عرامة أن تكون مستوى العلم للناس في هذا الغرب في حالة من الهبوط لا يمكن مقارنتها بمثل في أي بلد إسلامي آخر ، هذا رغم ما يعرف الناس أجمعون من ذكاء العربيين واستعدادهم نفوق في كل ميدان ، وناريخهم الإسلامي حافل بالأعلام والدولات على فلة عددهم وقسوة ظروفهم الاجتماعية

الدول المذكورة في فهرس المراجع إلى أي أساس قانوني

والمعروف أن الدول الأوروبية إذ دحمت لهذا عنت أم لا قصد إلا معاوية الأهلين على إدارة شئونهم ويدرهم على أساليب الحكم الصحيح ، حتى يصعد إلى مستوى يتكلمهم من السير وخدمهم هكذا على الإبحر واهولنديون والأمريكيون ، ولما سبيل عاينهم على ما حققوا وما لم يحققوا من هذه الأهداف ، وإحاطتهم أنهم يعلمون ذلك فيدون على لون من أعيان الإحسان ، ولكنهم لم يملكون ذلك ولا يتعهدون فيه أهل البلاد شيء .

فقد دخل الفرنسيون الجزائر فاجتبي في سنة ١٨٣٠ ، وألوا ، ودمها القشيم ، وأحصوا أعداد الجند عسكاري ، ولم يقيدوا من أهله شيء ، ولم يمدوهم شيء . ودرس في مائة سنة (باردو) أتى وفعي ، لـ " رينار " مع " دي بوس " محمد سادق في ١٢ مايو سنة ١٨٨١

نص واحد شهد عليه الفرنسيون من على رفقة مسعودي أموسيين أو اسير منهم ، إلى الأمام بل من فيها شرفه و حد ضمن حقوق لأهل من جيل حاسيل ، و هو بعد حال من الزمان

وأنس في مائة سنة فاس على عتبات في ٣٠ من ربيع ١٩١٢ بين ٤ سبيل وسبيلان

من كس مولاي سلطان عند حديقته من واحد من من اسير سبيلان وهو مصاح

راكتيني موضع لاعمال . من وجهة مصر ، وكوكر فيكرور ولو بحجر فيكبير

في ترك البلاد يوما من الأيام .

والتحرر وحال المذنبين العربيين أن كان قطر من قطر حرب به وضع خاص بالنسبة
لغرب كاجراء حر من مرض قيرسي ، ونوس فيهم معاهد ، ومرا كشر تحت الحماية
ويجوزل هؤلاء ، بقا بيوت أن يعلوها الموصوخ ليسو أن فرنسا يصع لكل قطر مها من
الأنظمة ملامحه ، وأنها تحصر في الأوضاع القنوية في كل ناحية ، ولكمهم يقررون
صراحة أن الوضع يحتاج عدا الوضع النظري ، فلا فرق في نظرة غرب أو شرق سياستها

في هذه الأفطار العربية الثلاثة ، فهي تعامل على نفس الأساس الذي تعامل به المستعمرات
البريحية كاستنزل والكروان . وقد وضع الفرنسيون هذه الأنظمة منذ قرون من الزمان
ولا يريدون أن يسمروا بها شيئاً ، كأمر هذه الأنظمة ، وصفت لتظل قائمة إلى الأبد لا يغير
تطور الدنيا أو تقلب الحوادث من أمرها شيئاً ، وكأن هؤلاء الفرنسيين الذين وصفت لهم هذه
الأنظمة طلوا في نفس المستوى المكرو والاحتياجي الذي كانوا فيه يوم رب فرنسا بلادهم
طوال هذا القرن المنقضي . وفي هذا وحده اعتراف صريح من الفرنسيين بأنهم لم يسيروا
بأهل البلاد خطوة واحدة إلى الأمام . وسرى مما يلي أن اسلاد ما حرت في طلائهم على نحو
عمرن حقاً . وذلك طبيعي ، لأن الفرنسيين كانوا يقصدون هذا التأثير ، وكل أنظمتهم
وتشريعاتهم ونهضاتهم تتجه نحو هذه الغاية .

فرنسا تؤمر أهل المغرب

من هنا لم نتجه مع الفرنسيين إلى أن رفع واحد من هذه الأفطار الثلاثة عن مستوى
المستعمرات التي ندر لمصلحة البلاد المستعمر وهذه أو المرحوم في الطريق الذي تؤدي بهم
يوماً ما إلى حكم أنفسهم بأنفسهم حكماً عادلاً معطياً حديثاً . بل حرت الحكومة الفرنسية
على عكس ذلك تماماً ، فحرصت على أن بعد لأهل عن وادى حكمهم ، وحرصت على أن
تبقى على ما عسى أن تكون عديم من وسائله وما بين أيديهم من أغنته .

عقد دخل الفرنسيون آخر : مثلاً ، فوجدوا فيها قديماً بدائياً ، كان من الممكن إصلاحه
وتعديل أو استعمال العناصر الصناعية منه على الأقل ، إلا أنهم لم يحبوا ذلك . فدخلوا مصر في
سنة ١٨٨٢ مثلاً ، ولكن الفرنسيين هروا على عكس ذلك تماماً .

في سنة ١٨٤٨ قررت الحكومة الفرنسية اعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية ، أي جزءاً من
الوطن الفرنسي ، أو ملكاً للشعب الفرنسي بقدر أدنى ، وأقيمت من وجود إداري ، وهذا
وضع أقل من أوضاع المستعمرات .

وليت هذا ، إلا أنه قد عني نحو ضمن الخرافات بين شيئا من الحقوق

فقد اعتبرت الجزائر جزءاً من الوطن الفرنسي ، فكان من الطبيعي أن يعتبر الجزائريون
فرنسيين ، ولذلك يكون لهم وضع دولي معهود بين أهل عالم أجمعين . ولكن الفرنسيين
مسحوا الأرض واستبعدوا الناس في سنة ١٩٣٢ كان عدد الجزائريين ٨٩٨,٦٩,٦
ليس منهم إلا خمسة آلاف معتبرين فرنسيين ، أما الباقي فلا وضع قانونياً لهم يحدد موقعهم من
غيرهم من أهل هذه الأرض . فبما يستطيع أهل المستعمرات الإبحار به السعري الخارج حامدين

جوارات سحر أنجليزية لا يستطيع جزائري واحد من هؤلاء « الفبوزين » السحر إلى خارج بلاده عدا فرنسا - لأن السلطات الفرنسية لا تمنحه ورقة واحدة يثبت فيها وجوده بين أهل الأرض أجمعين .

بل الأمر أسوأ من ذلك بكثير ، فالفرنسيين يحكمون الجزائر بواسطة حكم فرنسي تابع لوزير الداخلية يساعد على أعلى من سبعة من كبار الموظفين الفرنسيين ليس منهم جزائري واحد .

وهناك الجمعية الجزائرية - وهي شيء يشبه البرلمان - تتكون من ستين عضوا منهم سبعة فقط من الجزائريين ، ثلاثة منهم معينون والأربعة الباقون فقط مستحبون وهذا مجلس اقتصادي يبحث المسائل الاقتصادية عضؤه ٦٩ ليس منهم إلا واحد وعشرون من المسلمين يمثلون بعض الصناعات المحلية الصغيرة ولا يقام لأرائهم دور في كبير أو صغير .

هذا وسنة الأهلين إلى الفرنسيين هي ١٦ ١

واليك ما يقوله أحد « بواب » الجزائر - والمعروض أنه يتصدى بدهاء عن مصالح الجزائريين أجمعين : « قبل أن أفكر في منح الحقوق السياسية لهؤلاء الأهلين الذين لا يهتمون بها ، ولا يظالمون بها ' بسمي عنيما أن نعيدهم وأن نكسومهم ، وأن نهيئ لهم اسكن وأن نعلمهم » يقول ذلك في مايو سنة ١٩٤٧ بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد ميثاق الأطلسي وبعد مائة وسبعة عشر عاماً من الإدارة الفرنسية ' يقول ذلك وهو يعلم أن المحتلرا منح المهد الاستقلال وتحلت عن فرنسا ، وأن أمريكا أنشأت نظاماً سياسياً في البلدين ، ولم يبق في الدنيا بلد أهله على شيء من الحصار إلا أصبح له من الحرية نصيب

بعد ١١٧ عاماً يقرر هذا النائب الجزائري أن الحكومة الفرنسية لم تعلم الجزائريين بعد ولم تعلمهم ولم تكسبهم بعد ، ويقول إن الجزائريين لا يهتمون الحقوق السياسية ولا يظالمون بها مجرد المطالبة ، فلو كان ما قاله حتماً فهو عار على الفرنسيين قبل أن يكون عاراً على العربيين ! هذا ويجمع الفرنسي في العرب للقانون الفرنسي في حين يجمع لأهلون لظلم وقانون خاص يسمى Code de l'indigenat لا يكاد العربي يطعم فيه موضع يهتم منه أنه إنسان له مشاعر وذكور

والأمر في تونس أسوأ من هذا بكثير ، فقد دخل الفرنسيون البلاد سنة ١٨٨١ فوجدوا فيها أميراً له مجلس وزراء يعاونه مجلس بواب ، مهما كان مقدار سلطته وطريقة انتخاب

أعضائه فهو بصور ولو ظلا من الحرية وحائبا من سلطان المحكومين .

بدأ الفرنسيون قسموا البلاد إلى قسمين : شمالى يديره الموظفون الفرنسيون لإدارة مدينة ، و جنوبى يحكمه حاكم عسكري ، كانه بعض مواطني الحمص والمتوحشين

الاوراق الفرنسية صرفة :

والإدارة في القسم الشمالى فرنسية صرفة يقوم بها ٣٥٠٠٠ من الموظفين ، نحو ربعهم فقط من الفرنسيين (وهم الخدم وصغار الكتات) و هو حسب نسبة الموظفين إلى عدد سكان تونس أجمع كان لكل مائة من السكان موظف فرنسي ، وطبيعى أن الحكومة الفرنسية تكثر من الموظفين رغبة منها في زيادة عدد الفرنسيين في البلاد

وهؤلاء الموظفون الفرنسيون يتقاضون حوالى ٦٠ ٪ من ميزانية البلاد ، وهم يستعملون الفرنسية مع من يعرفها ومن لا يعرفها حتى يحتاج الوسى إلى مترجم يتوسط بينه وبين الموظفين

وهؤلاء الموظفون جميعا مسئولون أمام الحاكم العام وحده ، وهذا مسئول أمام وزير الخارجية الفرنسية ، ولا مسئولية بعد ذلك .

والحال في مراکش لا يختلف عن ذلك في كثير ، فالسلطان لا يملك من الأمر قليلا ولا كثيرا ، وافاقون الذى يرعاه الحاكم العام لا يطبق على الأهلى ، وإنما تقتصر امتيازاته على الفرنسيين وحدهم .

ومن عرائش العقيلة الفرنسية أنها لا تحصل من أر مثل هذه التفرقة بالحرص على مصالح المراكشيين كأهل هؤلاء الأساس لا يصلحون لقانون حدث ، وكأنما قضى الله بأن يطلوا في ظلمات العصور الوسطى إلى أبد الآبدين .

والإدارة في مراکش فرنسية صرفة يقوم بها ٢٢٠٠٠ من الموظفين منهم ٧٠٠٠ فقط — من صغار الكتات والساعدين — من المراكشيين ، يضاف إليهم ٨٠٠٠ من الخدم والفراسين وهم من أهل البلاد طبعا .

وقد ظلت البلاد تحكم حكما عرفيا من ١٩١٢ إلى ١٩٢٢ ، ورفضت الأحكام العرفية عاما ثم أعيدت واستمرت إلى سنة ١٩٢٠ ، وأعيدت مرة ثالثة سنة ١٩٣١ ولا زالت قائمة إلى اليوم ، أى أن مراکش حكمت حكما عسكريا عرفيا نصف المدة التى أقامها في ربوعها

الفرنسيون وهو أمر لم يسمع مثله في قطر من الأقطار في أظلم أيام الخهالات والاستبداد .
هذه البلاد جميعاً تسحر من الناحيتين السياسية والاقتصادية إلى الراء ، وذلك حقيقة
ما يظن أحداً من الفرنسيين — مصفين وعبر مصفين — إلا ويُسلم بها ، لأن الدولة
الفرنسية نفسها تقررها ولا تنفيها .

الربوط المعنوي :

هذا هو وسع أهل المغرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية . في أن ينظر في أحوالهم
من لدواحي العمولة البصرية . نواحي العقيدة والتعليم والثقافة .

المنزلة الاجتماعية :

رغم أن عرباً أن يقال إن الدولة الفرنسية هي الدولة لأوربية الوحيدة التي تستهين
بفقدان من يتولى أمرهم من الناس وتحويل سيرة أو لحظ من قدرهم بكل ما تستطيع من
وسائل العهر والإرهاب .

فقد بدأت دولة الفرنسية ، فوصف بها في أواخرها ، في حرب العاهة بأن يهوى منها في
البلاد الإسلامية على شئون الناس وما تنص به من مساحنة ومهدة . يستصعب أموال
الأذوف والعيون المرصودة لشئون الناس وعثرها أملاً لا للشعب الفرنسي ، وحصلت
أكثر من غيرها في حربين فرنسيين ، أم است لثاق فقد رصده لشئون العقائد
إسلامية وعقيدة إسلامية ، ولا يهتد مقدار المحصن من هذه الشئون العقيدة الإسلامية
على الناس ، أم شئون المؤمنين شوكون في مصحح الكنيسة كاثوليكية ، ولا يريد عدد
أبياتها في حرب كنه في حيا من عدد السكان وهذا وحده كاف لكي من ناموس
الحكومة الفرنسية من إسلام في هذه البلاد إلى متر نحو حصناً من حصون هذه
العقيدة السمحاء .

محاولة تصيير أهل البهجة :

ولم تحف الحكومة الفرنسية في يوم من الأيام بينها في تصيير أهل البلاد ، وقد أطمعها
في ذلك مؤرخون ومفكرون فرنسيون استوفقت . شاهيم السرعة التي تحوب بها البلاد من

الصرانية إلى الإسلام خلال القرنين اللذين أعقبا فتح العرب على يد العرب بين سنتي ٦٦٠ و ٧٠٠ ميلادية . وقد بدأ العربيون منذ سنوات الفتح الأولى بتحويل عدد من كبار المساحد إلى كنائس كاثوليكية ، ومن أمثلة ذلك مسجد القشاشة وهو اليوم كنيسة سان فيليب ، وجامع البقشاش وهو اليوم كنيسة بوردام ده كتوار ، وجامع القصة وهو كنيسة «سابق كروا» وغير ذلك كثير . هذا في الجزائر وحدها ، ومثله كثير في كل بلد من بلاد المغرب العربي . ولم يحفظ أولياء الأمور العربيون في المغرب بواياهم في القضاء على الإسلام ، فقد قال الخزانة «بواحو مثلا سنة ١٨٣٣ : إن العرب لم يخصص قلوبهم لعرب إلا بد صاروا فرنسيين ، ولن يصاروا فرنسيين إلا إذا أصبحوا نصاري» . وكنت وحو هذا في المناسبات يسوعى «رؤمو» يقول «حاول يا أباي أن نحمل معهم نصارى ، وهذا وقعت في ذلك فيهم لن يمددوا بمحلولون رصاص نادقهم نحو صدور» في وقت الشدة » .

وفي سنة ١٨١٧ تصور أعقب احتلال لا فيجيري En gère أن هذا التمييز مهمل منسوخ . فوضع رابعا فقرة «وهو أن نحمل من الجزائر» «مهد» لثمن عتبه «لزم» نصرائي ، أن نحمل منه فرنسا أخرى باحترام » . و «أن نشر حول فرنسا أثار حصاره مصدر إغاثة الإبحار ، وأن نحمل من هذه الأنوار حتى ما وراء الصحراء ، إلى بلاد لا زالت إلى الآن عارية في عهدة » . «خط» فرقته الثمينة وإفريقية . فوسطى هذه الشعوب المسيحية ، ذلك هو ما صدقه . «إله ما» . ولكن لا فيجيري لم يمت أن عرف أن ما وراءه في نفسه لم يكن من وراءه الله في معنى ، لأن فرنسا ست أن تلتفت إليه . «لأن» وما أعقبه من «كوا» . «كأن» ما لا لأقف «ل» . «مدد» وعرف في صورة موسى إلى وقعت «ل» كاهن . «فما» عقب هذا لإبراهيم إسماعيلي موسى خدج

وفي سنة ١٩٣٩ أنى من العرب والأندلسيين سنة وحمه ، «لكن» كنيسة الكاثوليكية ، فرنسية أن الجزائر أصبحت ركنًا من أركان الكاثوليكية ، «فقررت» عقد التجمع اليوكاتسي لجميع «الكنيسة» الكاثوليكية في هذا البلد الإسلامي تكريم ، وفي هذا التجمع وقف أسقف مارس جزييه ، وهو رجل كان يعتبره من رجال الفكر الحر في فرنسا وقال بالحرف الواحد «خط» الآباء . «لكن» كسم قد أسم مقدور «لكن» الكاثوليكي ، «لكن» ذلك إلا لكي نحتفظوا ما بعد أنوى حدث «لكن» في «لكن» فرنسا «لكن» «لكن» الكنيسة في سنة ١٨٣٩ كانت الجزائر - مدينة البيضاء - تشرف على البحر عندما تنجس الشعوب الصرانية . «واليوم» أنهم ترون صليب المسيح قائمًا في ثمة إحدى مآذنها وأصبحت

الحرائر ثمة الباب المتبر الذي بعد منه يوماً بعد يوم ، وفي سرعة مشاعل الوحي التصراقي إلى قلب القارة السوداء ! »

وكانت هيئة هذا المجمع يحمل أغراضها في عبارة صغيرة كتبها بأحرف كبيرة جداً في أعلى ما أذاعته من منشورات وهي « الكفاح ضد الإسلام »

وهذه الأدلة وحدها تكفي لتعيين موقف الحكومة الفرنسية من الإسلام والسلمين ولم تثير الحكومة الفرنسية من سياستها هذه شيئاً رعم ما انتلهاها الله به من ذل واستعداد على أيدي الصاري الأمان ، ففي سنة ١٩٤٥ أصدرت الحكومة الفرنسية منشوراً أحرحت به من إدارة المساحد واماها الإسلامية كل من لا يعرف العربية . ولا حاجة بنا إلى القول بأن قليلاً جداً من هؤلاء ، الأثمة واعطاء ، والمدرسين يعرفون الفرنسية ، والسيحة الواضحة لذلك هي مقام المشاك الإسلامية من غير أئمة أو شيوخ أو مدرسين .

والأمر في مصر كثر لا يختلف عن ذلك في كثر أو قليل .
والحال في تونس أسوأ ، والإسلام هناك عقيدة بمنية ، ونظر إليه كأنه تقية من نقايا الوثنية التي ينبغي أن تزول ، ولا يحرق مدرج واحد أن نتحدث في هذه البلاد الإسلامية باسم الإسلام .

النتائج :

ونبني أن يكون موقف الفرنسيين من تعليم الأهليين موقف العدو الذي لا يأدر لحصمه المطلوب شيء من العلم أو المور يرجع به هواء المموية ، أو يأدر له في أن يحطو خطوه واحدة نحو المص الذي يعيش فيه .

فاللغة العربية معترة في المغرب جميع لغة أحسية لا تحمل السلطة المختلة لها أي حمل ، بل نفع منها موقف العدو وبحري من التصريحات الكثيرة والقرارات المتوالية بقرارات أصدرها رخلان من كبار الشرفيين على مشئون التعليم في الحرائر ، فقد صدرت قرارات أصدرها الحاكم لاريشال في سنة ١٩٠٤ ما يلي : « وللسلطات أسببى - إمام ، مؤقفاً أو مهاثيا كل نصريح للمدرسين بأن يدرسوا اللغة العربية » وفي ٨ مارس سنة ١٩٣٨ ورعت الحكومة العربية على مدارس الأقطار العربية منشوراً تعتبر فيه اللغة العربية « لغة أحسية » وتحرم تعليمها .

ويذهب الفرنسيون إلى أن ذلك قاصر على المدارس المدنية . أما في المعاهد المخصصة للأهليين

تعليم العربية مطلق مباح ، فإس هي هذه المعاهد المخصصة للأهلين ؟ إليك مقارنة بسيطة توضح الموضوع .

فالمعروف مثلا أن سكان مرا كشي المسلمين يبلغون ستة ملايين ، وأن عدد الفرنسيين فيها محوسب مليون أى أن النسبة هي ٢٤ : ١ أى أن الفرنسيين يكونون ٤ ٪ من السكان . هؤلاء ال ٤ ٪ ١٥ مدرسة ثانوية كاملة و ٩٨ مدرسة ابتدائية و ٩٦ ٪ الباقيين مدرستان ثانويتان ناقصتان وأربعون مدرسة أولية واشتدائية ، وعدد جميع طلبة التعليم الثانوي المراكشيين لا يزيد على ألف لميد ، أى دون عدد طلبة مدرسة ثانوية مصرية واحدة هي الحديثة !

والإليك ما يقوله الأستاذ لبقى روثسال في ختام فصل طويل عن حياة المراكشيين : إن إنشاء الحياة المدرسية في مرا كشي ونشر الثقافة الفرنسية هذا الشر الرائع قد غير المثل الأعلى للتعليم المراكشي الحديث مثيراً ناعاً ، والوقت لا زال مبكراً جداً ولا يسمح بما يتعرف الاتجاه الذي ستأخذه الحياة المعكونة للمراكشيين خلال السنوات المقبلة

المسألة كلها عنده مسألة الثقافة الفرنسية ، والوقت لا زال في طوره مبكراً جداً لتعرف اتجاه الثقافة في هذه البلاد ! يقول روثسال هذا بعد محو حصة وثلاثين عاماً من الاحتلال الفرنسي !

الوقعية المغربية المختارة « أيليت » .

ويذهب كثير من الفرنسيين إلى أن هذا الأسلوب في انقضاء على الثقافة العربية الإسلامية في البلاد قد آتى ثمرها طيباً جداً فإن توحية الماسيين من أهل البلاد توحيتها أوروبا فرنسيا قد حول أذهان المعكرين للمعربين نحو بلاد أوروبا حديثاً وحديثاً يقعون في نفس المستوى الذهني الذي يقف فيه المعكرون الفرنسيون أنفسهم وسلك بهم طريقاً هي أسلم من الطريق الشرق الذي سار فيه أساء عمومهم من الماعطين فانهربية في البلاد الإسلامية الأخرى

وليس أبعاد عن الصواب من هذه الدعوى ، لأن فكر لإسلامي الحديث لا يكاد يعرف إنتاجاً أدبياً هو أعمه أو أول روحاً من إنتاج هذه الطليقة المختارة من أهل الفكر استراتيجيين الذين يسمون أنفسهم « المراكشو آرب » ومن حسن الخط أساء تلكت بين أيدينا بصمة أمثلة بصور لما معكبر هذه « الأيليت » في السياسة والفكر والآداب الخالص ، معكها بالفرنسية ، كأنها

إنتاج أحاط بما أغراب عن لغتنا وثقافتنا ، ومن عرائث العقليّة الفرنسيّة أنّها تبيح للجزائريّ شيئا من الحرية إذا كتب بالفرنسيّة ، والويل له إن قال نفس الكلام بالبربريّة أو بك بعض نماذج منها مترجمة :

« المنارود » ورأبهم في استقلال مورهم

فهذه في الجزائر طائفة من هؤلاء الجزائريين المتفرنسين محتشمون في هيئة تسمى « حرر الاستقلال » ، استقلال الجزائر طبعاً ، وإليك كيف تصور هؤلاء المفكرون استقلال بلادهم أعلنت الحكومة الفرنسيّة خلال سنة ١٩٤٧ عمده « لاتحاد الفرنسي » وهو اتحاد يجمع فرنسا ومستعمراتها في نظام قريب اسمه من اتحاد الكومنولث البريطاني ، أقول شيئاً فقط ، لأن الاتحاد البريطاني يعطى أعضائه بعض طيناً من الاستقلال أما الاتحاد الفرنسي فمرصه بمحلول الحريات والمستعمرات إلى وحدات إدارية يحكمها حكام فرنسيون ويديرونها لمصلحة فرنسا وحدها ، مع منح أهلها بعض الحريات الداخلية ومعظم هؤلاء الشبان الذين يسميهم الفرنسيون « المختارين » يقبضون لبلادهم هذا الوضع ، ولا يسيروا أن تتحلّى بلادهم عن شخصيتها الكريمة وتسمى باسمها المجيد يقول باشي أغان شقوف نائب قسنطينية : « إن دخول الجزائر في الاتحاد الفرنسي سيهيئ لها السلام والوئام والرخاء ، وهو يؤمن مصباح فرنسا الرئيسيّة ويضمن لها أكبر نصيب من الخير » .

ويقول قاضي عبد القادر ، وهو نائب آخر من نواب قسنطينية :

« نحن أدعو إلى المساواة في الحقوق بين مواطني الجزائر أجمعين من غير تفرق بين جنس ودين أو دين ودين ، وأقترح أن يمثّل الأوروبيين والجزائريين عدد متساو من النواب في البرلمان الجزائري وفي كل التجمّعات الانتخابية (يريد أن يقول أن تكون للجزائريين عدد مساو للأوروبيين ، وهو يسيئ أن مواطنيه يعدّون الأوروبيين ١٦ مرة ، وأن مواطنيه أصحاب البلد والأوروبيين أحاط) وآه أرى أن تكون الإدارة مسئولة أمام البرلمان الجزائري فإذا حدث خلاف بينهما فصل فيه البرلمان الفرنسي »

ويقول عمار إسماعيل أحد نواب الجزائر :

« إن الشبكة الأولى التي سنرى حلها هي مشكلة اختلاف الأحفاس ، لا بد أن نصل قبل كل شيء إلى الاتحاد . فإذا تم هذا الاتحاد استطعنا أن نطرق إلى المستقبل في شيء من

الاطمئنان ، وبني أريد أن تكون البرلمان الجزائري من أعضاء يمثلون الحصارين على قدم المساواة . نحن نريد أن تتم الإصلاحات المطلوبة على أسس فرنسية لكي يكون لها أثر ، وبمعي أن يتساوى عنصر السكان في هذا العدد (الفرنسيون والجزائريون) وأن يمثل البرلمان الجزائري لدى رلمان باريس عدد أكبر من النواب . وبني أرى أن يسمح للجزائريين بأن يكون لهم الحق في شعب الوطنف لكي يشعروا بالأوروبيين . »

هذا هو منتهى فهم هؤلاء الاستقلايين الجزائريين لكرامة بلادهم وحقوقهم

بيد أن شباب المغرب لم يعمل من غير كريم فهم حوة وشجاعة فهم ياتحون السياسة الفرنسية هجومًا صريحًا عبر هيئات لجنحة الفرنسيين ، ولا يستطيع الإنسان أن يتصور قسوة الفرنسيين على الأحرار في البلاد التي سبى ما حلالهم ، إلا بداءة من المجاهدين العرب خارج المغرب ، وعرف منهم معارعة حواصمهم في هذه البلاد لمسكية ، ولم يكن شعب أوري على قضية الحرية بقدر ما حتى الفرنسيون ، إن أعاد من قنومهم ونردوهم لا يدخل تحت حصر ، ولا زالوا ماضين في ذلك رغم تقدم الدنيا وإفلاس سياسة القهر والاستبداد .

إليك مقتطعات من كلام أحد هؤلاء الأحرار الجزائريين ، لأعدل ، وهو كلام قريب من روح الوطنية الصحيح قال السيد مرمره أحد نواب احرار ورئيس « جماعة انتصار الحريات الديمقراطية الجزائرية » :

« يعيش احرار منذ أكثر من قرن تحت نظام استعماري . وهذا النظام يقوم على أساس الفتح الحري والاستغلال الاقتصادي لصالح الأقلية الأوربية وحدها على حساب أهل البلاد ، وهو يعتمد على التفوق العنصري والسياسي والاحتماعي لهذه الأقلية . وقد فشل هذا النظام رغم ذلك فشلا تاما في القضاء على الشخصية الجزائرية كقومية قائمة بذاتها

« وقد استطاعت هذه الشخصية أن يمر عن نفسها دائما بقوة شعب عقد العزم على أن يحيا يحترم التقاليد والعقيدة والحضارة ، وأن تحترم حيانه السياسية ومصالحه العامة التاريخية . » ثم إن إكثار الدول المتحددة الموقمة على ميشاق الاطلسي للنظام الاستعماري ، والتصحيحات الحسية التي تحملها الشعب الجزائري للدفاع عن الديمقراطية عامة ولتحرير فرنسا خاصة ، كل ذلك يعطى الشعب الجزائري الحق الذي لا يحارى فيه في أن يستمتع بالحريات الديمقراطية وأن يشرف بنفسه على مصائره

« من ثم لا يعترف الشعب الجزائري لغيره بالحق في أن يشترع له ، ومن ثم فلا بد من انتخاب هيئة تشريعية ذات سيادة ، ولابد أن ينتخب هذه الهيئة بالاقتراع العام من غير

تغيير بين حسن وحسن أو بين دين ودين ، وأن يتم ذلك في حرم الحرية المطلقة لكي تكون الهيئة المتخضة مرآة للأراء كلها ، ومن ثم تكون حديرة بأن تحمل جميع الشا كل التي تشغل الأذهان في الجزائر حلا عادلا » .

وهذا كلام حسن فيه صراحة وحق ، وإن كان لا ينهجو نحو الاستقلال التام بحال وبوقاله صاحبه بعيدا عن الإرهاب الفرنسي لكان أشمل وأكثر تفصيلا ، ولكنه خير على كل حال ، لأنه يقال للمعاص في وجهه ، وهو خير من ألف حديث بقوة صاحبه وهو آمن في ناحية لا تناله فيها يد الطامعين ، ولا تعظم منه لذلك فائدة الطوليين .

فضيلة الحرية في المغرب :

وفضيلة الحرية في المغرب العربي باب في ذاته لو فتحناه لفرعنا منه بحال^(١) ، فإن المعجب لي بأحد النعم حينما يحد ثنا كالشعب الفرنسي تتحدث عن الحرية هذا الحديث الطويل ، ومع هذا لا نأذن لن تحت يده بالنسبة نصيب منها ولا يردد في العسف عن يقول كلمة « الحرية » عفا لم يعرف من أهدأ أم الأرض عتوا وجهالة في حلال هذا القرن الذي انتلى فيه العزب بالاحتلال الفرنسي قتل الفرنسيون من أحرار مغربيين أضما ما قتلت أمم الاستعمار جميعا من المستعمرين أجمعين وأنف فرنسا في عيادات السجون أودع من كان الوطن العربي يشرف بهم لو كانوا فرنسيين وإن الإنسان لا تكاد تطرح أهدار مصاب المعكر والصدير الحلي في المغرب العربي على يد فرنسيين حتى يفقد كل احترام للدهن العربي كله ، وكيف تريد أن يصفق الإنسان أن الفرنسيين آمنوا بالحرية يوما إذا كان هذا موقفهم من الأحرار ؟

ولكن هذا كلام قد مر وقيل حتى عرفه الناس أجمعون ، وما أقل حدوى شكوى المرح حين يكون سامعه أحد اثنين : متالم لحاله عاجز عن إسماعه ، أو مسرع إلى شكاته لأنه الخاف عليه ، وهذه الشكاية هي - بعد كل شيء - عاتية ومشهية ، كما تدوى صرخة القليل فيطمئن لها قواد القتال ، لأنه يطمئن بها إلى أنه أصاب القتل واستراح .

(١) لا يسع مقام هذا الكلام عن الحركات النضالية في المغرب ، لأنني حريص على أن أعرض الحانية به كما هي ، دون الكلام عن الحركات المعارضة ، وهي شعب جانبا نكاد يعرف وأهله .

ماوراء جنت فرنسا من وراء ذلك كله

ولما بعد ذلك أن نسل ماذا حث فرنسا من هذا السعب والاستبداد ؟ وماذا عاد عليها من وراء هذا الاستغلال الذي نفاى كل فصيلة ، وهذه الحياة الحسية لكل تراث للانسانية من الصمير الحى والعكر الحر والقلب الكريم ؟ إن الفرنسيين يفخرون بأنهم قد كسبوا من العرب المرنى كسما مادياً خالصاً لا حياء فيه ، فهم لم ينفقوا على العرب المرنى عريكة واحداً من حراتهم مد فتحوه إلى اليوم ، لأنهم حرصوا على أن يستردوا من دم المربيين نمن كل رصاصة قتلوا بها مغربياً ، ولأنهم يرغمون المرنى الآمن ، مراراً كان أو ساساً ، على إعالة المهاجرين ، ودفع نفقات الإدارة والاحتلال ، ولأنهم يحرصون على كل مغربي قادر الخدمة العسكرية إلى أجل غير محدود ، وقد استرقوا بذلك دماء المغرب على نحو تفشمر منه الأبدان . فلم يظهر في أية ناحية من نواحي المغرب شاب قادر على حمل السلاح إلا طوخوا به بحارب في سبيلهم في ألمانيا أو في الهند الصينية أو في مدعشقر ، ولقد حارب هؤلاء المغربيون دفاعاً عن فرنسا حرماً نبيلة كريمة لا تجدد فرنسا إلا ونفربها دون شكر أو تقدير ، كأنها شيء مقرر معروض على هؤلاء المغربيين .

ولكن فرنسا لم تحن من ذلك السال الهول ودللك الدم المسفوك شيئاً على الإطلاق ، بل هي أقل شعوب الأرض إعادة من الرعايا والمحكومين .

فبعد عشرات السنين من السلب والاستصعاء لارالت فرنسا أفقر الدول التي كانت تريد أن تكون في مستواها ، وهي معلقة مدينة ، ولن تخرج من ديونها إلا بعد عشرات وعشرات السنين ، ولن تصبح ذات يوم شعباً ذا مال وعده .

وقد نقلت إلى العرب من أسائها نحو مليون ونصف ، هي اليوم في أشد الحاجة إليهم في بلادها ، لأن نسبة السكان فيها في اسهبار ، ولأنها تستخدم الملايين من العمال الأجانب ليمموا في أرضها وليسدوا هذا النقص المتزايد في الجنس الفرنسي الأصل .

وقد صحت بألوف المقاريه للدفاع عن نفسها ، فم تسلم من أن يحوسها أساؤها ويسمونها للعبو السيد ، فدافق بين سمع الدنيا ونصرها دل الاستعباد وعرف عار الحياة ، وامتهت كرامتها على نحو لم تمره قبل أن تكون لها امراطورية أو مستعمرات ، وذلك في ذاته من تقديرات امساة الإلهية الصبغة بالعر ، لو كان الناس يعتقدون .

فهي لهذا لم تحن من وراء خيانة نفسها وحياة من أوقعهم الله بين أيديها إلا مذلة

العار ، ودل الدين ووصمة حياة المادى والأخلاق ، وقد أخذت في الانحدار منذ بدأت تفعل في المغرب هذه الأفاعيل ، وصمت أيام عرها مع أمس الدار ، وسحان من يرث الأرض ومن عليها وهو أهل المادلين .

وماذا نغمر المغرب .

ثم ماذا خسر أهل المغرب من وراء ذلك كله ؟

لارالت أم لمغرب بحير ، ولارالت أمما إسلامية عربية تتوهر في كيانها الحياة ، والمغربيون من غير شك اليوم خير منهم بمد مائة عام ، لم يحس المستعمر روحهم ، ولم يفل من قلوبهم مثالا ، لقد حرد بلاد المغرب من أموالها ، واستصغى حرات أرضها ، ولكنه يشمر الآن أنه لم يفعل شئنا ، لأن كتلة المغريين لارالت سليمة كريمة ، تستمسك بالإسلام وتتجه نحو المرونة ، وكأنما أحس بها المستعمر من حيث لم يحسب ، لقد أعنى عليها الباب وممع عنها النور ، فطلت كما هي حيث تركها ، وهي اليوم أحصر ما تكون وعبأ وأسلم ما تكون جوهرها ، بل قد أجمت من أبطال الحربه خلال هذا القرن العظيم عددا يحسدها عليه المستعمر نفسه ، وإذا ذكرت ما أوردته لك عن نظرة الفرنسيين الأول إلى الإسلام وإرذائهم له ، واستهانهم بالمغريين ، فاقرا الآن ما كتبه أحد أعلام الفرنسيين منذ عام فقط ، مسد فيه بحلال الإسلام ومعترف فيه بمصائل الحس المرعى الكريم ، ومف را فيه هزيمة أمام حسنه في كل ما رحوه من القضاء على المغرب وأهله وبحومه إلى الله فرسى كاثوليكي .

« في مارس سنة ١٨٣٩ كتب الأمير عبد القادر إلى ملك فرنسا بوى فيليب يقول : لو أردت السلام حقلا استطاع بدانا أن يتحدا فلا يصحجن إلا بلدا واحدا ، ولعاش أقل رعياك بين قبائنا في أمان تام ، ولأصبحت التجارة حرة فعلا .

« لو كنت تريد السلام حقلا كان من الصير أن تطرد امتراج الشمين يوما بعد يوم وهذا تكون قد كتبت لعمك سعادته إدخال الحصاره — التي يحمل المصارى مشعلها — إلى بلادنا دون أن تراق قطرة من الدماء .

« إن مشا كل الشمال الإفريقي الداعة لارالت على حالها منذ مائة وعشر من السنين ، ولم ترل كما هي منذ ثلاثة آلاف من السنين ، ولم تنقير إلا الطواهر ، وقد نشأت المعوصى التي تسود السياسة الفرنسية في الجزائر عن بمقما سنده الطواهر نعلقا تاما . ولقد شهد تاريخ المغرب في بواحيه اواسعة كثيرا من الإمبراطوريات الناهره انسرمة الزوان ،

طوتها حياءً يد الخندان ، ولقد صدق الله حقيقته حين قال : إن الدول في الغرب أشبه ما تكون بمشئ الغراب ، يصبح في ليلة ويدل في صحوة ، ولكن رطاً واحداً تمر القرون وسما على الأحداث ، وهو يتوثق مع الزمان ويصبح عامل الاستقرار ، ذلك الرباط هو الإسلام وهو شيء أكثر من دين ، إنه عالم سياسي واجتماعي صقلته العقيدة صقلاً إن المسلم يجد نفسه في وطنه مادام في بلد إسلامي أبياً كان ، وإن طامه الشخصى والدى والاجتماعى يطل ثباتاً دون تغيير ما أقام في دار الإسلام ، ومن هنا نتج أن معنى الوطنية عند المسلمين يخالف معناها عندنا نحن الغربيين ، وأن الحقائق الأرضية الجغرافية لا وجود لها عند الشعوب المستعربة

وبه لما يساعدنا على فهم الإسلام معرفة الرجل الذى خدموه ، لقد قدم الإسلام للعالم فلاحسة وأطلالاً وأدباء وسياسيين وحين اتصلت فرنسا بشعوب الإسلام اتصالاً وثيقاً وحذب نفسها وحماً لوحه أمام رجل هم في نفسه كل صفات الشعوب التى أحذب على نفسها مسئولية حكمها ، ذلك هو عبد القادر .

لقد ترك هذا الرجل طامه الذى لا يحصى في التاريخ الإفريقى للعلاقات بين أوروبا والعالم الإسلامى من طريق هذا الرجل ستطيع أن تفهم معنى ذلك الإسلام الذى يعود إلى البقطة بكل غرائره وتعاليد وعسفته ومطامه^(١) .

ذلك اعتراف صريح بالحرية أمام أهل المغرب ممنس في شخصية بطلم الخاند عبد القادر يحمهم ذلك الإسلام المجيد من كل ضير .
لم يحمر المغرب شيئاً ، وأمامه المستقبل الطويل المجد .

ليبيا .

نقبت كلثان عن ليبيا وبلاد العرب .

قام ليبيا فقد دمها الاستثمار الإيطالى منذ ١٩١١ ، والإيطاليون أقل من الفرنسيين حصاراً وأهل منهم حرة في مسائل الاستثمار وسياسة الشعوب ، ومن ثم لم يتقيدوا في سياستهم لبراسية عرف ولا محلى ولا تنقيد ، وصموا يدم على الأرض كلها بالنصب والقهر وأخذوا ينقلون أسرات وبنالية وقيمونها في الأراضي المصونة ، ويقدمون هذه الأسر قروصاً

(١) نشر هذا الكلام بتوسع M. A. كفة بعد مجلة Le Monde illustre الخامس بالمرثر ولم أستطع تعرف شخصيته الحقيقية .

عنكم من استغلال هذه الأراضي . ولما كان الإيطاليون شغلاً معظمه من الصناعات والزراعة الفقراء فقد رحبوا بالعرضة وهاجروا آلافاً حتى كاد البلد يتحول إلى بلد إيطالي لو لم تتداركه رحمة الله « الحرب الأخيرة التي كسرت ظهر الإيطاليين وحلت بينهم وبين الإبحار على شعب أمزل مسكين .

وإليك حقيقتان تحملان السياسة الإيطالية في هذا القطر وهما تعين عن كل تحقيق . أصدرت الحكومة الإيطالية قانونين سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٣٣ حرمت بهما على الأهالي امتلاك الأراضي الزراعية ، ولم يُسمح لهم إلا امتلاك المحاصيل وأشجار الزيتون وحق استعمال أراضي المراعي .

واستقدمت المهاجرين بالآلاف حتى بلغ عددهم ٧٠٠٠ في سنة ١٩٣٥ وورعت عليهم أراضي الأهاليين

في هذا كفاية ، وليل الإيطاليون بعد ذلك إليهم أشأوا المدن والطرق والواقي والمدارس والشركات ، ليفنوا ما يشاءون ، فهدم كل ما لا يصب لأن شيئاً منها لم يشأ لصحة أهل البلاد ، ولم يكن الناصب ينوي إلا شيئاً واحداً وهو استئصال الليبيين . ولقد استئصل منهم محمد السيف قدر ما سمحت به الظروف . إن مصير هذا البلد المرير اليوم بيد المنتصرين ، وقد رعموا أنهم يستفتون أهله ، ولكن لا شك في أنهم لن يأخذوا رأي الأهاليين في كثير أو قليل

سنة تاريخية عن مطامع اسبانيا في مراکش :

كانت لإسبانيا في المغرب خلال القرن السادس عشر آمال كبار ، فقد كانت دونها منى عبد الواد والخفصيين صيفتين في أوائل هذا القرن صمماً شديداً ، واستقلت بلاد الساحل الهامة مثل تونس وبربرية وبجاية والجزائر ووهران ، وسيطرت عليها جماعات من الملاحين صرعت همها إلى غزو السواحل الإسبانية لإيقاد من تستطيع إيقاده من المسلمين المدينين في إسبانيا وللقود عما يستطيع اعتناقه من سواحل الإسبان وموابهم وسفهم فنهض لهم ماوثة الإسبان الكاثوليكيون يُخبرتهم راهب شديد العصبية هو فرانسكو ريجيميس دثنيروس آلي على نفسه أن يحول المغرب إلى بلاد كاثوليكية وقاد الإسبان في هذه الحرب الصليبية لقاء « يدرو قافارو » . واستطاع لإسبانيا أن يحتلوا على الساحل المغربي مراكر في مواني الرمي الكبير ووهران وبجاية ومديس ودنس وشرش

ومستقائم ، بل احتلوا طرابلس نفسها سنة ١٥١٠ . ولو لم يتدارك الله المغرب بالإحوة الأتراك الأرمية عمرُوح وحبر الدين وإسحاق وإلياس -- الذين أُنقذوا المغرب بطولتهم وانتهوا بأن حننوا الجزائر ولاية عثمانية -- لظل أهل الإسمان في المغرب ثم اضطرت أحوال إسمانيا بعد ذلك اضطراباً أرغمها على ترك كل مراكزها على الساحل الإفريقي إلا سبتة ومليلية ، واحتشد سلاطين الدولة العثمانية الشريفة في مراکش في القضاء على هذه المقية الباقية وظهير بلادهم من المرأة الذخلاء ، وسكهم لم يستطيعوا استخلاص سبتة ومليلية من يد الإسمان .

وحينما ضعف أمر الدولة العثمانية وأحذب عيون الأوروبيين تنحدر نحو بلاد الإسلام من جديد ، كان الإسمان في حمة الضامص ، فسكوا من توسيع منطقة نفوذهم ، واستولوا على تطوان في سنة ١٨٦٠ ثم عقدت هذه سبهم وبين العثمانيين مفاوضات فبها عن تطوان مقابل عشرين مليوناً من الرنالات الأسابية .

مؤتمر الجزيرة الحمراء

وبعد أحوال أسبانيا خلال القرن التاسع عشر مسلماً من السوء حمل بلادها رماً للهوى وموصفاً لسخرية الأوروبيين أجمعين . ولكن فرنسا كانت طامعة في مراکش ، ولم تكن لتجروء على مهاجمتها منعزلة بحافه الإنجليز والألمان ، فلم تزل تمرى الأسبان حتى وقعوا معها معاهدة سرية في مدريد قسمت مراکش عفتصاها إلى مناطق ثلاث فرنسية وإسبانية ودولية ، وأثار هذا الاتفاق محايو مولانا السلطان عبد العزيز سلطان مراکش إحدائك ، فعاثت شجرة دولة أوروبية إلى مؤتمر دولي في الجزيرة الحمراء ظناً منه أن اجتماع الدول يؤدي إلى احتلالها وسلامة بلادها . ولكن المؤتمر لم يكبد مجتمع في الساع من أبريل سنة ١٩٠٧ حتى حيب ظنونه ، فقد قرر المؤتمر ما يلي :

— احترام الدول الأوروبية لاستقلال مراکش ووحدة أراضيها

— فتح مراکش لتجارة الدول على السواء

— السماح لفرنسا وإسبانيا بتقديم مساعدات فنية ؛ لتنظيم الشرطة المراكشية في بعض الوافي .

وكان هذا البند الأخير هو الباب الذي نفذ منه كل البلاء .

فإن فرنسا ، رأت تتوسع في استعمال هذا الحق حتى انتهت إلى فتح مراکش وإلزام سلطانها مولانا السلطان عبد الحميد في ٣ مايو سنة ١٩١٢ بتوقيع معاهدة فاس ، وقد ورد في هذه المعاهدة المنشومة سد يبيع للحكومة الفرنسية معاوضة الحكومة الأسبانية هيأ لها من مصالح جغرافية على شاطئ "المدوة المراكشية" وتم الاتفاق بين فرنسا وإسبانيا في ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ وعقد اتفاق بينهما فارت منه إسبانيا بالمنطقة التي تسمى الريف وهي شبه فوس يعتمد من بحرى مرسى إلى حدود منطقة طنجة الدولية

أعطيت لإسبانيا هذه المنطقة لتنظيمها ولتحصنها وتحتلها ، ولم تكن في إسبانيا نفسها في ذلك الحق نظام أو حصاره أو سير إلى الأمام ، ولكن الدول الأوروبية اعترفت لإسبانيا بهذا التوسع وذلك في أوديه حياته من الحيات التي لا تنحى ، والتي افرقها هؤلاء الأوروبيون في حق الحصار والحرب والنظام .

من كان أحرار الأسبان أنفسهم من أعداء فكرة التوسع في مراکش ، ولكن أحرار الأسبان في كل زمان يحبه الرحمين ورجال الدين في هذا البلد ، وكانت هذه المنطقة معتبرة نظريا جزء من سيطرة مراکش ، وأعطى سلطان الحق في تعيين خليفة له في المنطقة الأسبانية .

ولم يكذب الأسبان صموئيل إيم على هذا لإقليم حتى أسدلوا عليه ستاراً من جديد ، ولم يعد أحد يعرف عن أهله شيئاً وليس أدل على ذلك مما يقوله حوسيه أعظم جغرافي الشمال الأفريقي والمؤرخين شنبوه ، فقد قال في سنة ١٩٣٥ : من معرفتنا عن هذا الإقليم سيئة جداً " ولا يعرف بقية العالم عنه أكثر مما يعرف حوسيه

فإن البلاد لم تدرس الدرس السكافي وم سطر التنظيم لطلوب وزاحف المنطقة على يد الأسبان إلى وراء خطوط ، لأن الأسبان لا يمكنهم فصلاً من نظام أو حصاره بسهولة للناس

ولم تتدخل فرنسا لحماية المصالح الأسبانية لإيجاد ثورة الأمير عبد الكريم في سنة ١٩٢٤ لاستقلت هذه المنطقة من ذلك الحق ولزحف عليها عم الحربة ضد سير ، لأن الحكومة الأسبانية كانت قد فاضت الأمير في الصلح فعلا

عاد إسبانيا إلى السيطرة على المنطقة منذ منتصف سنة ١٩٢٦ وغرب أن تسير على أسلوب من العنف يقضى على مسلمي المنطقة قضاء ، وأحب أن نفتدى في ذلك بالعربيين .

نم قامت الحرب الأهلية الإسبانية ، ومن عرائث المفادير أنها نشأت في المنطقة
الخليجية ، أعلن فرانكو ثورته فيها واستقل بها عن مدريد واحتاج إلى عون المراكشيين
الأشداء فوعدهم بالخير إدام عاونوه ، وقد انشهر سمو خليفة المنطقة الخليجية هذه الفرصة
وأعلن استقلال وراثة العدل والأوقاف عن الإدارة الأسبانية وأرسل إلى مصر بعثة ثقافية ،
لعلها أول بعثة علمية مغربية تصل بلاداً شرقياً . وأسس في القاهرة بيت المغرب ومكتبة التبادل
الثقافي ، وهذه كلها معاجز تذكر بالشكر الجزيل لهذا الأمير الكريم

والإدارة الأسبانية في هذه المنطقة لا تزال بنفسها الكثر من المرونة وحسن النظر حتى
تستطيع أن تؤدي لأهلها خدمة طيبة .

يبد أن المرء الوحيد عن ذلك كله هو أن الأسبان أنفسهم في بلادهم في مثل هذا الحال
السيء من مبيعات الحريات وصيغ المعاملات .

محبى مؤنس

سياسة إسبانيا في المغرب العربي

لأستاذ محمد أحمد بن عبود

ظل الأسبان منذ زمن بعيد يسيطرون إلى المغرب العربي - تونس والجزائر ومراكش - على أنه يؤلف مع أسبانيا وحدة جغرافية و اقتصادية ولذلك بدأ اهتمامهم بالسيطرة عليه سياسيا قبل أية دولة أخرى ، وتشمل ذلك في محاولتهم الرول إلى تونس والجزائر ومراكش في عترات مختلفة من التاريخ بعد سقوط الأندلس مباشرة .

ولقد دلت أسبانيا أثناء القرن التاسع عشر جهوداً بائسة للاستيلاء عمردها على مراكش ، ولكن فرنسا استطاعت أن تحتل عليها بحكم احتلالها للجزائر . وتم الاتفاق بين الدولتين أولاً على اقتسام البلاد بشكل تكاد تكون مناسبة . ولكن فرنسا في آخر لحظة لم تسمح لها إلا بالاستيلاء على منطقة صغيرة في الشمال مساحتها ٢٠ ألف كيلو مربع بينما تقارب مساحة البلاد ٦٠٠ ألف كيلو مربع

ولما حصلت هذه المنطقة الصغيرة نفوذ الأسبان بدأوا يحققون فيها هذه الفكرة واتخذوها في نفس الوقت مركز ارتكاز شعبيون منها العرص لتحقيق الوحدة السياسية مع المغرب العربي تحت سيطرتهم .

وتسير السياسة الإسبانية في المنطقة التي تحصص للمغرب الإسباني شمال مراكش وفق خطة مرسومة وصفت منذ بضعة قرون ، ونتج عن هذه السياسة إلى أهداف واضحة محددة ، وقد اجتازت هذه السياسة عدة مراحل ، وتلون تنفيذها بحسب الظروف والأحوال المتغيرة ، ولكن الأهداف والمبادئ الرئيسية لهذه السياسة لم تتأثر بالأحداث السياسية الداخلية في إسبانيا ولا بالتطورات الكبيرة والاضطرابات في السياسة الدولية

وقد اعتمدت إسبانيا على عدة عناصر قوية للقيام بتعميد خطتها المحكمة ورودنها بكل ما يلزمها من وسائل مادية ومعنوية ، وتستطيع بواسطة تحديد هذه العناصر وتحليل وسائلها وعرض أعمالها أن يصل بسهولة إلى لمس تلك الأهداف التي طلت إسبانيا تسعى إلى تحقيقها ولا تزال تعمل بمختلف الوسائل للوصول إليها .

وقد كانت الكنيسة والامتيازات الاحيية والحيش ثم الإدارة الأدوات العفالة في تنفيذ سياسة إسبانيا في المغرب ، ولذلك ترى من المهم عرض الدور الذي لعبه كل منها في هذا السبيل ، وذلك باستطوع أن تصور حقيقة السياسة الى تسير عليها إسبانيا في شمال مرا كس ، ونذكر أهدافها بالنسبة للمغرب العربي كله . وتستفح من التطور التاريخي للعاصر المذكورة أن الكنيسة كانت أول من اصطلع تلك المهمة ، ثم أصيغ إليها عصر الامتيازات الأخنسية ، ولما دحت إسبانيا إلى شمال مرا كس تصاربت جهود الحيش والإدارة مع الكنيسة على تحقيق غاية إسبانيا من تلك السياسة .

وإرجع تاريخ قيام الكنيسة الإسبانية بمهمتها في المغرب العربي إلى أوائل القرن الثالث عشر ليلادي ، وقد وقع الاختيار على جماعة العراسيسكان لما عتار به هذه الجماعة من الصبر ، وتحمل الآلام والشاق ، وحي من مبدئها الذي يقوم على الزهد والتشعب ، وكانت هذه الجماعات لازمة لم يبد أن تقوم بمهمة خطيرة في ذلك الوقت ، داخل (أراضي الأعداء) وساء على ذلك دعا القسيس سان فرانسيسكو دي آيسيس مؤسس البندب إلى مؤتمر عقد في جنال العراسيس في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، وحصره ٥٠٠٠ راهب ، ونقرر فيه وجوب القيام بمهمة تعلم (قانون الإنجيل للشعوب الكافرة) وحدد المؤتمر أهم منطقتهم لتلك الشعوب بالأراضي التي كان العرب يحتلوها يومئذ في الأندلس ، وشمال أفريقيا . ولم تكن ظروف ذلك الوقت تسمح بإرسال بعثة كبيرة العدد ، ولذلك قرر المؤتمر الاكتفاء بإرسال بعثة مكونة من ستة من العراسيسكان . وعصبت البعثة في مادي الأراضي الشيبية وبدأت تقوم بمهمة التشير فيها جهاراً ، حتى اصططر الحاكم العربي لمدينة إلى إساد أفرادها ، فهاجروا إلى مرا كس في نفس السنة ، وأقاموا في الماصمة ، حيث حملوا يقومون بمهمتهم علناً في إقاد الأرواح ، وعلمهم قانون الإنجيل (للشعوب الكافرة) كما كانوا يقولون ، فبلغ ذلك السلطان أباً يقوب المستنصر بالله فطردهم من الماصمة ، فذهبوا إلى مدينة ستة وبعد الإقامة فيها سنة واحدة رحلوا إلى الماصمة ، وأعادوا الكرة للقيام بمهمتهم ، فألقت الحكومة المراكشبة القبض عليهم وأعدمتهم سنة ١٢١٢ ، وكان سبب الإعدام هو محاولتهم حد اعتقادهم بدينهم والتمسك به وفق ما تسمح به المادي الإسلامية إلى محاولة التشير به جهاراً والقيام بالدعاية لدولتهم . وقد رحمت الحكومة المراكشبة في سنة ١٢٢٥ ، وأذنت لطائفة أخرى من الرهبان تأسيس خمسة معابد ليقوموا داخلها طقوسهم الدينية . وفي القرن الخامس عشر أنشأ جماعة العراسيسكان فرعاً أخرى في طنجة والمراشس .

وكانت هذه الجماعة قد رأت ملك البرتغال الفونسو الثاني حين أن تذهب إلى إشبيلية ثم إلى مراكش في أوائل القرن الثالث عشر ، فرحب بأعضائها وأكرمهم وأمدهم بالمال للاستعانة به على أداء مهمتهم في الأندلس وشمال أفريقيا . فلما بدأت اخيوش الرسانية تحتل شواطئ مراكش بعد ذلك ، كانت جماعة الفرائسيين ثمانية ما يعرف اليوم باسم الطوارق الخامس ، كما قاموا بقتل هذا الدور أمام الحرب المراكشية الأسبانية سنة ١٨٥٩ ، وكان الاحتلال البرتغالي للمدن المراكشية على شاطئ البحر الأبيض والأطلسي يفتح أمامهم المجال لإنشاء الكنائس والمؤسسات ، والقيام بمهمتهم في نشر عقيدتهم ووطن نشاطهم مرصفا بالحيش البرتغالي يصيب ويتسع بحسب تقدمه ويقهره ، ثم انقرضت حركتهم بانقراض الاحتلال البرتغالي حتى انحصرت في مدية ستة ، ثم عادت إلى الظهور في القرن السابع عشر في صورة جديدة حيث أن الحكومة الأسبانية بدأت ترسل منهم سفراءها إلى مراكش للمفاوضة في شئون الأسرى ، إلى أن سمح لهم السلطان مولاي اسماعيل بإعادة مؤسستهم في تطوان وسلا وإرباط . وفي القرن الثامن عشر أعطيت لهم بعض الحقوق المتمثلة بالإقامة ومباشرة العبادة في هذا الوقت جاء القديس ريموني جيروس سفيراً لأسبانيا في مراكش ، فساعدتهم هذه الصفة الرسمية على تقوية نشاطهم ، وقد وقعت حركتهم تناميا في سنة ١٧٩٠ بمناسبة قيام الحرب بين مراكش وأسبانيا ، فماتت بعد أربع سنوات عادوا إلى نشاطهم وفي سنة ١٨١٦ أصدر السلطان مولاي سليمان أمرا عن جميع الأسرى معتقلين وأطلق سراحهم ، فقامت جماعة الفرائسيين بتنظيم شئونهم في مراكش ، وقد عين فيها عدة قضاة لأسبانيا من الزهراء ، منهم مريم دي أروسانو فمصلها في طنجة ، وسمح لهم بإشياء بعض الملاهي البحرية والمأهدة الدراسية في بعض المدن الساحلية .

وعندما فرضت الحماية على مراكش ، وقسمت إلى منطقة تحت الحماية الفرنسية ومنطقة العود الأسباني ، ومنطقة طنجة ، تلاوت حركة الفرائسيين مع هذا الطرف وانقسمت إلى قسمين مستقلين : الأول مركزة في إرباط واحتض منطقة الحماية الفرنسية ، وأخذ الثاني مركزة في طنجة واحتض منطقة طنجة ومنطقة العود الأسباني . وبدل هذا التقسيم دلالة واضحة على أن مهمة جماعة الفرائسيين كانت سياسية أكثر منها دينية . فبين بقى نشاط مركز إرباط يتابع أعماله في دائرته السابقة روى مركز طنجة قد نسج عمله مع السلطات الأسبانية في المنطقة الطبيعية فوسع نطاق أعماله ، وأثارت هروء في جميع المدن والقرى وصار يشرف على كثير من الشئون الاجتماعية والإدارية مثل التعليم والطبع والنشر وعرض

الأعلام وإقامة المستشفيات ، وقد أمدته السلطات الأساسية بتعود سياسي وعييت له محصنات كبيرة من الميراثية المراكشية

وقد كان يعود جماعة الفراسيسكان وسيطرتهم على لشؤون الثقافية سببا في تدهور التعليم عنفوانه مراكش الشمالية لأن مذهبهم -- كما يقول الأب حوس بيس -- يقوم على تعليم الروح على الفكر ولذلك استحبوا الزهد على التمدد على استنبوه على متاع الدنيا كلها . وهكذا تستطيع بواسطة هذا العرص الموحى أن يبين أهم الأهداف التي ترى السياسة الأساسية إلى تحقيقها في المغرب العربي معتمده على جهود الكيسة في أن تستغل جماعة الفراسيسكان لاستعمار البلاد روحيا كما تعتمد على الجيش في الاستعمار المادي

كاتب الامتيازات التي تجمعها الأساس في مراكش من أهم الوسائل التي استغلها أسبانيا للسيطرة على المغرب ، ويرجع أساسها إلى المعاهدة التي أبرمت بين مراكش وأسبانيا في مدمكة مكرس سنة ١٧٩٩ ، ثم أوسع نطاقها في معاهدة الصلح على أن إبرام الحش المراكشي في موقعة طوار سنة ١٨٦٠ ، وقد ساعد ضعف مركز الدولة المراكشية في القرن التاسع عشر أسبانيا على التوسع في التمددات وتحصيل تلك المعصوم ما لا تحتمل ، وقد كان يرداد ضعف مركز الدولة المراكشية كان تسمح نطاق تلك الامتيازات من غير اعتماد على اتفاق دولي أو تشريع مغربي ، وقد حاولت الحكومة المراكشية باحتصاصها أن يحد من طمحين هذه الامتيازات ولكن هروعه لم يساعدها على ذلك وكانت الامتيازات تنقسم إلى عامة وخاصة ، وتخصص العامة منها في البعث الآتية :

١ - هي الإقامة والتنقل :

لما بدأت أسبانيا تعقد معاهدات الأمن والتجارة مع مراكش صار رعاياها من المستأمنين ، وأعطى لهم حق الإقامة والتنقل ، وصار دحولهم في مراكش وانتقل والإقامة فيها لا يحتاج إلى إذن خاص .

٢ - حرمة المساكن

نص في المعاهدة المبرمة بين أسبانيا ومراكش سنة ١٨٦٣ على أن (مساكن الأسبان ومتاحرم موقره ، ولا تعش إلا بإذن القنصل لأسباني في مراكش)

٣ — هو العبارة :

كذلك سجل في تلك المعاهدة حق حرية العباد للعبودية الأسبانية ، ولكمهم أساءوا استعمال هذه الحق وجمعوا ينشرون بديهم في مرا كش كما لو كانت هذه البلاد مجموعة من القبائل المتوحشة لا دين لها .

٤ — هو العبارة

أعطى هذا الحق للرعايا الأسبان في المعاهدات السابقة ولكمهم استعماله في خلق حماية السياسة الذين استعمالهم في التجارة والسياسة معا

تلك هي الامتيازات العامة التي استغلها أسبانيا للسيطرة على أمريكا ، وأصبحت آخر الأمر بأن صارت فيداً خطيراً على سيادة هذه البلاد قبل عرض الخطة . أما بعد ذلك فقد صارت القاعدة العامة هي أن تمتنع الأسبان في مرا كش بجميع الحقوق العامة التي تمتعون بها داخل أسبانيا ، كحرية الشر والاحتجاج العامة وأسس إجماع ، وهذه الحقوق مضمونة لهم بشرائط خاصة ، فإذا وردت فيود على بعضها على سبيل الاستثناء ، أما بالنسبة لأمرا كشيين فإن القاعدة هي منعهم من تلك الحقوق ، وإذا تمتع لهم فبمقتضى سبيل الاستثناء .

وتتلخص الامتيازات الخاصة في النقاط الآتية

١ — امتياز القضاء :

نص في معاهدة سنة ١٨٦٣ على (أن الحكم في المنازعات بين الأسبان أو الأجانب والأسبان يكون من اختصاص القنصل الأسباني ، أما المنازعات بين الأسبان والمراكشيين فالمدعى تتبع المدعى عليه) . وكان القنصل الأسباني رداً على ذلك يختص بتحديد الحالة المدنية لرعاياه ، ويشرف على الشؤون الدينية ويختص بإسعاد وإلقاء القبض على الممارسين من الخديعة من أسبانيا ، وكان يتدخل في تقدير الصلح المقررة على الرعايا الأسبان وحمايتهم وبعدما حصلت المنطقة الخليجية للعودة الأسباني أنشأ بها محكمة أسبانية على أساس هذه الامتيازات ، وقد طغى اختصاصها اليوم على جهات القضاء المراكشي .

٢ - الوصايا التالية .

كان الأسبان كغيرهم من الأجانب لا يدهمون الضرائب العقارية حيث لم يكن يباح لهم تملكها في مراد كثر ، إلى أن أعطى لهم هذا الحق في معاهدة مدريد سنة ١٨٨٠ ، وقد حاولت الحكومة المكشوفة أن تعرض عليهم بعض الضرائب التي كانت معروضة على المكشوفين في سنة ١٩٠٢ ، ولكنها لم تستطع بسبب ضعف مركزها في ذلك الوقت وقد استغلت إسبانيا هذا الامتياز ، بعد أن فرست يعودها على المنطقة الخليجية ، وذلك بإرهاق كاهل المكشوفين بالضرائب ومعاقبة الإنسان منها .

٣ - من التملك العقاري :

أحرر الأسبان هذا الحق بمقتضى معاهدة مدريد كما ذكرنا وقد استغلت إسبانيا هذا الامتياز بعد دخولها إلى المنطقة الخليجية شكل واسع الطاق ، واتخذت منه أساساً لبرع ملكية لأراضي من يد المكشوفين وتملكها للإسبانيين الذين هاجروا لهذه البادية .



سكان المنطقة الخليجية لا يتجاوز عددهم مئويًا واحدًا ، ومساحة المنطقة كلها ٢٠ ألف كيلو متر ، ومع ذلك يوجد فيها جيش إسباني قوامه ٨٠ ألفًا من الرجال ، ولذلك ليس من المنقول أن تكون مهمة هذا الجيش مجرد القيام بالمحاطة على الأمن ، بل لابد أن تكون له مهمة أخرى أكثر خطورة من ذلك ، وسنمعرض هنا بعض التفسيات وتوزيع الاختصاصات والاهتمام التي يقوم بها جانب من هذا الجيش في المنطقة الخليجية ، لعل ذلك يكشف لنا عن أهميته الحقيقية .

تتحكم المنطقة الخليجية حكمًا عسكريًا واداريًا أندلية تامة أو مساعدة للجيش ، وبعد المقيم العام الإسباني في بطوان ارتيس الأعلى للجيش والحاكم العسكري ، وتنتزع عن القيمة شبكة من التفسيات تسيطر سيطرة تامة على مختلف المرافق الإدارية ، وستحدث عن الإدارة فيما بعد ، ونقتصر الحديث هنا على المواقف التي تكشف لنا عن الأهداف السياسية التي أعد هذا الجيش لتحقيقها .

يوجد في الجيش الأسباني بالمنطقة الخليجية قسم كبير مهمته الأعمال التي يقوم بها البوليس السياسي عادة ، وتدخل تحت هذا القسم عدة مكاتب شرف الأول منها على شؤون

المهجرة الإسيابية إلى مراکش، وحوارات البحر والصحراء ، و يقوم الثاني بمهمة الاستعلامات ومقاومة الشيوعية والماوسية والحركة الوطنية المراكشية ، ويحتص المكتب الثالث بشئون الأحاب ويتبعه قسم البوليس الحزبي السري الثقل ، ويشتمل المكتب الرابع على قوة مسلحة مهمتها القتال بالأفراد والهيئات التي يقرر مكتب الاستعلامات وحوار التخلص منها ، وقسم الاستعلامات في هذا الجيش هو أخطر أقسامه ، وقد نظمته الأسان بمساعدة الخبراء الألمان الذين التجأوا إلى إسبانيا بعد الحرب مدعية ، وتعمل بالمقيم عن طريق أركان الحرب ، وهناك مراكر في جميع مدن المنطقة تحتوي على جميع تلك المروع ، لتكون على اتصال دائم بمصها بمصر ، وعمد دائرة القسم ونشاطه حرج المنطقة الخليجية ، فهو يتبع نشاط الحركة الوطنية في أقطار المغرب العربي بصفة عامة ، ويهتم بالحركة الوطنية المراكشية في منطقة التي تخضع للحماية الفرنسية ، كما يتبع السياسة في بلدان الشرق العربي ، وعلى الخصوص النشاط الذي يقوم به المعارضة فيها

يتضح من كل ذلك أن مهمة هذا الجيش لا تقف عند حدود المنطقة الحبيبة ، بل تتعدى ذلك من غير شك ، وإذا استند إلى تقدم القوات الكبيرة من هذا الجيش إلى داخل إسبانيا كلما حدث اضطراب فيها أدركنا أن مهمته تتجاوز نطاق مراكش لتشمل ، وإذا تذكرنا انقيصامه على منطقة طنجة لاحتلالها سنة ١٩٤٠ في نفس اليوم الذي سقطت فيه مارس أدركنا أيضاً أن من مهمة هذا الجيش تحييد الموضع لاحتلال أقطار المغرب العربي ، وإخضاعها للاستعمار الإسباني .



وحواد إسبانيا في المنطقة الخليجية لا يعتمد على اتفاق مباشر بين إسبانيا ومراكش ، وإنما يعتمد على اتفاقية سرية أبرمت بين فرنسا وإسبانيا في سنة ١٩٠٤ ، ثم معاهدة أبرمت بينهما في سنة ١٩١٣ ، وقد نص في مادته الأولى منها أن (إسبانيا ستساعد الحكومة المراكشية على إدخال إصلاحات ضرورية في الإدارة والاقتصاد والمالية والتشريع والمسلحة وغيرها) ومعنى النص واضح في أن مهمة إسبانيا ستقتصر على المساعدة ، وأن إدارة البلاد ستبقى في يد الحكومة المراكشية ، ولكن الذي حصل يخالف ذلك تماماً في السياسة التي سارت عليها إسبانيا في المنطقة الخليجية رامية إلى هدف معين ، وهو أن تصح إدارة هذه البلاد تحت سيطرة الأسان ، وأن يباشر العمل فيها موظفون إسبانيون ، وأن تسيطر على مص المهبج الذي تسيطر عليه الإدارة داخل إسبانيا ، والوصول من كل ذلك إلى حكم هذه البلاد حكماً مباشراً ، وقد تركت

السلطات الإنسانية الحكومة المراكشية حاداً كأداة عاطلة ، واستحوذت على عناصر السيادة ،
ويكفى أن نذكر أن الإدارة الإنسانية تكلف المراكشية عشرة أمثال ما تكلفه
الحكومة المراكشية كلها

وتترك السلطة في يد المقيم العام الإسباني تساعد « البليات » التي هي عمدة قرارات ،
كما يموت عنه في مباشرة السلطة التنفيذية مراقبون في جميع المدن والقبائل .

وقد صدر مرسوم من إسبانيا في ١٢ يوليو سنة ١٩٢٤ بشأن تنظيم اختصاصات المقيم
العام الإسباني في المنطقة الحليبية ، تركت بمقتضاها مباشرة السيادة الخارجية والداخلية للمنطقة
الحليبية في يد المقيم العام الإسباني ، جاء فيه أنه يختص تمثيل إسبانيا في مراكش ، وهو
وحده الوسيط في الاتصال بين الحكومة المراكشية في المنطقة وللدول الأجنبية ، وهو الذي
يشرف على تحضير مبررات المنطقة ، وعلى تنفيذها ، والمصادقة على ما يصدره سمو الحليبة من
مراسيم ، وما يصدره رئيس الحكومة المراكشية من قرارات ، يضاف إلى ذلك حقه في
إصدار قرارات في كل ما يتعلق بشؤون الحاية ، لأسمانية ، وهو المرحع بما يتعلق بالسياسة
الداخلية العليا وبخاصة شؤون الموظفين ، وفي ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٤ صدر مرسوم آخر من
إسبانيا أعيد بمقتضاها تنظيم اختصاصات المقيم العام ، فأضيف إلى الاختصاصات السابقة اعتباره
مثلاً لإسبانيا في جميع مستعمراتها في إفريقيا ، كما نظم العلاقات بين المقيمة في تطوان
والحكومة الإسبانية في مدريد ، وهذه الخطوة تدل دلالة واضحة على ما ترى إليه السياسة
الإسبانية من إلحاق هذه المنطقة بالمستعمرات ، تم صمها إلى إسبانيا في النهاية ، وطريقة
سياسة الحكم المباشر التي سارت عليها السياسة الإسبانية في المنطقة الحليبية تؤكد ذلك
كل التأكيد .

وتساعد المقيم العام على بيانات ، وهي نيابة الشؤون الوطنية والثقافة والأشغال
والاقتصاد والمالية

وتختص نيابة الشؤون الوطنية بأعمال وزارة الداخلية ومراقبة الحكام المعارة ، ولها في
كل فنيه ومدينة مراقب مدد السلطة القضائية وبخاصة حاكم معمرى كتناع له ، وشرف هذه
النيابة على المديريات والمالية الإسلامية والأوقاف وأملاك الحكومة المغربية وشؤون الموظفين
المراكشيين ، وسها قسم للاستعلامات يحتوي على جيش من الخواسبس يقومون بمراقبة كل
مرد وكل عائلة في المطقة ، وفقاً لما أحد من أدبهم ، ولا حصر لماسى الإحرامه
والأخلاقية التي سنوها بسلا ، ولعل هذه هي المهمة الرئيسية تلك النيابة

وشرف بيانة الأشغال على الناحية العمرانية والزراعية ، ولا دخل لأى موظف مراكشى
في هذه الشئون ، وتسير السياسة في هذه الشئون تتوجيهها بمصالح لحاية الإنسانية في مراكش .
و يقوم بيانة الماية بالإشراف على مبراية المنطقة الحليعية ، فتعمل على محضرها وعلى تنفيذها
وعلى حماه الصرائب مساعدة لعقم العام ، ولا دخل للحكومة المراكشية في المسائل المالية
حتى بصعة استشاره

وبيانة الاقتصاد تهيمن على كل ما يتعلق بالإنتاج والتوزيع ، وتتم سياسة الاقتصاد
الموجه ، وبذلك استطاعت أن تهين الفرص للاسريايين للحصول على رؤوب واسعة على
حساب إفقار المراكشيين ، وبالرغم من ترديد عدد الأسباب في مراكش والمهجرة المستمرة
لا تحدد عاطلا منهم عن العمل ومن يشتكى من رول مستوى حياته ، بينما تحدد المراكشيون
سبل لعيش مقلعة في وحوهم وقد مات مائة ألف من امراكشيين سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤
بسبب اصاعة في منطقة الربيع .

أم بيانة الثقافة والتعليم فهي المستعجولة على جميع شئون الهسكر والثقافة والتعليم
لمراكشيين والأسان ، والسياسة التي تسير عليها هي ترقية الثقافة الأسبانية ومقاومة الثقافة
العربية ، وتحدد ارباداً مطرداً في عدد المدارس والمعلمين والتلاميذ الأسان في الاحصاءات
التي تقدمها كل سنة بيانة الثقافة ، بينما تحدد عكس ذلك فيما يخص التعليم العربي ولللدالة على
هذه السياسة نقلها فقررة من مذكرة رسمية قدمها الأستاذ محمد داود مدر المعارف
المراكشى إلى نائب الثقافة في ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٦ وهذا نصها حرفياً :

(لا تتمتع إدارة المعارف المغربية في وصيتها المخاصرة بأية سلطة حقيقية في التعليم
العربي ومهمتها محصورة في تقديم الطالب والافراحت إلى « بيانة التربية والثقافة » والإجابة
على المسكبات أو الأسئلة التي تصلها بها ، وليبانه التربية والثقافة مطلق الحرية في أن تقبل
أو ترفض من مطالب الإدارة الغربية ما يشاء ، وأن تصنع من القوائى والأظمة والمبرايات
للتعليم العربي ما تريد ، دون رجوع إلى الإدارة المغربية ، وما أن بيانة التربية والثقافة هيئة
أسبانية يتولى أمورها موظفون أسبايون مهما سكن مكانهم الإدارية والثقافية فهم أحاب
عن لتعليم العربي ، وليس لهم من الاطلاع على مشاكله والشعور بمخاطبه واسيره عليه
ما للمدرسة ، وليس لهم بظمة الحال من لاهتمام بالتعليم العربي بقدر ما لهم من الالهام بالتعليم
الأسباني ، فقد وجهت بيانة الثقافة اهمها الأكر إلى التعليم الأسباني ، وأصبح التعليم العربي
نوعاً ثانوياً على هامش التعليم الأسباني ، وهذه الوضعية الإدارية هي التي جعلت التعليم العربي
يصل إلى الحدة التي وصل إليها من الصعف والإهمال) .

ثم استعمرت المذكورة في تحليل السياسة التي تسير عليها السياسة في محاربة الثقافة العربية والتقاليد الإسلامية في مراكز ، مستندة على ذلك بالإحصاءات والوقائع الرسمية .

ذلك هي الأهداف التي ترى إنها السياسة الإسرائيلية في المغرب العربي وبعض الوسائل التي تعتمد عليها ، ويحسن ما قبل أن نختتم هذا الفصل أن نشير إلى أن سياسة التتلق للمغرب لم تكن مطلقاً من الوسائل التي اصطفتها إسرائيل داخل المغرب .

ومن المغرب أن الأسس عيول إلى اصطلاح هذه السياسة في بلدان الشرق العربي لاستغلال ما يدعى بعلاقات تاريخية ، وذلك لمرصين أولها استعظام دول الجامعة العربية للاستعادة من مراكزها في العالم الدولي ، وعلى الخصوص في هذه الظروف التي يوجد فيها إسرائيل في شبه عزلة دولية ، وثانها صرف نظر دول الجامعة العربية عن السياسة الاستعمارية التي تسير عليها إسرائيل في المغرب العربي .

« محمد بن عبود »

الحركات الاستقلالية في المغرب العربي

للمؤلف: محمد بن عبد الله

لم يسجل التاريخ صفحة من صفحات الكفاح القوي أوسع ولا أقوى من كفاح شعوب المغرب العربي في سبيل الدفاع عن حريتها واستقلالها ، ومقاومة الاعتداءات الاستعمارية التي دبرتها ضدها أمم لائمية مدعومة بتعصبها الديني وشرها للسيطرة واستعداد لمير

ولئن كان المغرب العربي ما يزال حتى الآن يروح تحت ثقل الاستعمار الأحسى فليس ذلك إلا لأن هذه الأمم اللائمية تعمد كل السد في الاعتراف بالحق ، وبأن أن ثقافة أمم القنات التحريرية ما دامت تحدد من علة الإنسانية وعاصي لتمديد ما يفسح لها مجال الاتحاد المؤقت للثورات التي ظلت أفريقية الشمالية مسرعا لها منذ مائة وسبع عشرة سنة .

وإذا كان تعمل الاستثمار الفرنسي في الجزائر هو الذي عهد السبيل لتحقيق الطامع الأحدثية في الشرق العربي فإنه لا يمكن أن يطمئن عرب الشرق على دهرهم وأهمهم ما دامت أمم الغرب العربي حاصمة للمستعمر ، وما دامت دهرهم مظهر يمكن أن يختارها الفاتحون ليصلوا إلى أهدافهم في هذا المد الإسلامي الذي حكم أسلافنا العرب في مصير العالم كله

لذلك تعتبر الحركات الاستقلالية العربية ذات أهمية عظيمة لا المقاربة وحدهم بل لسائر العالم العربي الذي يشهد الاستقرار والطمأنينة والعدل والحرية ويحقق للمغرب في سائر الدنيا أن يصوا بهذه الحركات وتؤيدها عدايتهم بالحركات الشرقية ، خصوصا وأن القائمين بها معروضون أكثر من غيرهم لمعرفة الأحسى وعطاسته والفساد ومكره لاسيما بعد ما حربه المستعمرون من دهر العرب وحسن تديرهم في الأقطار العربية التي حصلت على قسط لا يستهان به من الاستقلال

اعتصم حرسا على الجزائر في وقت كانت السدود فيها للدولة العثمانية التي لم تستطع من المقاومة إلا قليلا ، ولسكن ما استسلم الولاء الأتراك في الجزائر حتى بدأت مقدومة العربية التي افتتحها وصول الجيش المراكشي في أكتوبر سنة ١٨٣٠ لمدة تسعة أشهر ، حيث استطاع

نائب سلطان المغرب القائد أبو الحسن أن ثواب قتائل الناحية من حوله ويسر بهم لقائمة
الفتح العربي والاسلام التركي ، ثم انصرف لهم الأمر محي الدين عمه القائد لمد
الخراري شهر ، فكان له فصل تأسس المملكة الخرائية العربية المستقلة
استمر الأمر الخرائي يدافع عن استقلال مملكته العتية المستقلة ستة عشر عاما كاملة
انتهت بانتصار القوة العاتية على الحق وكانت السلطة الفرنسية تمارس خلالها بعودها في
داخل البلاد ، ولكن لحرص في نفوس الأهالي روح الثورة ندأته التي طر الصفا بحمدها
أحيانا ، ولكن الطموح للتحرر سمها لتعلن حكم الشعب الخرائي الذي لا رضى غير
الاستقلال بدلا

وقد رمت سياسة نابليون في التوفيق بين مطمح لأهين ومصالح فرنسا وذلك بإعلان
المساواة التامة بين العرب وبين الفرنسيين ، ولكن ذلك هاج هؤلاء الأحرار الذين قاوموا
كل عدل وانصاف للعرب وما سقطت الإمبراطورية سنة ١٨٧٠ حتى تقدم «عاشقا»
رب الجمهورية الثالثة بإعلان قانون (الأنديجينا) وتأسيس مبدأ الاستفتاءات التشريعية
ويحتر هذا التحول في السياسة الخرائية «منحة عهد الاستعمار العاتية والاضطهاد الماكر
في الجزائر ، أي في شمال أفريقيا كلها ، لأن الخرائ كانت المدرسة التي أخرجت أسادة الفطرسية
الاستعمارية الفرنسية .

وإزاء هذه التدابير الطائلة التي تبعتها سلسلة من الاضطهاد الديني والمصري ثارت
الخرائر مرة أخرى ثورة اندلع لمبها في بلاد رواوه ومقاطعة قسنطينة وعمالة الجزائر وكان
يرغم الثورة الناش أعا الحاج محمد المقراني والشيخ محمد الحداد شيخ الطريقة الرحمانية الدرقاوية .
واستمرت هذه الثورة الاستقلالية ستة أشهر كاملة كلفت عرب الجزائر ما لا يحل عن
ستين ألف شهيد وكلفت الفرنسيين عشرين ألف قتيل ، ولم ينجح إلا بعد أن أطلق سراح
سراح الجيش الفرنسي الذي كان محتلا في ألمانيا (بعد حرب السبعين) .

وبعد أن سحق الجيش الفرنسي في إخماد هذه الثورة حكم على ستة آلاف من رجالها
بالإعدام ، وأقصى من رعاها أما مرقا والشيخ الحداد واسيه عرياً ومحمد ومعهم خمسة من
أعيان الثوار إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة في المحيط الهادي ، واستمروا في هذا الملقى القصي
إلى أن ماتوا جميعا . وحكم على الخرائ بعضها بمرامة قدرها ستة وثلاثون مليوناً من فرنك
ذلك الوقت ، ولم تحتر اقتائل عن دفعها قررت الحكومة مصادرة أملاكهم وإحلالهم
عنها وإحلال مهاجري الأكراس واللورين فيها .

ولكن أثر هذه كان عظيم في تقوية الوعي القومي في نفوس الجزائريين ولم تلبث إلا قليلا حتى أعقبتها ثورة استعمارية كبيرة في عمالة وهران برعاية الباشا عاسليان بن حمزة قائد (أولاد سيدي الشيخ) واستمرت هذه الثورة خمس سنوات كاملة بدون انقطاع ،
وفي سنة ١٨٨٢ قامت ثورة القبائل الوهرانية برعاية الشيخ أن عمدة المراكشي ،
واستمرت إلى سنة ١٨٨٥ .

وبل حاش هذه الثورات المسلحة كان العمل السياسي يقوم بدعائه واسعة لمطابق داخل
الجزائر وحاربها ، ولكن لأعلام الجزائر لم تنحرف سعة منتظمة إلا منذ سنة ١٩١٠ ،
حيث مكون الرعيل الأول من الثغرين المصريين وإنشئت لجنة وطنية برعاه أن دره أول
عام جزائري المخرج بعد مضي ٧٥ سنة على الحكم الفرنسي في الجزائر) ومساعدة الصحافي
السيد صادق دهان وأستاذ البالي الحاج محمد ، وكانت عليه اللجنة العمل على تحقيق الجامعة
الاسلامية ولتلك المنظمة بالحركات الثورية القائمة في مهالك الغريبة بدأت

وقامت أثناء الحرب لسكرى حركات ترى لمع احسن من الحارة إلى جانب فرنسا ،
فهر من احسنه آلاف ، وانتعش من الشباب عادر على القنصل شوهاق الميلاد الجزائري رهام
، أنه والعشرون ألفا ، وقامت مطهرات عديدة بطلب بالاعمال عن فرنسا ، وفهر لحساب الدولة
الغربية إلى أغلب الجهاد المقدس فرفة اصلاط الحاج محمد وكانه رمنها ، فاصطر السيو رين
في إعلان ضروره القدام باصلاح عملية في الحارة .

ولما انتهت الحرب لسكرى مكون وفد جزائري رئاسة الأمر حاند ، وقدم لرئيس
ولس مدكره طالب فيها بتطبيق لمادى الواسعة على الجزائر ونكوب حول الأمير خالد
أثناء مقامه بفرنسا حركة معرسة أدب إلى عقد مؤتمر مغربي في أواخر سنة ١٩٢٤ قرر العمل
على تحرير الشمال الأفريقي ، وبعث هيئات تضامن لصر والشام ومراكش تهيئ الحركات
الثورية القائمة بدأت ، وبدعو بضروره تسيير العمل ونوحيد الصفوف العربية للكفاح
من أجل التحرر والوحدة .

ثم اصطفت هذه الحركة بصيغة مجهود سياسي قادي في دره جمعية النجم الأفريقي التي
ترأسها مد عبد مصفى الحاج وكان لها فصل حشد طمقة العمل من أساء المغرب العربي في
فرنسا وفهر نظورت هذه الجمعية إلى حرب بصل بحرية جزائري ويكافح من أجل استعلاها
وسمى كان هذه الجمعية تقوم بعملها السياسي عظيم كانت جمعية العمل المسلمين

رئاسة الشيخ ابن باديس بعمل على تثقيف الشعب وتنويعه وبعث الروح العربي الإسلامي في نفوس أبنائه .

والتقى المهودان معا بعد أن أعلن الشعب الجزائري رفضه لسياسة جهة المؤمر التي كانت ترى محس الخزاز ماحسية العربية كوسيلة لاستقلالها . فقد أعلن ابن باديس في مجلة الشهاب لسان حال جمعية العلماء أن الخزاز ملاذ غير فرنسا ولا يمكن أن يصحح هي فرنسا . بينما أسس مصالي الحاج حزب الشعب الجزائري الذي حشد الشعب كله لمطالبة باستقلال المغرب الأوسط وانفصاله عن فرنسا .

وعتار رغم حرب الشعب بكونه من أبناء الشعب ، فقد منع من بين المهال الجزائريين وأحسن بالأمم وتخرج عصص عامية السنه التي تعامل بها الفرنسيون إخوانه الجزائريين ، سبها في نفسه كما أحسب في إخوانه ، فكان له فصل لعودة مجتمع لقوة الجزائرية التي لم تصعب والاشياء إلى أن حبر وسيلة لخلاص الجزائر هي في توحيد صفوفها مع إخوانها المغاربة والعرب لتحرر المغرب العربي من السيطرة لأجنبية . وسوف أن ابوء الذي يعرف فيه التاريخ بأنقيمة الحقيقة لهذا العمل الذي مث الشعب من صرعه ، وفب وجهته للطريق المستقيمة التي كان بعض مله يحاول سنه ومن السر في

أما مصداق الشعب الجزائري فهي مطالب لقود سن والمعرفة الاستقلال شدم والاصمهم إلى الحامة العربية ، والبعث اروحى ولاحتي للشعب العربي . وأما التصحيحات التي كبدتها حرب الشعب ورجاله فتعوى ما سكده عمرهم من انماهدى الجزائريين ومع ذلك فإن شجاعتههم وثباتهم وصمودهم أمام المستعمر لا يحدده لا أن يعمل جميعا لتحقيق أهدافهم في تحرير الجزائر العربية .

وطنى أن نظم حرب لسطا يعودها على تونس وصرا أكثر بعد أن تم لها فصدما عن بعضهما واحتلال الخزاز . وقد قاومت تونس مقاومة دية ماسية استمرت خمسين سنة ثم هاجتها نقواب الفرنسية فاستسلمت أما في الدفاع عن بلادهم ، ولما احتل الجيش الفرنسي سائر مناطق انقطر التونسي ، انتحأ قوبى من الشعب إلى طرابلس ، حيث استمر في سطيم حرب . عصصات بالحوب التونسي حتى سنة ١٨٨٨ ، أي بعد أن تدارب تركيا عن حقوقها في تونس وسكن ذلك لم يحمل التونسيين شعار الحرية أه يسور الاستقلال . وابتدأ عهد مكوي الحركات السياسية بمحاولات عديدة ، أهمها جماعة الحاضرة التي تأسست سنة ١٩٠٥ من الطلبة الذين

سبق أن أوقفهم الحكومة التونسية قبل الحماية للدراسة في أوروبا ورحلوا إلى البلاد بعد إعلان الحماية عليها .

قامت هذه الكتلة زعامة رئيسها السيد عي أنى شوشة صاحب جريدة الحاضرة بحركة قومية ودينية كانت سدى نازوح الواردة عليها من مصر كصدى للدعاية التي قام بها جمال الدين ومحمد عبده وتفتدى بالحركة الوطنية التي أوقف لهاها الزعيم الشاب مصطفى كامل وكان لهذه الجماعة اتصال وثيق بالحركة الدستورية المراكشية التي كانت تنشر مقالات صافية في جريدته الحاضرة بعد لاساق اودى العرسى الانجليزى سنة ١٩٠٤ .

وأغضب هذه الحركة حركة أهوى وأكثر سطحية هي حركة تونس اعتاد التي كان يترجمها على باش حبه والتي كانت تحذو حذو تركيا العتاء .

استمر هذا الحرب معمر لتأليب الرأى العام التونسى ضد الفرنسيين وانصل بسائر الحركات القاعية في العالم الإسلامى وكانت له بد كبرى في توطيد المعود المائى المسمى في تونس والحزر ، ولم يل كفاحه معو وبسحق حتى وقعت كارثة الحلال سنة ١٩١١ حيث أصرب عمال انزام أمداً طويلا ووقع صدام عيف بين التونسيين واغالية الإيطالية كمد الطرفين عديداً من الفتلى والخرمى طاعتم انقيم العام لفرسى مسيو أ لاوبيت الذى كان من أهم المستعمرين الفرنسيين هذه الفرصة واعتقل زعماء الوطنيين على باش حبه وأجاء محمدا وعبد البرير الثعالي وعبد الحليل الزاوش والشير الصمر وحل حرب تونس العتاء .

وقد أمد على باش حبه والثعالي للجارج مسافر الثانى للشرق ثم عاد إلى تونس . وأما الأول فانتحاً إلى الإسفانة حيث نوى رئاسة التشكيلات مدة الحرب السكرى وكانت له يد طولى في الدعاية للمنايين ونسيق حركات المؤتمر الإسلامى الذى تجول رحاله في أوروبا المحايده مطالبون بتحرير الشمال الأفريقى ولقصاء على مبدأ الاستثمار من أسله .

وعثر على باش حبه اسم شخصية أمحتها تونس في تاريخها الحدث . ولما انتهت الحرب السكرى بشكل وقد رئاسة الثعالي مسافر لفرسا وقدم مذكرة للرئيس وس يطالب فيها باستقلال تونس ، وأثناء مقامه بمصر أصدر كتبه تونس الشهيدة الذى كان به سدى كبير في الأوساط ايسارية في فرنسا والخارج .

أما في داخل تونس فقد انصل أنصار الثعالي بسمو المائى وطلخوا منه مبع الملاد نظاما دستوريا فوعدهم بمو تحقيق رعتهم ، وإزاء هذا بوعد الصريح قرروا تأسيس حزب جديد

أطلقوا عليه اسم الحرب الحر الدستوري التونسي ، وقد عروا عن عابثهم من تأسيس هذا الحرب في البيان الذي أذاعوه على الشعب والذي جاء فيه : « الناية من تأسيس هذا الحرب هي تبليغ الوطن رشده وتحرره من الاستعمار ، كي يصبح الشعب التونسي حراً ممتعاً بكامل الحقوق التي تتمتع بها الشعوب الحرة . وهو يريد أن يصل لهذه الغاية عن طريق التحقيق الماحل لنظام دستوري يسمح لهذا الشعب بحكم نفسه بنفسه وفقاً للأسس التي يسير عليها كل العالم المتمدنين » .

وقد رأس الثماني هذا الحرب بعد رجوعه ، وقام بشر دعوة وتشكيل شعبه وهيئاته في سائر القطر فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى إحداث تغيير موقف في سياستها وذلك بإعفاء القم فلا بدان وتعيين مسيو لوسيان سان حديا عنه .

وما وصل القيم المحدد يوم ٦ بوية سنة ١٩٢٩ حتى تقدم لمقاتلته وقد عرف بعد وفد الأربعين ، فأكد له القيم العام عدم استعداده للتعاون مع الوطنيين على غير ما يرجع للإصلاح الداخلية لأن تغيير النظام التونسي من اختصاص الحكومة الفرنسية نفسها ، ثم توجه الوفد لمقاتلة سمو الباي الناصر الذي أعلن بخاص المارش مع الشعب في مطالبه واستعداد حالته فيما يخصه للمصادقة على تكوين حكومة دستورية . وقد وقف مشادة كبيرة بين الناصر باي وبين الإقامة العامة لم نخرج إلا بعد موت الناصر في ظروف مشبوهة ؛ حيث سافر الثماني سنة ١٩٢٣ للشرق حيث قام بتمثيل بلاده أصبق تمثيل وشارك في كثير من المؤتمرات الإسلامية والعربية بعصر والشام والعراق وفلسطين والهند ، ولم يرجع إلى وطنه إلا سنة ١٩٣٦ . واستمرت الحركة بعده تحت إشراف اللجنة التنفيذية التي واصلت كفاحها وفي ما كانت تسمح به ظروف المنطق والإرهاق ، وكان من أهم ما أشرفت عليه إعداد الشباب التونسي الذي تقدم الميدان للخطو بالحركة الدستورية خطوات واسعة إلى الأمام .

وقد اشتركت الأحيال التونسية كلها في مقاومة المحاولات التي بذلها الفرنسيون لعروسة تونس عن طريق التمسح أو طريق التجنيس .

وفي مؤتمر قصر الحلال ولد يوم ٢ مارس ١٩٣٤ حرب الدستور التونسي ١ - برئاسة الدكتور الماطري وانتخب السيد الحبيب أبو رقية أمينا عاما للديوان السياسي الذي لم يكن يختلف في مبادئه وأهدافه عن اللجنة التنفيذية التي استمرت تمثل الدستور القديم برعاية السيد الطاهر الصافي والصالح فرحات ومحيي الدين القليبي

واستمر الكفاح الدستوري متواصلاً منذ سنة ١٩٣٨ إلى أثناء الحرب حيث اعتقل
وعماؤه مراراً وسجن أنصاره وحكم بالإعدام على الكثير من أفرادهم .

ول ارتقى محمد النصف بن الناصر عرش أسلافه الكرام في أغسطس سنة ١٩٤٢ .
بسط الحركة التوسية وقرب إليه رجالها وطالب الحكومة العرسية بتحقيق آمال الشعب
التوسية ولكن موقفه وكفاحه هالاً العرسيين ، فتولى الحزب الحر حيدو محمود بن رول الخلفاء
توسية أقصاه عن العرش وإبعاده إلى مضي بن مرسا حيث ما زال يعاني دهاق العرسيين
وسوء معاملتهم له

وفي أثناء الحرب الأخيرة تكونت حول الديوان السياسي المؤقت الذي كان يرأسه
الدكتور الحبيب ناصر حركة مدنية مهمة ، وقد حكم بالإعدام على الدكتور ناصر ، ثلثة من رفاقه
وبعد الحكم في بعضهم بين منح الآخرون في الاستثناء إلى مصر والشام حيث انتخبوا بالزعيم
أبي ربيعة بواصلة العمل في ظل خامسة العرسية

وبدأ لقب الحرب الأخيرة أوردتها عقد السكاحون لنوسيون مؤتمراً عام شاركت فيه
النجبة التوسية باسم الدستور القديم والديوان السياسي باسم الدستور الجديد والاتحاد النقابي
التوسية العام ، وأساده جميع الزبوة واتحاد الموطعين التوسيين ، وشخصيات توسية مستقلة
وبعد أن استمرص المؤتمر الحالة ودرس الاعتبارات القائمة صرح

١ « بأن الحجة نظام سياسي واقتصادي شافص مطلقاً مع حقوق السيادة ومع
مصالح الشعب التوسية الضرورية في الوقت الذي لم يقم فيه بأية مهمة تمديدية كما يدعي » .

٢ — « وأكد أنه بين مد بحرية سمع وستين سنة فشل هذا النظام بما قام عليه من
استغلال الإنسان لأخيه الإنسان » .

٣ — « وأعلن أن الاستقلال الماحل الكامل من غير قيد ولا شرط هو النظام الوحيد
الذي يمكن أن يصبح عطلات الماضي وحكي مصير شعب رشيد »

٤ « كما أعلن حق الشعب التوسية الذي لا يروى في أن يستعيد استقلاله وحرته

وصلت مراكن تقاوم النفاذ الاستعماري عليها منذ احتلال آخر إلى سنة ١٩١٢ ،
حيث فرض عليها عقد الحماية الذي أدى إلى تقسيمها إلى ست مناطق :

١ — منطقة موريطانيا أو أقصى الجنوب المراكشي التي اقتطعت من البلاد عامًا والحققت بأفريقيا العربية الفرنسية .

٢ — ومنطقة الحاية الإسبانية

٣ — ومنطقة الحاية الفرنسية .

٤ — ومنطقة طنجة الدولية .

٥ — ومنطقة موريطانيا الآسيانية .

٦ — ومنطقة المقطعات التي ألحقها السلطة الفرنسية بالحرار

حيث دحلت مقاومة المراكشة في طور الدفاع المسلح عن وحدته الثواب العربي واستقلاله ، ولم يستول العربيون والأسبان على أهم المدن المراكشية إلا بعد قتال عسير استمر ثلاثة أعوام كاملة ثم أعقب الحرب الكبرى ، والمغرب كله — باستثناء بعض شواطئه — في يدة عبيدة على الأخص ، وكانت مناطق الثورة مقتصرة على أربعة أقسام .

(١) جهالة والريف .

(٢) مراكز الأطلس المتوسط .

(٣) الأطلس الكبير بجنوب المغرب .

(٤) هيلاب و ب عطا محسوب الغرب أبيض

وقد استمر الكفاح في هذه المناطق كلها ثلث قرن كامل من غير انقطاع ، وصرب المراكشيون في الدفاع عن استقلالهم من أروع المخطوطة والشجاعة ما شهد به الجميع ، وظلت الحرب الريفية مثالا يحتذى في البلاد العربية وغيرها . وظل اسم الأبطال المعارة وفي مقدمتهم أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي رمزا للمقاومة القومية المستميتة التي يتأبى لها المنكوبون في كل جهات الأرض .

وقد كان لهذه المقاومة المسلحة فصل في توحيد البلاد المغربية مصوبا ، والقضاء على روح القبيلية التي عمل الأحاب على منها من حردها وشجيمها بما سنوه من سياسة القواد الكدار وما أسسوه من نظام الإقطاعية الحديدية الذي لم يفرقه مراكش من قبل

وكان للحرب الريفية نصيب حاسم في بث ثقة الأمة بنفسها ، إذ ما كان المعارة يعتقدون أن لهم من القوة الروحية ما يستطيعون به هزم دولتين عظيمتين في عدة مواقع كبرى ، وبذلك فإن هناك حرب الريف وصياح النصر العسكري لم يمت في عهد المراكشيين ولم يبعث في نفوسهم اليأس الذي كان ينتظره خصمهم .

وإذا كان العهد الذي يعصل بين ١٩١٢ و ١٩١٥ يختار بالمقاومة العسكرية ، فإن الحركة السياسية ظلت موارية للعمل العسكري تؤيده وبعضه خصوصا أثناء الحرب الكبرى ، حيث التجأ عدد من الثائرة من بينهم السيد أحمد العتاني للأستانة ، واندموا لمؤثر الاسلامى الذى كان يجمع كثيرا من المجاهدين أمثال الأمير شكيك أرسلان ومحمد مريد وعلى باش حجة . وقد بذلوا جهدا كبيرا لإقناع الدول المجاهدة كالسويد والدرويح وغيرها بالاعتراف باستقلال المغرب وتأييد رحاله . كما كانت الحركة السلفية في الأوساط الحاممية تعمل عملها لتثوير الأذهان ، ومقاومة بعض التصوفه الذين انغمسوا للأخفى يؤيدوه باسم الدين ، ولذين من أعمالهم راء

وما كان عهد المقاومة المسندة ينتهى حتى ردت الحركة الوطنية القائمة اليوم في شكل الاحتجاج على السياسة البربرية التي كان ظهير ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ أكر مطهرها

كان تمام هذه الحركة المعاصرة اندماش عظيم في الأوساط الاستعمارية الفرنسية خصوصا وقد استطاعت أن تلب من حولها سرعة فائقة الشب كله في سائر المناطق الراكضة ، وقد أظهر فيها الشعب المجاهد من انتصحية والعداء ما لا يقل عما عرف عنه في أوقات الكفاح العسكري ، وكان هذه الحركة صداها في العالم الاسلامى كله حيث قدم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها احتجاجاتهم على سلوكها أراء الإسلام في العرب ، ونأست في مصر وسوريا والعراق والهند وأندوسيا الحان للمحافظة على إسلام البربر ، وتأكدت بذلك وبالجهودات التي بذلها الحاج المحسن أو عبيد عمر روابط الحركة المغربية بالحركات العربية والاسلامية في المشرق . ونأست منذ ذلك العهد كتلة العمل الوطني التي ستبر أول حرب سياسية بالمعنى الحديث أسس في مراکش بعد الحماية .

وفي سنة ١٩٣٣ وصفت الكتلة بدمج الإصلاحات المغربية ، وهو عبارة عن كراسة تحتوي على سائر ما يتوقف عليه العرب من إصلاحات ليهم ، وقد قدم للحكومة الفرنسية وخلافة الملك وأيده الشعب بمظاهرات عديدة انتهت بالاعتقال المتكرر للزعما وأصحابهم

وفي سنة ١٩٣٦ عقدت الكتلة مؤتمرا فوق العاده هزت فيه قائمة المطالب المستعجلة التي يجب على إدارة الحماية تنفيذها حالا ، وكلها راجعة للحريبات الديمقراطية والإصلاح الاقتصادي والاجتماعي وصان حقوق الفرد والجمعة ، ونحسين حالة العلاج والصحة والعمل وقد وقع اصطدام عنيف بين الكتلة والحماية أدى لاعتقال علل انعاسي ومحمد اليريدى ومحمد الورداني ، فأعلنت البلاد كلها تضامنها مع رجال الكتلة وقامت مظاهرات عديدة بمواس

ومراكش والرباط والبيضاء ذهب صحتها كثير من القتل والحرق كما اعتقل أناسها آلاف من الوطنيين المراكشيين

وحيثما قامت الثورة الأسبانية راعة فراكو بالمنطقة الحليمية ، وسدت الحدود بين شمال البلاد وحموها ، تقرر أن ينقل كتلة الشمال التي بوى رعيمها الحاج عبد السلام سوية إلى حرب يعمل حسب الخطة التي تقتضيها ظروف المنطقة الحليمية ؛ وذلك ، فتأسس حزب الإصلاح الوطني برئاسة الأستاذ عبد الحالى العارفى . وفى الوقت نفسه نظمت كتلة العمل فى المنطقة السلطانية معها ، وفتحت مراكزها أمام رئاسة علال العارفى ، ولكن إعمال اسحطين على الكتلة هج السلطات الفرنسية ، فأغضب دارها واعتصب كثيرا من أنصارها عند أن ذلك لم يمت فى عصدا . ولم يصر شهر كامل حتى كما قد أعدنا فتح المركز العام والشكيلات التابعة له باسم الحرب الوطنى . سار الحرب الوطنى بسدل الجهود الحمدرة لخدمة القضية المغربية ، وسطيتم الجمهور المراكشى ، ولكن اصطهد لسلطة لأنصاره ووطنها رجائه أدى به إلى عقد مؤتمر عام انتهى باعلان الوثق الوطنى الذى يقضى بالممارسة الكاملة للاقامة العامة وعدم التمرد مع الحكومة مدام النظام الاستعمارى قائما

وعلى أثر إعلان هذا الميثاق اعتقل رئيس الحرب الوطنى علال العارفى ونحو للعاون بأفريقيا الاستوائية الفرنسية ، كما بق عمر عبد الحليل ومحمد البريدى وأحمد مكور ومحمد الوراقى لمتلف مراكز الصحراء المراكشية .

وقد ثار الشعب ثورة عنيفة استمرت شهرا كاملا واستعمل لقمعها الجيش الفرنسى حربه فى صرب العزل من السلاح وتقتيلهم واصطهاد المعتقلين منهم

واستمرت الحركة سائرة سيرها الطبيعى متعاضدة مع حرب الإصلاح ، ومؤيدة بحركة الوحدة العربية التى أسسها الأستاذ المكى الماصرى .

وفى يناير سنة ١٩٤٤ قرر الحرب الوطنى أن يدعو لمؤتمر عام تشترك فيه سائر الهيئات القومية فى البلاد ، فاعقد المؤتمر وقرر تأسيس حزب الاستقلال من الحرب الوطنى وغيره من الهيئات والشخصيات المعروفة فى المنطقة السلطانية

وفى ١١ يناير سنة ١٩٤٤ قدم الحرب الحمد ميثاق الاستقلال لخلالة الملك وممثلى الدول الأجنبية فى العرب ويشتمل الميثاق على :

١ - اعلان الاستقلال والوحدة الترابية خيم مطلق مراكش .

٢ المطالبة بتكوين نظام ديمقراطي شبيه بالأنظمة التي انتمت لها مختلف الحكومات الإسلامية

وقد أبلغ جلالة الملك الميثاق رسمياً للحكومة العرسية بعد ما عقد مؤتمراً عاماً يمثل السلطة العربية فأقره ، وأعطاه مولا ، الملك تأييده قوة الحق الذي لا شك فيه . ثم أحدث وهود الشعب العربي من النساء والرجال نهال على القصر الملكي (طيلة أسبوع التضامن) معنية تأييدها لجلالة الملك وليثاق الاستقلال ، وأعقب ذلك قمع عيب لم يتقدم له مثيل في البلاد .

وكان لإطلاق الزعماء السبعين سنة ١٩٤٦ أثر فعال في تنمية الحركة الاستقلالية التي حظت حتى فسيحة إلى الأمام وقد اتفقت الزعماء كلهم حول جلالة الملك الذي ما احدث يوالي جهوده لإنقاذ البلاد ومحررها

وفي أثناء الزيادة الملكية لمدة طويعة في شهر أبريل سنة ١٩٤٧ أعلن الملك أنه يمثل الأحرار العربية وجمهور الشعب أن مطالبه مراكم هي من المطالب العربية ، وأن مصر العرب العربي مر مطعهه المشرق العربي وهود الجامعة العربية

• • •

أما الكفاح الذي يمدته رجال الحركات الاستقلالية في العرب العربي فينقسم إلى نوعين :

١ - مقاومة المحتل الفرنسي والأسدي والمعل على تحرير العرب من احتلالهما للميه ونتمتع بالاستقلال اتمام في دائرة الجامعة العربية

٢ - لقيام بمجهودات حمارة تحسين حالة اماره والنهوض بهم

وفي كل من الجهتين تقوم الأحرار العربية بأعمال جليلة تؤشك أن وفي نمرها بإذن الله .

ومن مرانا الحركات الاستقلالية العربية أنها شعرت بضرورة التضامن بينها مع بعد أقاليمها مدد مختلف الوسائل لتسيق أعمالها ووحيد اتجاهاتها وأسست إلى عقد مؤتمر العرب العربي بالقاهرة في فبراير سنة ١٩٤٧ ، وقد قرر هذا المؤتمر توحيد المكاتب العربية في الشرق ضمن مكتب العرب العربي وتأسيس لجنة تسيق عليا لحركات الشبل الأفرق .

ولب التحا سمو الأمير محمد بن عبد الكريم إلى محي العاروق العظم واستقر بالقاهرة كان أول عمل قام به هو دعوة الزعماء امارية للالتفاف من حوله ، وقد تحقق بفضله ما أمله المؤتمر فتأسست لجنة تحرير العرب العربي رئاسته الدائمة

ويتضمن ميثاق اللجنة المبادئ التالية :

- (١) العرب العربى للإسلام كان وللإسلام عاش وعى الإسلام سبيل في حياته المستقبلية
(٢) العرب حرة لا يتجرأ من بلاد العرب وسواها في دائرة الجامعة العربية على قدم
المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر على ولازم .
(٣) الاستقلال اللام للعرب العربى هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة تونس
والجزائر ومراكش

(٤) لا غاية يسعى إليها قبل الاستقلال .

(٥) لا مفاوضة مع مستعمر في الجزئيات ضمن التذم احداً .

(٦) لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال .

- (٧) للأحرار الأعضاء في حمة تحرير العرب العربى أن يحصل في محلات مع ممثلى
الحكومة العربية أولاً . عليه أن يقطع اللجنة على سير مراحل هذه المحلات
أولاً بأول

(٨) حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط على اللجنة واحداً
في مواصلة السكفاح لتحرير البقية .

وعلى صوء هذه مبادئ سير حمة التحرير في توجيه الحركات لاستقلالية العربية
مستندة قوسها من الأحرار المثلة في ومن شخصية رئيسها نجل العرب العظيم .

وإن في وجود هذه اللجنة بالقاهرة التي هي عاصمة الجامعة العربية أكر ديل على ما تعلقه
المصرية من آمال على هذه الجامعة الخطيرة وما يحاولونه بين حواشيهم من عسك عبادى
الوحدة المرسدة وتضامن بين شعوب العرب . ولقد ظهر التضامن عظيم بين حاشى البشر
العربى في قضية الحرب التحريرية التي دحنها الجامعة العربية لإيقاد فلسطين المقدسة ونحن
لا نشك في أن هذا التضامن سيمر كل يوم في إردنا حتى تتم تحرير العالم العربى وحمته
وسير العرب حواشاً متحدين للعمل على حرة الإنسانية وسعد الناس .

عزول القاسى

الأمين العام للجنة تحرير العرب العربى

ماذا ينبغي أنه يكونه موقف العالم العربي

إزاء الفلسفة العربية والفلسفة الغربية

للككتور جميل صليبا

١ - لمحة تاريخية

لما اتسع سلطان العرب في عهد المماليك ، وانتشرت في الدولة الإسلامية ديانات ومذاهب مختلفة تحول أن بنت دعوتها ، اضطرت الحنفاء إلى التمسك بالحدس ، وحث المماليك على وضع الكتب في ارد على المحوس والعمرة . وكان من أثر هذه السياسة أن شوق المماليك إلى الإطلاع على العلوم الهندسية التي كانت نافعة الأسواق في بلاد الروم ، فبدأوا بترجمة كتب الحكمة في عهد أبي جعفر المنصور ، ثم جاء المأمون بعد ذلك ، وكانت له في هذه العلوم رغبة شديدة ، فأوفد الرسل إلى بلاد الروم لاستخراج علوم اليونانيين ، ثم حمل المترجمين على نقلها إلى اللغة العربية ، فكتبوا كتب (أفلاطون) و (أرسطو) و (بيورسطس) و (جالينوس) و (فروودوس) و شروح الاسكندر الأفروديسي ، وبعض كتب (أموبيوس) و (ثامسطيوس) و (أفلاطون) وغيرها ، كما رجوا أيضاً بعض الكتب عن المراتبية والفارسية والهندية . ويكنى أن سطر المرء في فهارس الكتب القديمة كعهرست ابن النديم أو كشف الظنون للحاج حبيبة يقع على حقيقة هذه الحركة العلمية الواسعة البطا . فقد بدأت الترجمة بكتابات في الكيمياء أمر نقله إلى العربية خالد بن يزيد بن معاوية ، وبلغ في عهد المأمون درجة ليس فوقها رواده لستريد . ولم يحص على نقل العلوم الهندسية إلى اللغة العربية إلا القليل حتى عكف العرب على شرح معانيها والنسخ على موالها . فاندفعوا لأنفسهم دراسة خاصة مفيدة عقائدهم الدينية وحاجتهم الاجتماعية والسياسية ، ثم نقل هذه الفلسفة إلى العرب وسيطرت على التفكير الأوروبي حتى نهاية القرن الخامس عشر . وهكذا أمر العرب في تاريخ حضارتهم الفكرية بدورين هما دور النقل والإبداع ، ودور الإنتاج والإبداع .

ولم يكن موقف العرب إزاء الفلسفة اليونانية موقف القائل الذي ينقل ما يصل إليه من

العلوم دون إعمال الروية فيه ، بل كان موقعهم وراءها موقف الناقذ الذى ستنق من العلوم ما نفعهم ويحتاج إليه في تفكيره . لذلك نقبوا عن اليونانيين كتب الهندسة والطب والمطبخ والطبيعات والفلسفة وأعرضوا عن أدب اليونان وأشعارهم وأساطيرهم .

وليس أدل على اختيارهم هذه من موقعهم وراءها فلسفة أفلاطون وأرسطو . فقد كان نصيب انعم الأول من النقل أعظم من حظ أفلاطون ، لا لأن كتبه كانت أعظم انتشاراً وأقرب متداولاً بحسب ، بل لأن العرب وخذوا عنها ما يوافق ميولهم وبرغبتهم من العلوم العقلية والقواعد المنطقية فأخذوا بها أولاً كما هي ، ثم رادوا عنها وعملوا على التوفيق بينها وبين العقائد الدينية ، ومقف العلوم الفلسفية في العالم العربي على عهد الكندي والهراني وابن سينا وابن رشد . إلا أن الدولة العربية لم تأت على أمرها وسلط عليها الأتراك والدارية ركبت بها ربيع العمران ، واصبحت منها حربة الفكر ، وأنهم الفلاسفة في صدق زعمائهم وصحة عقيدتهم وحرارتهم الخاصة والعامة . فالمرآة هدم فلسفة ابن سينا وأنهم صاحبها بالكفر والزندقة ، وابن رشد بك في المغرب وأحرف كتبه ، حتى قال الخاج أبو الحسين بن حبير فيه وفي مكتبته .

بعد انقضاء بأحد كل عمود متعلف في دسه متردى
بالمطوى اشتعلوا « ميل حقيقة » إن الملاء موكل بالمطوى

ولا يزال الناس في أيامنا هذه يطلقون كلمة « فلسفة » على الزبدقة والتمويه ، أو على الثرثرة والكلام المارع . وربما كان في قول أنى نواس ممد أوائل العصر العباسي :
فقل لى يدعى في العلم فلسفة حطبت شيث وعادت عاثت أشياء
إشارة إلى إسقاط الفلسفة واحتقار منتحلها .

نعم إن الفلسفة العربية لم تكن مقصورة على الفلاسفة المشائين ، وإن هنالك طائفة من المتكلمين كالمعتزلة وغيرهم صرخوا في الفلسفة تسهم وأمر . ولكن هذه المرق لم تنت فواعد الإنتاج الفكرى الحر ، ولا وطدت أساسه وأحكم عقده . إلا رهة وجيرة من الزمان ، فاستمرت طريق الفلسفة المشائية في النمو والاصحاح . حينئذ كانت تصادع الفلسفة موجودة ، كان علم الكلام ثابت أو طائد مشيد الأركان ، ولكن حيه وهت أركان الفلسفة وتصعدت دعائمها انقلت مباحث علم الكلام إلى اصاع آلى واصطلاحات مدرسية جامدة . ولكن أن نظر في كتب المواقف لمصدر الدين الإنجى وتناقضه وبين كتب المرآة وابن سينا للحكيم

على تطور الفلسفة العربية . في كتاب المواقف علم مقيد واصطلاحات فنية حامده وقواعد
وأحكام ثابته تريد أن تظهر عظم العلم المطلق ، وتصف بضعة الحقائق احادية ، في صكت
المرالى إلى حاسب الصسط ، والإحكام لطيف وروعة نفوح مهمها غير الحرية وشدا الماطلة
والإبداع . ومن أراد الاطلاع على الفلسفة العربية الحقيقية ، فليطلبها من كتب ابن سينا
والنزالى وابن رشد لا من كتاب المواقف .

إن هذه الممحة التاريخية العربية توضح لما العربى الذى يحب عبثه سلوكه في تحديد
موقفنا من الفلسفة العربية والفلسفة الغربية

٢ - موقفنا إزاء الفلسفة العربية

ماذا سعى أن يكون موقف إزاء الفلسفة العربية القديمة هل يحب عبثه الأحكام
كما هي ، أم سعى إلى إبرازها والانعاء نحو الفلسفة الحديثة ؟

لا شك أن الإعراس عن الفلسفة العربية ليس في مقدورنا لأن هذه الفلسفة قد
داخلت دوسما وصيبت أفكارا وعواظها وهي فلسفة عقلية - توحيدية - روحانية ممتدة .
ومن مبادئها الأساسية أن الحقيقة الدينية لا تختلف عن الحقيقة الفلسفية ، وأن الحكمة هي
صاحبة الشريعة والأحب ارضيه ، ومن نظر في آراء فلاسفة العرب من الفارابى إلى ابن سينا
ومن ابن سينا إلى ابن رشد وجد أن التوفيق بين الحكمة والشريعة كان مهمهم الأول ، حتى أن
التأخر من عمائد كالأستاذ الإمام محمد عبده لم يخرجوا عن هذا المبدأ في تفسير آيات القرآن
الكريم وجمع ما جاء في الشريعة مع ما تكشف عنه النظر العقلي المقبول .
المطابق للمقول ، ولا فرق بين حقيقة وأخرى .

ولا شك أيضا في أن الأحكام الفلسفة العربية كما هي لا تتفق مع ما نلعه العلم الحديث من
الرفق والكمال . في الفلسفة العربية أمور كثيرة لا يصح لتوجيه سلوكها في المجتمع الحديث :
النظر إلى نظرية لميص إلى تخيلها ، فلاسفة العرب للتوفيق بين الدين والفلسفة . إن هذه
النظرة مستمدة إلى اعتقادهم أن الأرض هي مركز العالم ، وأن الأفلاك طبقات مختلفة
تحيط بالأرض كما يحيط القشرة باللبنة . ثم انظر إلى نظريه النفس أو نظريه العقل أو نظرية
الطبيعة ، إنها مبنية على آراء لا يؤيدها العلم الحديث . إن لا سعى بنا لأحد بالفلسفة العربية
كما هي ، وإنما يجب علينا أن نتناولها بالبحث كندرس سائر الاتجاهات الفكرية القديمة

لا للاعتماد عليها في توجيه سلوكها ولكن لاستكمال ثقافتها الفكرية وإطلاعنا على ماضيها وتعرفنا أنفسنا

فإذا شئنا أن نكون لنا فلسفة عربية حديثة تأتلف وميولها وحاجاتها الحاضرة ، وجب علينا أولاً دراسة الفلسفة العربية القديمة التي فقدت آثارها دراسة عميقة توطن الارتباط بين اتجاهاتها الفكرية الحديثة وعمقها القديمة . إن الحاضر كما قال (لينين) مثقل بالماضي ويمتلئ من المستقل . والأهم التي ليس لها ماضٍ ليس لها شخصية كاملة ، ومن أعرض عن دراسة الماضي حرم الإطلاع على أحمل آثار الفكر التي خلقتها الأجيال على أن هذا الالتفات إلى الماضي يجب أن يكون باعثاً على الحركة دون الوقوف ، وعلى التقدم دون الركود . إن كثيرين من الشيوع الذين يعيشون في الماضي يحزنون عن نعم الحاضر وبحاراة تطوره ، حتى أن إعماهم عما فيهم ليلهمهم عن كل مكرمة وبحول بينهم وبين فتح طرق المستقبل . لذلك كله ينبغي أن يكون موقفاً إزاء الفلسفة العربية موقفاً علمياً محضاً . وعلى هذا الموقف العلمي أن تريح الأفكار يجب أن يطلب لذاته لا لغيره وكسوره . ومتى طلب التاريخ لذاته انكشف هو نفسه عن كثير من العناصير التي توحى إليها بالأفكار الجديدة ، وتكشف لنا عن كثير من الحلول التي روم الوصول إليها .

هناك أمران يحددان لنا الموقف العلمي ، الأول . هو التعريف بالفلسفة العربية ، والثاني : هو نقدها وتحليلها .

١ فالعرب لا يزالون حتى الآن جاهلين بكثير من مسائل الفلسفة العربية وورع كان بعض المستشرقين أحسن إحاطة بهذه المسائل من بعض علماء المعاصرين . إن فلسفة الكندي والعارفي وابن سينا والهرالي وابن رشد لا تزال محاطة بكثير من المموص ، كما أن فلسفة علماء الكلام من المعتزلة وغيرهم لا تزال مستورة هذا بخلاف كشف ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن كثيراً من الكتب الفلسفية القديمة لم تنسخ إليتنا حتى أصبحت لا تعرف منها إلا أسماءها ، كما أن كثيراً من المخطوطات لا تزال مخبوءة في حرائر الكتب الخاصة لم يطلع عليها إلا القليل من الناس . وليس من مصلحة الفكر أن نبقى هذه الكتب مخبوءة في الصناديق في وقت نحن أحوج الأمم فيه إلى التعريف بماضيها . فينبغي لنا إذن إحصاء المخطوطات الفلسفية العربية الموجودة في بلدان الشرق والغرب ، والعمل على تحقيقها ونشرها ، ثم إعادة طبع الكتب الفلسفية المشورة سابقاً لاشتغالها على كثير من الأخطاء . فبعضها لم يطبع حتى الآن إلا على الحجر ، وبعضها الآخر طبع للتجارة لا للعلم والتحقيق . وبدى أن

٣ - موقفنا إزاء الفلسفة الغربية

إن هذه الملاحظات السريعة كافية لتجديد موقفنا إزاء الفلسفة الغربية أيضاً . فكما أن تجديد الفلسفة العربية القديمة لا يبعثنا عن الأحد ناسات الفلسفة الحديثة ، كذلك لأحد بالفلسفة الغربية كما هي لا يهدينا سبيل الرشاد في مجتمع حائر من روحانية العقل ومادية العلم ، فإذا شئت أن تهتدي في ظلمات الفلسفة الحديثة وحسب عينا أولاً العرايف بها ، ثم نقدها وتحليلها

١ - معنى لما أدلة ترجمة الكتب الأساسية من فلسفة اليونانية القديمة كفلسفة أفلاطون وأرسطو . كتب عربية القديمة المترجمة عن اليونانية مهمة كثيرة التتبع ، لا يتوصل انقارى إلى ما فيها من المعاني اعمية ، لا بعد فراء . ها عدة مرات فقد حكي عن امر ان انه قرا كتاب لعن لأرسطو مائى مرة ، وذكر ان سيبا عن . منه انه قرا كتاب ما عند انطيمية أربعين مرة من عمر أن يعهم ما فيه . ومن نضر إلى كتاب (فاطمهوراس) الذى ترجمه حسن إسحق وحده فيه من لعموض وركا كه الأسلوب ما يدعو إلى فراءته عشرات المرات . كل ذلك يهيب بنا إلى رجة هذه الكتب من لمتها الأصلية بأسلوب عربى واضح لا كما فعل بعض المعاصرين الذين نقوا كتب أرسطو عن اللغة الفرنسية ، ويس فى تجديد هذه الترجمة مصيبة نوقت . يد أن أكثرها قد فقد ، والموجود منها يكتفقه لعموض والالتباس . ومن يذكر أن لتفكير الأوروبي فى أواخر القرن الخامس عشر قد استند إلى الفلسفة اليونانية فى مهسته الحديثة أدرك ما لتعريب كتب اليونانيين من عميق الأثر فى إحياء فلسفتنا العربية القديمة من جهة ، وفى فهم الفلسفة العربية من جهة أخرى . فلسفة اليونانية لا تزال حتى اليوم معجزة المعجرات ، نحد فيها أصولا لجميع المذاهب من (ليبس) إلى (نيتشه) ومن (ديكارت) إلى (كانت) . ومن أراد أن يكون له فى الفلسفة أقل أثر فاعليه أولاً إلا أن يرتوى من معين الفلسفة اليونانية .

٢ - وينفى لنا ثانياً أن نترجم أهت الكتب الفلسفية من اللغات الأوروبية الحديثة ككتب (لوك) و (ديكارت) و (ليبس) ، و (اسپينوزا) ، و (هيوم) و (كانت) ، و (هيجل) ، و (شوتنهور) ، و (سينسر) ، و (نيتشه) ، و (برعسون) ، وغيرهم . والترجمة ضرورية لنا فى أوائل الأمر أكثر من الدراسات التحليلية التى يقوم بها بعضهم ، إذ أن فائدة هذه الدراسات مقصورة على التعريف بالفلسفة الغربية ، وهى لا تنطسك على

أفكارهم إلا من وواء حجاب ، وإذا فهمت ما كتبه أصحابها لم تجد في آرائهم ما يرفعك إلى
 مصاء الفكر ويوحى إليك بالمعاني الجديدة والآفاق الواسعة . ومن شروط هذه الترجمة
 أن ينقل الكتف عن اللغة الأصلية إلى كتف بها ، لأنها إذا نقلت عن لغة ثانية كان ذلك
 باعثاً على غموض الأفكار واستعصامها عن الفهم . دع أن أترجم لا يحسنون الاختيار دائماً ،
 فيترجمون ما يصل إليهم من الكتف عن غير هدى ، من غير أن يكون لها قيمة حقيقية . مثال
 ذلك أن بعض قراء العربية كانوا إلى عهد قريب يظنون أن (عوستاف لوبون) هو أعظم
 علامة العرب . والسبب في ذلك يرجع إلى أن بعض الأساتذة نقل كتبه إلى اللغة العربية
 لاشك في أن (عوستاف لوبون) قد شارك في علوم كثيرة ، إلا أنه لم يتمتع في أي علم من
 العلوم بعمق رجال الاختصاص فهو قد كتب في علم الاجتماع ، ولكنه لم يكن عالماً اجتماعياً
 كدورتهايم وليني رل ، وقد كتب في نظريات العرياء ، ولكنه لم يكن عالماً فيزيائياً
 كبن ران ، وطومسون ، وكتب في التربية ولأخلاق ، ولكنه لم يبلغ في ذلك ما بلغه
 (جيمس) و (دوى) و (كلاريند) في الضروري ، وإن أن يوسع برصع خاص لترجمة
 أمهات الكتب خلال مدة محدودة من الزمان ، تنوّل اللعنة الثقافية جامعة الدول العربية
 الإشراف عليه ، ثم نزع العمل على الاختصاصين في مختلف الدول العربية شمهده وإعجازه
 وسعى له في الوقت نفسه العمل على وضع دراسات عميقة عن اتجاهات الفكر الغربي ،
 وتحليل آراء الفلاسفة الغربيين ونقدتها ، ثم المقارنة بينها وبين بعض الآراء التي تحدثنا عنها
 فلاسفتنا القدماء .

وقد يقال إن في العالم العربي أنواعاً من الفسلفة لا تلبس وعمقها الأمة العربية ، وإن
 نقل هذه المذاهب إلى لغتنا قد يؤدي إلى اسهواء الكثير من الناس ، وإدخال الغوصى على
 العقائد الموروثة ، فقول رداً على ذلك إن نقل هذه المذاهب لا يؤدي بالضرورة إلى انبعاثها .
 فهي الفلسفة العربية مذاهب روحانية ومذاهب مادية ، كما أن فيها مذاهب حيالية ومذاهب
 وحودية . وهي نهات ويهدم بعضها بعضاً ، كما تساعد وتعاون . فإذا ترجمت كلها معاً
 استطاع انقاري العربي أن يفرق بينها ، وأن يكون لنفسه بعد ذلك رأياً شخصياً ورعاً كان
 ينقل هذه المذاهب المختلفة أثر عميق في تربية حرية الفكر . لقد تعود معكرونا أن يقيّدوا
 آراءهم الفسفية بالعقائد الموروثة والتقاليد الاجتماعية المعروفة ، وإذا خرجوا على هذه التقاليد
 أنذروا حولهم موجة من السخط والاستفكار ، إن الإبداع الفسفي شبيه بالإبداع الفني .
 لا يسمو إلا حيث زداد حرية الفكر . ومنى حصص لتقيود الاجتماعية والسياسية انقلب إلى

تقليد محض واتباع آلى أصعب إلى ذلك أن الفلسفة العربية ليست مصادرة لمعبرينا ، وهي قد تولدت من الفلسفة اليونانية كالفلسفة القديمة ، كما أن فلسفتنا القديمة قد أثرت في التفكير العربي نفسه . إن القديس (توما الأكويني) و (روجيه باكون) و (عيوس دو فريسي) قد أخذوا كثيرا عن ابن سينا وابن رشد ، حتى إن إغجاب (عيوس دو فريسي) بهما كان لا يقل عن إغماجه بأرسطو . فليس بيننا وبين العربيين في هذه الماحية إلا فرق واحد ، وهو أن الفلسفة العربية قد أصبحت من العالم العربي إلا قليلا من رسومها مبدؤها في عاريق من الناس وتحت رقبة من عماء الدين ، أما العرب فقد عرفوا الفلسفة اليونانية أولا عن طريق الفلسفة العربية ، ثم عرفوها ثانيا بصورة مباشرة ، وبقيت الفلسفة هتكت نافذة الأسوان متحددة الرسوم حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من الإبداع والكمال . فليس في الفلسفة الأوروبية إذن ما يحايف عبقرية الشعب العربي وميوله بل إن تكامل الفكر العربي يقتضى اقتباس الفلسفة الأوروبية وربطها بالأسول اليونانية القديمة التي حططها . ومتى تم لما هذا الاقتباس استطاعنا أن نمجد فكيرا وأن ندفع لأنفسنا فلسفة عربية حديثة .

وقصارى القول أنه سعى أن يكون موقفا إزاء الفلسفة العربية ، كما كان موقف أجدادنا إزاء الفلسفة اليهودية . وهو موقف إيجابي يدعو إلى ترجمة الفلسفة العربية ونقلها والأخذ بكثير من مسائلها ، ثم تأليف عناصرها في قلوب عربية ، مسنوحة من ماضي الأمة وحاضرها

٤ - موقفا إزاء الفلسفة بصورة عامة

لأن أن نشير في آخر هذا الفصل إلى أنه سعى لنا في كل ذلك أن نتجنب التقليد المحض . إن علامات اشهرية طالحة بالعلال - الفلسفية ، كما أن دور اشتر تصدر في كل شهر كتبا فلسفيا موضوعا أو مترجما . إلا أن هذه الزيادة في الإنتاج لا تدل على إنتاج حقيقي وإعناحي زباده وهمية مبنية على التقليد المحض . لقد أصبح البحث في الأمور الفلسفية عندنا ربا من الأرباء لا أكثر ولا أقل . وقد وجدت كتابا لم يكن له في هذا الحقل باب واسع وهذه الظاهرة تدل على أن افكارى العربي يرغب اليوم في مطالعة المواضيع الفلسفية بالرغم من استحلال الفلسفة العربية وروال رسومها من روعا . ولكن معالجة هذه المواضيع لا تنمى الآن طور التقليد الأعمى . إننا نقلد العربيين في كل شيء ، نقلد في الآراء كما نقلد في الأفكار والمواظف . نعم قد يكون التقليد ضروريا في المرحلة الأولى من حياة

الفكر . إلا أنه إذا طال أفقد الفكر روعته وعقريته . فإذا شئنا أن نكون لنا فلسفة عربية مستمدة من الفلسفة العربية القديمة والفلسفة الغربية الحديثة معاً وجب علينا أولاً أن نتجنب التقليد الأعمى ، وأن نسمو إلى بعاع الاستبصار والإبداع ، وهذا لا يمنع من أن يكون في العالم العربي فلاسفة مقلدون يذهبون إلى ما ذهب إليه ابن رشد في وحدة العقل ، أو يقولون عما قاله ابن خلدون من إبطال علم ما بعد الطبيعة ، أو يعتقدون مذهب (كانت) أو (أوست كومت) أو (سبسر) في نظرية المعرفة ، إلا أنه ينبغي أن يوحّد إلى جانب هؤلاء التاميين فلاسفة آخرون مبدعون يقتسمون العناصر من هذا وهناك ويصوغونها في قوالب جديدة . والشرط اللازم لهذا الإبداع هو في نظرها تلك الفلسفة من عقائدها وإفلاذ حريتها وتحررها من القيود لتقليده والسمط الاجتماعي . وليس في حرية التفكير أي خطر على الدين ، لأن الإبداع أقوى من أن يتصدع لمحاول العقل . لا بل قد يكون في هموم عقل تأييده ورجوع إليه . وبالفلسفة إلا شعراء يصوغون مادة العلم في قوالب عقل ، كما يصح الشعراء من صور الطبيعة رموزاً ومخاربات ، وقد نظرنا إلى الفلسفة هذه النظرة القيمة . أمكننا أن نجد لها دار الأمن ، وأن نقضي عن المتعصبين كما تقضي اليوم عن المشركين .

جميل صليبا

هل يمكن وضع خطة مشتركة للعالم العربي

في ترجمة أمهات الكتب الغربية في العلوم والآداب ؟

للمكتوب جواد علي

أنا من الداعين إلى ضرورة تسيير الجهود في مختلف نواحي النشاط الإنساني في هذا العالم العربي ، في الأهداف السياسية وفي المشاكل والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والصناعية ، والتعليمية والزراعية وفي كل حقل آخر . العالم مقل الآن نحو تكوين المجتمعات والكتل الكبرى ، وفي العالم ليوم مجموعات من الكتل مثل الكتل السلافية والأسكوا أمريكية واللاتينية ، تجري في العالم العربي أن يوسع مجال تناوبه فلا يقصره على الأقطار الداخلية في نطاق جامعة الدول العربية ، بل يدخل في ذلك كل الأقطار التي تشكل بالغة العربية ، ويسعى لتوحيد جهودها ومعالجة مشاكلها في نطاق المصالح العربية الخالصة البحتة ، ضمن الهدف القوي فقط

والساحية الثقافية من أهم النواحي التي يجب توجيه عنايته خاصة لها ، لأنها تمثل أهم شيء في الإنسان وهو « العقل » ونعني بتأثير هذه الثقافة يمكن ضبط المواضع ونقرب لانتماءات وكبح الدسائس الأخسية ، التي يحول التعرض بين أبناء العالم العربي وأقطاره

ولابد للأقطار العربية اليوم من تعبئة بحري تفكيرها القديم ، وتوجيه توجهها لتلازم ومقتضيات الزمن الحديث . ولاقتلاب الذي طرأ على الإنسان والذي سيطر أعليه في مستقبل ، فيكيف نفسه وفق هذه مقتضيات ، ولائح بين حياته وحاجيات الزمن القادم . وحيث أن ذلك تتمدد على القطار العربي الواحد انقيام به ، فلا بد للأقطار العربية من تسيير جهودها مشتركة وتوجيهها اتجاهاً تشد أزره كل الأقطار .

ولما كان لابد للأقطار العربية من الاصلاح على محاري التفكير العلمي والإبتداعات الفكرية في الأقطار الزراعية ، فإن من الضروري لنا نحن أمهات الكتب إلى العربية ، للوقوف على أحدث ما أنتجه العقل وما أبدعه الفكر البشري في كل مكان

هناك مؤلفات أتيح لمتقني ثقافة حديثة الوقوف عليها سماتها الأصلية مثل الإسكندية التي وجدت لها قراء في الأقطار العربية التي كان ولا يزال لها اتصال سياسي وثقافي مباشر بالكلية وأمريكا ، مثل مصر والعراق وفلسطين ولبنان وسوريا والعربية التي وجدت لها رواجاً بعد انمواعل السياسية ، أو انمواعل الثقافية مثل المدارس العربية والمئات العربية في قسم من الأقطار العربية ، وعلى الأخص سوريا ولبنان ومصر ، والألمانية بعد المتقنين الذين درسوا في المدارس الألمانية أو في ألمانيا نفسها ولاسيما في الطب والكيمياء والصناعة والاستشراق

أما الذين كانت ثقافتهم دور الثقافة العالية أو كانت ثقافتهم اللغوية سميفة أو دور اوسط ، أو اقتصر ب ثقافتهم على الثقافة القديمة ، فقد حرموا من هذه الاطلاع على الثقافات الأحدثية ، وحرموا من الاستمتاع بها وهذا طبعاً نقص كبير جداً يجب على البلاد العربية تلافيه .

وهناك مؤلفات لم تنجح حتى لأعلى المتقنين ثقافة حديثة عالية الاطلاع عليها بلغاتها الأصلية ، وذلك لكون اللغة التي كتبت بها من اللغات التي لم يكتب لها الرواج ، ولكنها مع ذلك من اللغات التي كتبت بها مؤلفات قيمة وثمينة في مختلف نواحي النشاط الإنساني مثل الروسية ، والهنديّة واسويدية والرومانيّة ، والداعاركية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية ، وغيرها . وقد أتيح لقسم منها الترجمة إلى اللغات الرانحة ، مثل الإسكندية أو العربية ، فاطلع عليها من محسن هابن اللغتين ، وحرم من لم يبل الثقافة الحديثة حتى من هذه الناحية ، خلا مترجمات معدودة ظهرت في اللغة العربية عن هذه الترجمات في الأكثر ، وعن اللغات الأصلية بواسطة أشخاص ساعدتهم الظروف على التثقف بهذه اللغات وهذا في القليل ، وهم أشخاص يمكن عدم في كل العالم العربي . ونقص الكثير مهم التمكن من اللغة العربية وصعوبة التعبير عن أفكارهم بلغة فصيححة سليمة ، وسبب نشأت هؤلاء في الأقطار العربية وعدم وجود المشجعات لهم على الترجمة ، وسأهمها المال اللارم ، ولصعوبة قيام كل قطر بمفرده بتقديم المونة اللارمة ، وحرر على البلاد العربية مشركة وضع خطة موحدة منسقة في ترجمة أهمات الكتب الغربية في العلوم والآداب .

لقد انصرف عدد لا يستهان به من المترجمين إلى ترجمة الكتب « الرحيمية » الكتب السهلة العامة ، والكتب التي تنجح انصافاً إلى يهتم بها الشباب في أدوار المراهقة ، أو الجمهور بعد حدوث مشاكل طارئة ، فمحمد طابع المهرج في الغالب ، وهي كتب أطلق عليها اسم « الكتب الدورية » أو « الكتب الموسمية » وذلك لرواجها والإقبال المتوسطين والجمهور

العام على قراءتها ، وضمان الربح منها أو الحصول على نفقة ما صرف عليها على الأقل

أما كتب التخصص وكتب الدراسات العالية ومحس في حاجة شديدة إليها - هي في نظري أشد من كتب التاريخ أو الأدب - فقللة أصحابها ولصعوبة فهمها على المتوسطين ومن هم دون المتوسطين . ولكونها من مواضع التخصص التي تحتاج إلى دراسات عالية فقد أصبح نصيبها الإهمال ، ولم يقدم الناشرون على طبعها في النادر إلا وهم على علم تام بأنها صفقة خاسرة ، أو عمل ممتع غير مفيد من الوجهة التجارية ، وهي كذلك في بلاد الغرب ، غير أن مما يتفلب على هذه الحوائل هناك كثرة عدد طلاب الجامعات وندارس العالية ، وأصحاب التخصص وميلهم إلى زيادة ثقافتهم التخصصية ، حتى بعد تركهم مراحل الدراسة والجامعات بسبعين طويلة ، من جهة ، ومساعدة الحكومات والجمعيات العلمية والجهات الخيرية في طمع هذه المؤسسات العميقة المركزة التي لا يظلمها في الغالب إلا ذوي التخصص والبحوث ، وتقديم المساعدات وكل وسائل التشجيع لتؤلفين والناشرين بنشر تلك البحوث من جهة أخرى .

وبأحد مثلاً على ذلك كتب المستشرقين وهي من الكتب التي لا يمكن أن نعود على المؤلف أو الناشر في الغرب روح مادي ولا انعكاس موهن عن تلك الأنماط . ولولا مساعدات الحكومات لأغراض سياسية ، ولولا مساعدات الجمعيات التي أشتت لأغراض تشييرية ، أو الجمعيات الاستشرافية العلمية ، والمؤسسات الخيرية ، لتوهت حركة الاستشراق . فهذه المنشآت هي التي تقوم سد عقبات النشر وحقوق التأليف ، وكذلك تعمل الحكومات والجمعيات في تشجيع المروء العلمية الأخرى التي لا يمكن أن يشترسب إلا دور التخصص والأبحاث .

والعالم العربي اليوم في حاجة شديدة إلى نقل أمثال هذه الكتب إلى الأمة العربية لرفع كفاءة المتخصصين ، ولزيادة ثقافتهم العلمية والمسلكية ، لأساً على أبواب مهمة ، ونهضة لاند أن تبدأ بالترجمة ، ثم تأتي بعد هذه المرحلة مرحلة التأليف ، وهي مرحلة لم يصل إليها حتى الآن . والأقطار العربية يمررها عاحرة عن القيام بهذه المهمة الشاقة ، فلا المترجمون الاختصاصيون متوفرون في كل قطر ، بعدد كاف ومعدد كافية ، ولا الناشرون يقدمون أو يستطيعون تقديم المال اللازم للطبع أو تمويل الترجمين موفدا عادلاً مناسباً وبجهود التي بدل لترجمة الكتب الدقيقة والأمهات ترجمة علمية فنية ، ولا الحكومات العربية تستطيع كل تمررها ترجمة ما محتاج إليه من الكتب في مختلف العلوم بصورة منتظمة ومستمره

في كل عام . أصعب إلى كل ذلك الخطر الذي يعم عن تكرار ترجمة كتاب واحد وفي عدة أنظار عربية ، فتذهب جهود المترجمين سدى .

وترجمة أمهات الكتب ترجمة أمينة دقيقة بأسلوب رصين ، وإيجاده سبك انماني التي صيها المؤلف في فوال غاية في الحبل وحسن الذوق ، وسبحو الفن ، بسبت من الأمور المهمة ، لأنها تستلزم ما يكون موارا لمن مؤلفها الأصلي ، وعما بالاعتين وعحصا في الفن الذي وسع فيه المؤلف مؤلفه ، وأسلوبا بليغا في اللغة التي سيجرح إليها المؤلف الكتاب ، حتى لا يفقد المصنف الأصيل روعته وبلاغته وبأثيره في القوم . ومثل هذا العمل يحتاج إلى جهد عقلي كبير ومدد طولة من الزمن ، إلى أن تأخذ الترجمة شكلها النهائي الرصين ، وهو عمل قد لا يشجع طرود المترجمين الدية أو طرود الدشرين وميلهم إلى استعمال أتعاب المترجم - على ترجمة « الأمهات » ، والكتب الحديثة ، وكتب البحث والتحصيل

فلأجل ندبة العالم العربي بعداء ربحي دسم ، ولأجل مبريقه خلاصة عقليات الأمم الأخرى ، وقرب عقليات تلك الأمم من عقلية عربية والعقلية العربية من تلك الأمم ، ورفع مستوى الأمة العربية الثقافي ، ولتحجيف الصعوبات التي تقف أمام المترجمين والمباشرين في سبيل ترجمة أو نشر الكتب العلمية أو الفنية المحترمة أو كتب الأدب الرفيعة ، ولتعزيز الناس قراءة هذه الكتب ، ونشوتهم إلى قراءتها وإخراجها بصورة علمية فنية دقيقة ، لكل هذه الأسباب ، وجب وضع خطة مشتركة للعالم العربي في ترجمة أمهات الكتب العلمية والأدبية والصناعية والفنية إلى اللغة العربية . كأن تقوم اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية وهي أعلى مؤسسة ثقافية رسمية للدول العربية ، بتظيم حركة الترجمة وتوجيهها وتوجيها بتعق مع حاجيات العالم العربي الثقافية والعلمية وأهمية المواضيع

وفي دائرة منظمة « بوسكو » شعبة حاصه مبنها بشجع « الترجمة » وتقديم كل المعونات ممكنة إلى المترجمين ، ولها شرات بصدرها وقوائم ترسبها إلى الدول الأعضاء ، وإلى من يطلبها ، فيها معونات عن الكتب القيمة والصعاب البعيدة التي تعد من الكتب الخالدة بالنسبة لآثار الأدبي والفن في آن واحد . أخرى بجامعة الدول العربية أن تنشأ بها شعبة خاصة تتولى مهمة بيسير ترجمة أمهات الكتب ترجمة دقيقة صحيحة بحيث تكون صورته صادقة للأصل ، على أن يستمع آراء الخبراء والمخبرة الفنية التي حصلت عليها المؤسسات العلمية العلمية التي تعنى بأمر الترجمة والتأليف وعما يتعلق بهما سد نحو فرن .

ويمكن تحقيق هذا التعاون في نظري بتوزيع العمل بين هيتين :

١ — هيئة اللجنة الثقافية نفسها

٢ — الدول العربية دولة دولة .

فتقوم اللجنة الثقافية بحامعة الدول العربية بنسط من الترجمة ، وتقوم كل دولة بنسط آخر بورع عليها حسب دعائها وحسب لاحتياز في ترجمة الكتب التي رعب فيها كأن نشتير اللجنة الثقافية الدول العربية ، من ابتداء العام ١٠ الى للحامعة ، لبيان رأسها في الكتب الى يستحسن نفسها من العرب ، لأحذية محسنة ، وفي شئ المواضيع التي تحتاج إليها اللغة العربية . وبعد وصول ردود الدول إلى هذه اللجنة ، توجد وتصف وتورع حسب الأهمية ودرجة ، ثم تصاف إلى هذه القائمة ، ومن إليها من ردود العلماء ودوى الاختصاص والتشجر في البلاد العربية ، بعد أن يكون قد وجهت إليهم دعوى خاصة تحثهم فيها على اساهمة في تقديم مشوره في الكتب التي تلح لدرجة ، وبعد تصيغها ، تصاف إليها ما لم رد في قائمة الدول العربية إلى القائمة ، عند افتتاح اللجنة الثقافية أهمية تلك الكتب وهندتها ، ثم توجد وتعرض على مجلس حامعة الدول العربية للمطرح فيها بانها مشعوعة بتقرر اللجنة الثقافية عنها

وبعد الموافقة عليها تورع على الدول العربية لاحتياز كل حكومة م رعب في ترجمته من هذه الكتب ، وبعد وصول ردود الدول نشر أسماء الكتب التي ستقوم كل حكومة ترجمتها إلى القائمة العربية في نشرات الحامعة ، وفي الصحف ، وتخصر دور النشر بذلك حتى يكون على علم بالموضوع ، فلا تشكر المترجم أو صاحب مترجم يوشك على الانتهاء من عمله ، ظهور ترجمة فتذهب أعياه سدى

وتقوم الحامعة نفسها بنسط آخر من ترجمة فتحتار هي لنفسها عدداً من الكتب من هذه القائمة المختارة للمترجمة ، على حسب مزايتها الخاصة ، بعد أن نشر أسماءها وتخصر الدول العربية ودور النشر نفسها مستعزم منها ، وبعد معرفه إذا كان هبلك من قام بترجمتها الاتصال به وأوتوف من حجة قوله ودرجة ترجمته ، فإذا ما تأكدت من ذلك في خلال مدة معينة أهدت اللجنة الثقافية في مباشرة العمل

وأرى أن سوع احامعة الكتب التي يصح للترجمة فلا تقتصر على لون واحد وترك سائر الألمان الأخرى ، ثم سطر في بورع كتب الكتب على من يصح للقيام بعمل الترجمة من المتخصصين في هذا س في كل البلاد العربية

وهذاك مشكلة أعادت حركة الترجمة ، وهي أن أكثر النقصان الذين ثقفوا ثقافة حديثة والذين يقتنون لغة أحذية ، ثقاً ، حيداً عن اختصاص ، لا محسنون وصع الكتب التي يريدون

ترجمتها بلغة عربية سليمة وبأسلوب نصيري قوى يعطى الترجمة روعة وبلاغة ، لذلك فهم معروفون في العالم من الترجمة ، ولا يقسمون عليها ، ولا سيما الكتب العلمية التي تحتاج إلى مصطلحات ومسميات ، وإذا أقدموا كانت ترجمتهم ركيكة عامصة غير مفهومة لا تؤدي الغاية التي من أجلها ترجم ذلك الكتاب ، وقد سبى إلى فيه المؤلف العلمية ولغته الأصلية التي ألف بها .

ووضع خطة موحدة مشتركة يمكن للعالم العربي الحصول على ترجمات علمية متقنة بلغة متينة ، وبأسلوب بليغ رصين ، ويمكن الحصول على مثل هذه الترجمات بتكليف لجنة من كبار التخصصين في الموضوع ترجمة الكتاب مشتركة أو بتوزيع العمل على الأعضاء ، ما فهم ، بأن بقوه كل واحد منهم بترجمة الفصل الذي يرغب فيه ، وفي كلتا الحالتين لابد من التشاور والتداول في الترجمة وعرض كل واحد منهم ما ترجمه على الآخر لتدارك ما قد يحدث فيه من سهو أو هباب في التعبير أو ركة في الحل .

ومن الممكن وهو الأفضل في نظري ، تشارك جماعة من الأورباء في اللغة العربية ومن المعروفين بالكتابة وحسن الإنشاء وقوة التعبير ، في صياغة المعاني التي يترجمها أصحاب الاختصاص لمؤلاء بعبارة عربية متينة فيها بلاغة ودقة ترضى أصحاب الاختصاص ، ولا تثبت إلا بعد اقتناعهم بها ثانيا من أنها منطقية على مضمون المؤلف ، لأصلي تمام الانطلاق ، وأنها لا تقل بلاغة وسما عن اللغة الأصلية التي كان بها الكتاب .

ولدى هذه الطريقة سابقة فقد استطاع المرحوم المصطفى عبي فدر إمامه بالفرنسية ونصره أو نصرف من كان يترجم له عن الفرنسية ، أو عدم عكس من كان يقرأ له من اللغة الفرنسية ، من أحياء ، رحم ومن تحلده بالفرنسية ، ومن شوق الناس إلى المطالعة وإساعهم عليها ، كأنهم يقرأون فقط أدبية رائدة كتبت بالفرنسية لأدلة أخرى مترجمة عنها يجب أن تكون آتة من آتات البلاغة من كتاب من قطع الأدب مثلا ، وعابه في السهولة والقوة ورصانة التعبير العلمي من كانت من الكتب لأخرى .

وهذا لك مشكلة أخرى تدعو إلى وضع هذه الخطة المشتركة ، وهي مشكلة الكتب التي يجب أن تكون تحت مشاوري اليد في المكتبات والجامعات والمدارس العلمية ، والمرجع الأساسية التي يستعين بها الطلاب في الدراسة العلمية ، وكل البلاد العربية تندرج اليوم من هذا الوضع ويستعين بالمصادر الأجنبية في هذه المرحلة من الدراسة ، وتعرض للنقد من جانب المعيارى على لغتهم ، وتقاعهم القومية ، وما دامت الأفطار العربية نواة إلى التقارب

في السياسة التعليمية والاتجاهات في التربية وفي التعليم ، وهدف إلى توحيد أو تقرب النظم الجامعية ونعنيها على أسس متقاربة ، فإن من الممكن التعلل على هذه الصعوبة عن طريق اللحمة الثقافية ، بأن تتعاون الأقطار العربية على وضع محصيات كافية في مبرايية الجامعة العربية ، لكي يتمكن لجنة الترجمة الدائمة المعروض تشكيدها من أصحاب الاختصاص اعلى والأدنى ، ومن أصحاب الدراسات الجامعية ، والدراسات العالية في الجامعة العربية ، من لامتصال بورارات المعارف ، والكليات والجامعات لاختيار الكتب العلمية المستعملة في الجامعات العربية والأمريكية ، فتحتار أحسن الكتب وأقها ، من التي وضعها جماعة من الأساتذة المتخصصين ثم مهد إلى ذوي التخصص من أساتذة الجامعات في مصر وفي الأقطار العربية بترجمتها ولا بأس في نظري من إثرائ الأساتذة الأجانب ، ولا سي أصحاب التثيف في عملية النقل . وبذلك نحقق مشكلة المصادر والمصووص التي يستعان بها في الدراسات العالية في البلاد العربية ، ويكون قد عملنا بعض الوقت على تكوين روة علمية في البلاد العربية لا يقدر شعب تكون أساساً لماء الصرح العلمي و «التخصص» في العالم العربي . وبصفت في الوقت الحاضر على الأقطار العربية التعلل على هذه المشكلة معقدة أكلة المتخصصين واختلاف المصطلحات العلمية في هذه الأقطار ، وتنوع الدراسات واختلاف المحتوى العلمي للأساتذة أنفسهم ، وصعوبة إيجاد المال اللازم لترجمة الكتب العلمية التي لا يقبل على قراءتها لاطمع إلا أصحاب التخصص وأصحاب الدراسات العالية . ولعلك وحب بدخل الجامعة .

فإذا ظهرت مثل هذه الترجمات العلمية المتقنة ساعدت على تقرب مناهج الدراسات والبحوث العالية في البلاد العربية ، وبوحيد المصطلحات العلمية وتقريب الاتجاهات والأهداف العلمية والثقافية ، وحففت من حدة الاختلاف الموجود في مستوى طلاب البلاد العربية العلمي والثقافي في المدارس العالية ، وأمكن صحن الفائدة من رياره أساتذة المدارس العالية والطلاب في كليات البلاد العربية وجامعاتها على نحو ما يحدث في الجامعات والمعاهد العالية في البلاد الأوروبية والأمريكية . وما يلاحظ أنه حي في المحلثة و «مريكا تستعين الجامعات الإنكليزية والأمريكية في الدراسات العلمية والعالية بالمؤلفات الألمانية المكره المشهورة ، في مثل الكيمياء المصنوية أو البب أو الفيزياء وبعض فروع الطب والفلسفة ، ولا ترى في ترجمتها مأس ولا عماصمة مادامت الغاية علمية عالية . وما دام هذه المؤلفات مكررة عميقة ، يندر وجود أمثالها في اللغة الإنكليزية ، ويعمل الأساتذة والعرضيون نفس ما يعمله الإنكليز ، لما فإن من اللارم لنا ترجمة أمثال هذه الكتب عن لغاتها الأصلية إلى لغتنا العربية ، على أن يراعى في

الاحتيار كما قلت التركز العلمى والتعمق فى البحث وشهره المؤلفات فى أوروبا وأمريكا ، فتقدم على ترجمتها من لغاتها الأصلية التى كتبت بها ، وبذلك يكون قد حصداً فى مدة مناسبة على كتب علمية عميقة جداً ، هى نتائج تجارب وأبحاث مئات من أساتذة ، وحلاصة عقليات البشر ويساعد هذه بالنظم المتخصصين الذين لا يحسنون الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية على الوقوف على موضوع التخصص ، كما أنها ستكون مقدمة هائلة ، وملا مساعداً على التأليف

ولأننا من وسع حوزة مشوقة لنت أبحاث لغوية على الاستعانة من قاصديهم وتشويقهم إلى الاستعانة من كفاءاتهم ، وشوقهم للاطلاع على ترجمه ، كأن يكون هناك حواراً عربية عامة وحواراً محلية لتشجيع المترجمين فى كل لغة على ترجمه

وأرى وحوار تعاون «لجنة الترجمة» فى جامعة الدول العربية ، مع دور نشر والمترجمين وكبار الأساتذة فى البلاد العربية ، أو لاشئ من أساتذتهم من أجل الترجمة ، وإرشادهم إلى الكتب الجامعة التى يصح العمل ، وعدم المساعدة المادية والمعنوية اللازمة لدور النشر والمترجمين ، فلتعطف على أصعب ، ولإخراج تلك المترجمين من حيزهم مع المحافظة على الطبع الأصلي للكتاب المترجم بصورة وحرائطه وحدوده ، إن كانت به ضرر أو جرائد أو رموز ، حتى يكون مطابقاً للأصل تمام المطابقة ، وقد نقف أمام ترجمة بأشكال التى أرده بعض الصعوبات المادية ، مثل ارتفاع سعر النسخ وهذه الأمور ، وأعتقد أن من الممكن التغلب على ذلك ببيع الترجمات بسعر تشكيف أو أقل من سعر التشكيف ، ياشر لك المساعدة والدول العربية تدفع نفق وتحمل الضرر ، لأن لغات من نشرها هى ذات ثقافية ويست تجارية ، حتى يعكس فى أرمح المدي قبل كل شئ

ومن المستحسن فى نظرى عقد اجتماعات أو مؤتمرات دورية تحت إشراف الجامعة العربية ، للعدالة فى شئون الترجمة والتأليف والنشر ، يشترك فيها المؤلفون والمترجمون والمشترون لمصلحة المشاكل التى تخص هذه المواضيع فى البلاد العربية من جميع أوجهها النظرية والعملية ، والاعتماد على المصطلحات العلمية والأدبية التى يجب أن يستعملها المترجمون والمؤلفون فى البلاد العربية فتشتر على الملأ للاطلاع ، وبعد أن وافق الجامعة العربية على قانون حماية حق المؤلف والمترجم والنشر ، اعتقد أنه لابد من وضع تشريعات أخرى لتنظيم التأليف والترجمة والنشر ، وكيفية توزيعها فى البلاد بصورة عادلة متقابلة ، وحماية المترجمين والمؤلفين من القهر والأمراض ، بالصالحات الاجتماعية على نحو ما يحدث فى الغرب

المصطلحات العلمية

والخطة التي ينبغي أن يسير عليها العالم العربي في تعريبها

الدكتور داود الخافي

المعلم عند العرب قبل الإسلام

لم يكن للعرب في حياتهم علم رافيه معونة ، بل كان لهم معلومات شاذية بها شعفا . كان لهم معرفة لأشياء بحركات القمر والنجوم وحساب الفواصل والأعياد والأقواء ومهاب الرياح ، وبالأعداد ، فمحتوى في أسفارهم . وكان لهم معرفة أيضا بالرياضة وهي معرفة استنباط الماء من لأرض وعرفوا الحيوانات التي في حوزتهم أنواعها وأشكالها وطبائعها ، والخاصة منها والوحشية وعرفوا كذلك النباتات التي وقع نظرهم عليها وسموها وعرفوا خواصها ، وما ينفع منها ، ما يشبه وما لا ينفع وما دها من الخواص الدوائية وعرفوها وعرفوها التحليل والأعصاب والانس والارتقون والرمان ودرعوا الجمود . وعرفوا بعض الأدوية في الإنسان والماشية وعالجوها بالأعشاب والسكي . وكانت الرياضة رافية في التمر حاصة . وكانوا يقرطون الشعر ولهم عناية خاصة بعم الأنساب والقبيلة وربية الخيل واستعمل اسلح إلى غير ذلك من المعارف التي لم يطلع من ارقق والمصوح درجة يمكن معها تسميتها بالعلوم .

اشتغالهم ببعض العلوم بعد الإسلام :

أكثر ما اشتغل به العرب بعد روع شمس الإسلام الحروب وفتح البلدان وهداية الناس إلى دينهم . وفي الوقت ذاته كان أساس مهمهم يعمون باستنباط أحكام الفقه من القرآن والحديث ، ثم كثر اشتغالهم بنقل الحديث والتفسير وسيرة الرسول ودينه وعلم القرآن وعلوم اللغة من صرف ونحو ولسان وديع وعروض ومعارف اللغة ودونوا الشعر ، ثم اشتغلوا بالفقه وأنفوا في جميع هذه العلوم وأكثروا . وكان الدين هو الحافز الأصلي للاشتغال بهذه العلوم . وكان أكثرهم في البدء عربا حصا ، فلم يحدوا فطرتهم صغوة في أخذ ما اجتاحتها إليه من المصطلحات في هذه العلوم من لغتهم داتها مباشرة .

نقل الكتب اليونانية والفارسية وغيرها :

ثم إن العرب انتبهوا إلى وجود علوم راقية كالطب والفلسفة واسطقس والرياضيات والهندسة والكيمياء وغيرها عند أمم أخرى أشهرها وأرقاها إدراك اليونان ، فأحموا الاطلاع عليها . وكان فريق من المصادر قد سبق لهم أن تعلموا لغة اليونان لاحتكاكهم بهم ودرسوا على علمائهم ونقلوا كثيراً من كتبهم إلى العربية . فلما شتموا برعة العرب في الاطلاع على هذه العلوم ، صاروا ينقلون للحنفاء والوراء والعصفاء كتب اليونان إلى العربية إما من ترجمها السريانية أو من اليونانية رأساً . وكان النقل في يادي الأئمة من السريانية إلى العربية أسهل لنشأه اللغتين الأختين واشتركا في التعبير وفي كثير من الألفاظ . حدث أول نقل في زمن الأمويين لخالد بن يزيد معاوية . نقل له القس هارون الاسكندري شيئاً من كتب الكيمياء والنجوم والطب . وسكن حل القلة كانوا على عهد العباسيين . نقل طارون الرشيد شيء قليل ، ثم كثر النقل في زمن المأمون وبعده . فإن هذا الخليفة المحب للعلم هو الذي رغب القلة وقرمهم وأعنى عنهم العلماء ، فحصلت عند العرب تلك النهضة العلمية المعروفة في التاريخ . وكان النقل كثيرين ، أشهرهم جابر بن إسحاق البليادي رئيس النقبة في بيت الحكمة الذي أنشأه المأمون . ومن مشاهير القلة من الفارسية عبد الله بن المقفع . ونقلت كتب قليلة من الهندية أيضاً .

نقل مصنفات أهل إلى العربية على الألفاظ

لا طئه مصنف علمهم كثيراً ولو أن لكل نقل أو ترجمة من لغة إلى أخرى صعوبة ما لاختلاف في التعبير والتركيب ومما يره خصائص اللغتين المنقول منها والترحم إليها واستعمال ابحار والاستعانة ، ونحاسه إذا لم يكن في اللغة المنقول إليها مصطلحات تؤدي معنى مصطلحات اللغة المنقول منها ، وقد وقعوا في نقلهم بعض صعوبة اللغة العربية وسهولة الاشتقاق فيها . إلا أنهم تركوا قليلاً من المصطلحات بألفاظها اليونانية لأنهم لم يستطيعوا يومئذ إيجاد مقابل لها بالعربية مثال ذلك : أبوطيقا وسوقسطيقا وقاطاغورياس وارطاطيقا وبيديعا . ثم أني بعد ذلك من قاموا على الترتيب بتحليل والمعالجة والمقولات العشر والرياضيات والوافدة وعربوا ألفاظاً لم يجدوا متدوجة من عربيها حتى ظنوا بعض العرب لاحقاً بالعربية كأنها منها . فإن كثيراً من علماء اللغة العربية لم يشعروا بعد استعمالها رماً بأنها معربة ، بل

ظهورها عربية الأصل ، ككلمة جنس مثلاً المعربة من Genus . وتركوا الأسماء اليونانية للمباني التي لا تمت في المبدأ العربية على حالها . وهذا ضروري ، تعمل به جميع الأمم ، إلا إذا احتلوا أو صعد اسم له في لغتهم . ولما تكاملت وتهدت المصطلحات العربية في القرنين الثالث والرابع ، وكثرت لتأليف عبد العرب وازدهرت العلوم ، صارت اللغة العربية لغة علم وعن فصلا عن أممها مع أدب ودين . وأمتت الأقوام التي دانت بالإسلام من غير العرب لاستطاع التأليف في العلوم الإسلامية ، وهكذا كان شأن الفارسي والارمني وابن سينا وأصغرهم . وأخيراً ما ملكت العرب القومية على الوحدة الدينية ، صاروا يكتسبون بعامتهم العبارات العلمية ، لكانهم يصطلحون إلى استعمال المصطلحات العلمية العربية .

نرفخ سير العلوم عند العرب :

دام هذا الرقي عند العرب حتى كانوا طيلة خمسة قرون أعلم سكان الدنيا ، ومن مآثرهم كانت تغرب المطاشي إلى العلم . سلكهم بقدر ما ارتقوا علماً انحطوا سياسة وعرفى شمل ، وحدثهم السياسية التي كانت لهم في الدولة الأموية ، وأقدم العرب القدرة على معابة الحروب والمنازعات فتسلط عليهم الأحاب وقصدوا استقلالهم . وكانت الطامة الكبرى استيلاء المغول على البلاد الشرقية ونصب الأسمان على عرب أندلس وإحراجهم منه ، فمقت أدعيتهم . غير أن شيئاً عر قبيل من الحركة العسكرية كان قد بقي عندهم بقوة الاستثمار في الدولتين السلجوقية والأتابكية . لكن هذه القوة كانت نصف شيئاً فشيئاً حتى انطاعت أو كادت في الدولة العثمانية . حدث ذلك بعد أن تعلم الأوروبيون من العرب في أسبانيا وصقلية وصاروا ينقلون كتبهم إلى اللاتينية ويترجمونها . وأصبح الآن تتطلع على موايد علومهم .

وررنا الماخضر :

لما صحوا مما ألم بنا من صدمة استيلاء الأحاب على بلادنا ، وحدها فاعلة العلوم والفنون والصناعات قد سارت وتركنا وراءها بمدين . فرحمنا تتعلم من الذين كما علمناهم ، واحتجج إلى نقل كتبهم وعلمهم عنهم ، كما احتججنا إلى نقل علوم اليونان من قبل . ورأينا ما كنا وصنعناه من المصطلحات لم نعد نكنى لها وصمة الفريخ من المصطلحات التي نعد نذكر . الأول : ماذا عمما لنتلاقى هذا النقص ؟ سارت مصر سيرا حسماً ففعل أحد بنى محمد بنى «

العظيم الذي أسس المدارس وحل لها مملعين من العرج منهم كلوت بك الشهير ، وأنشأ
 حيلاً متممةً بحسب العربية والفرنسية ، فأمرهم هو ومن أتى بعده بنقل وتأليف كتب العلم
 وأوقفت مدرسة أبي رعل الطنجة ، ووُضعت مصطلحات جديدة كان الافتقار إليها عطي
 وأنشئت سيروب الكلية الأمريكية ، وعملت باللغة العربية وخدم رئيسها الدكتور قان ديث
 العربية خدمة جليلة ، فكان الأمل بمصر وببيروت عتياً . ولكن للأسف ، استولى
 الاسكتلندي على مصر فحتموا لسان التدريس في مدرسة الطب وغيرها الإنكليزية ، وصارت
 الكلية الأمريكية بسيروب تعلم بالإنكليزية أيضاً ، بحجة عدم وجود أساتذة متخصصين
 بحسب العربية . وهكذا أصيب لساننا المسمى بـ « لغة كبرى » فلو بق التدريس بالعربية لاعتنى
 لساننا بالمصطلحات العلمية لأن الحاجة أم الإيجاد . ولأن ، لما كان شبابنا يتعمنون العاموم بغير
 لسان أمهاتهم ، لا يتكادون يفكرون في البحث عما ينقص العربية من المصطلحات ، لابل
 يشيعون بوجوههم عما يحدوه بها . ولإنسان عدو ما جهل . نرى الأطباء عندما يجتمعون
 لمناقشة طبية لا يسمعون من أفواههم سوى رطابة احتفية يخاطبها كلمات عربية عادية . وكلما
 ازداد عدد المتعلمين بلسان غير عربي ، كثرت هذه الرطابة وأهملت العربية . فإذا لم تعالج
 الحالة معالجة أساسية ، ازدادت سوءاً . وما المعالجة الأساسية إلا حمل التعليم في المدارس
 العالية باللسان العربي . عندها يحس بانقص الموجود فيسمى دور الاختصاص إلى ملاقيه . ثم
 لدينا مجامع انوية عمية يعنى عليها الحكومات العربية بسخاء وهي تصنع ، ولو ببطء ،
 مصطلحات تشي المعلن . ولكن لمن تصنع هذه المصطلحات إذا لم توجد مدارس تعلم
 بالعربية فتستعملها ؟ لذا يحى لما أن تقول إن جامعة دمشق أحسنت صمماً لمجملها التعليم
 باللغة العربية .

وفد خطت خطي لا تأس بها بإيجاد مصطلحات صالحة . فإن لم تصل إلى درجة الكمال
 بعد أو كان قليل من مصطلحاتها غير واف فإرام فإن الزمان كميل يدرجها إلى الكمال ،
 وكل من سار على الدرب وصل .

فذلك أح توصية سائر الجامعات والكليات العربية أن تعمل كما عملت دمشق ،
 وإلا فلانحاج للعربية .

قد كان بعض المدرس في التدريس بالإنكليزية أو الفرنسية لعدم وجود أساتذة عرب
 أكفاء للقيام بالتدريس ، ولأن قد زال هذا المدرس بوجود مدرسين عرب قادرين على
 التدريس . وأما قول من زعم أن العربية لا تصلح لتدريس العلوم العالية لنقص المصطلحات

فها ، فهو قول هراء ، راد به الجذاع والمالطة . نعم يوجد نقص في المصطلحات العربية ولكن هذا لا يمنع التدريس بالعربية ، لأن المصطلح الذي لا مقابل له بالعربية الآن ، يمكن ذكره بلسان أحسن وقتياً ، إلى أن يوجد له مقابل . سيكون بذلك قد عمسا ما عمله أسلافنا في قديم من اللغوية ، فإنهم تركوا أولاً ما لم يستطيعوا إيجاد مقابل عربي له كما هو باليونانية ، ثم وجدوا له ما لم يجدوه أولاً ، كالأسماء التي أوردوها آتياً وهو قولهم أنوطيقا ثم قولهم التحليل ... الخ .

هل العربية عاجزة عن أن تكون لسان علم

يحب العربية لسانها فاصرة عن أن تكون لسان علم ولكن التفسير من أساليب التدريس أمحوها . هـ من جهة ، ومن جهة أخرى نجد من أقوى أسباب نقابها متأخرة عن بعض أبحاث المرح طم أعدها لها ، وبما ذهب في عصر دروسه ، أعني تسلط الدول لأخمسة على معظم لأقطار العربية وعندها ذهب من المدارس العالية . أما الدليل على قدرتها عارقي العلم والتأليف العاصرة في الدولة المباشرة ، وكوبها سهل العلم الوحيد في الدنيا في ذلك العصور . ودين آخر يحتاج لتعلم بالعربية في مدارسها وعبره عصر على عهد محمد علي وسنده إلى أن أقامت الدولة التسلطة اللغة الانكليزية مكانها . ودليل آخر ندرس الترك العلوم في مدارسهم العالية مصطلحات عربية . وآخر دليل يحتاج التدريس بها في الجامعة السورية

المقارنة بين العربية واللغات الفرنجية

العربية من اللغات السامية ، واللغات الفرنجية الراقية هي من اللغات الآرية . ولكل منها خصائصها . فمن مزايا اللغات الأوروبية وجود أدوات كثيرة فيها ، منها ما يلحق بأوائل الكلمات (préfixes) ومنها ما يلحق بأواخرها (suffixes) فينقل معنى الكلمة إلى معنى آخر يختلف قليلاً أو كثيراً عن معنى الكلمة الأصلية حسب المقصود . ومن مزاياها أيضاً إلحاق كلمتين أو أكثر وجعلها كلمة واحدة بعيد معنى جديداً . وقد أحررت اللغة الألمانية هاتين المرتبتين أكثر من سائر اللغات بحيث لا يصعب فيها تسمية اختراع جديد أو أداء معنى مراد أو وضع اصطلاح حديث وذلك دون استئانة كبيرة باليونانية واللاتينية . يقابل مرتبة كثرة اللواحق والكواسم في لغات أوروبا مرتبة الاشتقاق بالعربية ، فإنها مرتبة عظيمة لا يصاحبها شيء في سائر اللغات . وأما الكلمات المركبة من

كلمتين أو أكثر تركيبة مرحياً في لغات أوروبا فيمكن التعبير عنها في العربية بالتركيبين الإصافي والوصفي .

كذلك يمكن أن يكونوا أيضاً مصطلحات علمية ثابتة ؟

يجب أن نقوم بهذا منظمه مرة أخرى لها محصيات كافية لهذا الغرض كتجميع اللغة العربية في الأول أو حصة عامة في جامعة الدول العربية أو غيرها . نطلب هذه المنظمة وضع مصطلحات كل علم على حده من ثلاثة علماء بخلافه من التخصصين بذلك العلم على أن يكونوا ذوي اطلاع واسع على العربية وعلى لغة أوروبية ، ونحدد لهم رسماً كافياً عند انتهائهم يقدمون ما وضعوه من المصطلحات ، فندرس المنظمة ويقدر من ما وضعه الثلاثة ونختار ما يرضى عندها ، ولا نكتفي بإعلانه في الجرائد والخرائط ، بل نرسل رسائله حصصاً للذين لهم اشتغال بتلك المواضيع ليدوا آراءهم فيها ثم نجمع آراء هؤلاء ونحصيها ونقارنها مع ما كانت أعينهم وثبتت أو تبدلت أو تعدل حسب ما يبدو لها ويكون هذا قرارها الأخير فنشره بصورة نهائية ونعطي من المراسن والمؤلفين استعماله وعلى هؤلاء أن يتركوا العباد والأستعملوا كتاب غيرها حسب أهوائهم . نطبق هذه القاعدة على علم علم ، وفي العلوم الواسعة كعلم الطب على شعبه .

وعلى من يطلب إيمانهم وضع مصطلحات في علم ما أن يطلعوها كل ما كتب بالعربية في ذلك العلم قديماً وحديثاً منذ النهضة العباسية ، ولينقلوها ما روتها من الحقائق ويقبضوه ثم يحدوا بمطالعة معجم كبير كتاج العروس مثلاً من أوله إلى آخره ويقبضوا منه كل ما روتها مفيداً في وضع مصطلحات لذلك العلم . وبعد الانتهاء من المعجم يراجعون ما سجلوه ويختارون منه الأسلم ، وهكذا يكونون قد اكتمل شغلهم . وهذا شغل ليس بالهين ، بل هو عمل شاق متعب يستلزم صبراً ومثابرة ، فيجب مكافأة القائمين به سخياً .

انتقاء المصطلحات

(١) يجب قبل كل شيء أن نرجح مصطلحات الكتب القديمة أو الأصلية إلينا من الدور العباسي فما بعده كيلاً لنقطع الصلة بين ما بيننا وحاضرنا . ولأن تلك المصطلحات حاضرة مهيأة وهي رصينة متينة قد رست وملتأمت كتبت ، فيجب ألا نبدل منها إلا ما كان فيه قصور ظاهر .

(٢) نختار من الألفاظ ما ليس بعربياً بامكان ، لكن إذا وجدت لفظة عربية أو عربية نظراً بمعنى المصطلح ، لا تأخذها عربية بغير ضرورة ، يجب ألا نتردد في أخذها

سواء استعملت فعلاً أم لم يستعمل لأن ما كان غير مأثوم يصح مأثوماً بالاستعمال ،
وأكل الخبز (المشكك) عند فقد الحثاوي حرم من الاستعداد

(٣) بح تجميع الكلمة العربية على العربية بـ واحد ، وإلا فيجب عدم التردد في قبول المغرب قدماً .

(٤) بح عدم التعريب حدثاً إلا في الضرورة القصوى وعند انقطاع الرجاء من وجود كلمة عربية تؤدي المعنى المطلوب ، بشرط مراعاة قواعد التعريب

(٥) بح تجميع الكلمة الواحدة على الكلمتين والكلمات على ثلاث في الاصطلاح .

ولكن بشرط أن تؤدي الكلمة واحدة معنى اصطلاحياً ، وإلا يوجب عليها الكلمتان
فإن وجدت إلا إذا في تجميع الكلمة الواحدة قد أدى عند بعض المعاصرين إلى إحياء
مصطلحات بعيدة كل البعد عن عادة المعنى المطلوب مثال ذلك استعمال الهند للمعنى العربي
(الهند) لاسمها المعروف svastika عوض أن قولوا (مجموعة أعراض) هذا ما تقوم
بإدراكه أي أسرارهم بمعنى لا تؤدي المعنى المطلوب من كلمة سندروم

(٦) بح بح التردد - فإن الالفاظ من مترادفين أو أكثر لم يصح واحد
إعتماد على ذلك لأن واحد أفضل ، وفي بعض الأحيان في حيرة لا تؤدي إلى بح
أن يجوز في استعماله ، ويكثر عدد المصطلحات فلا فائدة

(٧) لا يستعمل لحدث إلا ، أحد عند الضرورة القصوى وبشرط ألا يحدث
من الكلمتين المحذورتين معاً حرف كثيره يحيد لاسم أصلهما بل بح أن يكون ما يبقى
من حروفهما أكثر مما يحذف

(٨) اللزوم العربي كثيراً ما يوجب التركيب الإصنافي بخلاف اللزوم العربي فإنه يوجب
التركيب الواسع فيجب عدم متابعة التعريب في أدواقهم ذلك

كذلك في اصطلاحات بعض العلوم :

العلوم كثيرة ليس من شأننا عند أن نعددها ، ونشكك عما بح أن تكون مصطلحات
كل واحد منها ، لكنها تخفى ، ذكر بعضها فقط :

الفلسفة :

كتب أحد الفلاسفة ورغم أن مصطلحات الفلسفة تأتي أن يكون لها مقابل بالعربية ،
لأن كثيراً ما يكون المصطلح الواحد عند فيلسوف معناه كذا وكذا ، وعند فيلسوف آخر

علم لغاه

ليس لما بالعربية إلا قليل من الأسماء لمختلف الحجاره ، فيجب أن ترجم الكلمة الأصلية
وستعمل كلمة حجر مكان ite . أمثلة ذلك : calcite حجر الكلس ، ferroplumbite
حجر الحديد والرصاص ، magnéte حجر المغنطيس ، chalcantite حجر زهرة النحاس .
أما الجواهر أى الحجاره الكريمة فقد سبق لى ذكرها بأسمائها العربية والفرنسية فى جدول
الحققة عنقاة لى عوسها (ملاحظات على نخب الذخائر فى أحوال الجواهر) نشرت فى مجلة
المجمع العلمى العربى سنة ١٩٤٤ فى حرثها الخامس والسادس المردوح من مجلداتها التاسع
عشر والخزء الذى يليه من ٢٤٥ و ٣٤٣ .

الطب :

كثت حاصرت فى مصطلحات الطب فى المؤتمر الطبى اسفند سنه ١٩٣٨ وشرت
بحاصرتى المجة الطبية المصرية فى يناير ١٩٣٩ فى عددها الأول من -تها الثانية والمشرين
من ٧٢ ، ملخصها كما يأتى : لا سرب كلمة فرمحية ريد مقاطعها على خمسة ، ولا الكلمات
المنتهية بـ ture ment , non وما شابهها بل ترجم ترجمة لأبها مصرية فى صيغتها للمربية
كل المتألفه ، ولأن العربية عنبة بأسماء الأفعال تقابل ite و is نكامة الهاء مضافة إلى
المصو المنتهى . gastrite الهاء المدة تقابل isme أو nus نكامة حالة إذا كانت
دالة على حالة مرضية meningisme حالة سحائية . وإذا دبر على سبم فتستعمل كلمة
a cool se نسم بامول وإذا كانت للدلالة على عدم أو مذهب ، فتقابل دائما بأداه جمع
المؤنث لاسلم بعد ، اسمه spirisme روحيات أو روحانيات أو نكامة مذهب أو فلسفة
water au sine مذهب اديين أو الفلسفة البدئية تقابل tome شى و ectomie
نقطع : nephro smie شى الكلى nephrectomie قطع الكلى og e نرحم
إذا كان المقصود عفا فأى بداهه ، وسجث إذا كان داء من علم أو فصلا فى صفتاب
pathologie علم الأمراض ، toxicologie مبحث السموم - تقابل ique بياه النسبة
بعدها أداه جمع المؤنث لاسلم physique طبيعيت (أو قل فرياء) ، وإذا أفادت ique
الإصاهه عرض فتقابل نكامة مصاب asthmatique أصاب الربو ، ويمكن استعمال صاحب
عوسا عن مصاب فيقال صاحب الربو . ونأتى بالعربية صيغة المفعول مشتقة من اسم المصو

المصاب له لاله على لشخص المصاب cystique ممتلئ ، nephreloque مكلو ،
 hepaticque مكمود ، ومثها ممتود ، وعمود وثنى أحياناً مشتقة من اسم المرض :
 apoplectique مكموت paralytique مفتوح ، وعؤدى ورن أعمل عين على أحياناً .
 ophthalmique أرمد ، acromega que انتح . ومثل ique فى النسبة إلى المرض الأداة
 eux enreux معدوم ، cancereux سرطان ترجم ose أو os بدء trichinose
 اليريش actinomycose داء العطر الشعاعى ، ويستعمل ورن فعال بصم انعا . كلما أمكن .
 cyanose زراق idipose douloureuse شعاع موحج — a أو an النافية ترجم حسب
 المعنى المطبوع بلا وعدم وعديم واعطع وقطع ونقص واحتباس وفقد وروان وإزالة وطلاق
 وإبدال astigmatisme لا بؤرة ، asymetrique عدم التماظر amorphe عديم الشكل ،
 anchole اعطاع الصغراء amnésie نقصان الذكر ، amétrope احتباس الطمء ، agrippé
 فقد السكة ، achromatization إزالة اللون ، analgésie بطلان الألم ، anesthésie
 إبطال الحس — able وible يقبل أو يقبل أو القبل انصارع من نفس السككة :
 adhérent قابل للتمصص ، reducible يقبل الرد ، défectueux يئس — ترجم
 patte نرس وdisme زوج وapic سقم وdys نقص وome بوم وégale مصحامة
 et probée مخوف أو تغور وtherapie علاج و metre بمقياس و metre بماس .
 neuropathie مرض عصبى ، neurodynamie وجم الحب ، on l'ontage ألم السى ،
 dyspense عسر المنصر ، care nome ورم سطاني ، orona égale صحامة الضحال
 hydrophobie خوف الماء ، rad otherapie علاج بالأشعة thermomètre بمقياس الحرارة
 alcoolométrie قياس العول .

التعاون الأثري بين البلاد العربية

للكنوز زكي محمد حسن

من دافعة العمل أن يعرض هذا لوجوب التعاون بين البلاد العربية وأن يسرد الوسائل التي تؤدي إليه ، وهذه كلها أمور مفروغ منها ، وقد وجاهد حثها مؤخر انتهى عقدته الإدارة الثقافية بحامعة الدول العربية دمشق في شهر سبتمبر من العام الماضي

ولاريد في أن من أهم مقرر المؤتمر « أن تعمل جامعة الدول العربية على تأليف هيئة من المؤسسات العلمية الأثرية في الدول العربية تقوم بأعمال تنقيب ، وأن تعمل الجامعة على أن تحصل على إذن حلالى ملك اعنى وملك المملكة العربية السعودية أن يبدأ هذه الهيئة عملها بدراسة الآثار في هاتين حكمتين ، وفراج ما ينزم للقيام بأعمال التنقيب عليهما بصراً لأهمية تاريخ التلى والبلاد السعودية في تاريخ الأمة العربية ، وتأليف هذه الهيئة هو الوسيلة المثلى لتعاون العرب في كشف آثار شبه الجزيرة العربية ، ويبحث من أهم ع الهيئات العلمية الأثرية في القيام بأعمال التنقيب على الآثار في هاتين المملكتين العربيتين ، ويرد ما تنكبه هذه الهيئات من مهم لملكيتين بشأن الصرافتهما على التعاون بفتح أبوابهما للبحث العلمى .

وفي رأينا أن جامعة الدول العربية مسئولة عن احدى تميم هذا مشروع ، وهذا كانت بعض العقبات السياسية في هذه الأيام قد تؤثر هذا التعميد فلا أوف من تأليف الهيئة المطلوبة ودرس المجمع سى يجب أن يسير عليه والأهداف التي يعمل لى ومن العلى في إتمام البحوث التمهيدية اعلمها ، حتى يكون ذلك كله معداً حين تم موافقة الملكيتين العربيتين . بل إن هذا الإعداد قد يساعد في الحصول على موافقتهما على هذا المشروع العلمى الخليل .

وكان من مقررات مؤتمر الآثار « أن تعمل سلطات الآثار في بلاد الجامعة العربية على تبادل الصحف التي يمكن الاستعانة بها ، وذلك لإمكان تمثيل مختلف انطوار الفقيه في متاحف تلك الدول » . ولاريد أن هذا من أول وسائل التعاون التي يشدها فإن كل بلد من البلاد

العربية على أنواع معينة من الآثار ، وسكن متاحفه بقعة حذاء في التحف التي تمثل الطرز الفنية التي اردهرت في البلاد العربية . لأخرى فتاحف سان وسوريا والعراق حالية من الآثار الفرعونية التي يعثر بها متاحف الدول الأوروبية والأمريكية المختلفة . وفي محارن مصنعة الآثار المصرية ومراكم الحفائر المختلفة في مصر كنياب وإفرو من الآثار الفرعونية المكررة يمكن أن يقدم إلى متاحف هذه البلاد العربية الشقيقة لتمثل فيها الحاضرة التي قامت على صفوف النيل في العصور القديمة . كما أن حفائر المصنوعات قد أسفرت عن ألوف التحف التي تمثل طرز الصناعات والرسوم المختلفة في مصر الإسلامية . وهي عطية الشار في تسجيل هذا التطور ، على الرغم من أن معظمها قطع مكسورة وغير كاملة . وفي استطاعة دار الآثار العربية أن تقدم مجموعات كبيرة من محاربا في حفائر المصنوعات تقرر في متاحف الأقطار الشقيقة فتسد فراغا ملحوظا في مجموعات هذه متاحف . والمعروف أن متاحف المصرية فقيرة جداً في التحف التي تمثل الحاضرة التي اردهرت في العصور القديمة في بلاد الهرس ، بل أنها فقيرة أصلاً في التحف التي تمثل العرايس المصرية والسحوق من الطرز الفنية الإسلامية التي اردهرت في تلك البلاد . ولا شك في أن دائرة الآثار القديمة في العراق تستطيع أن تقدم إلى مصر وسائر الأقطار العربية ما يسد بعض الفجوة . ومتحف سان على بالتحف التي تمثل الحاضرة الهيكلية ، كما أن الحفائر التي تقوم بها مصنعة الآثار الشمالية تسفر عن كشف كثير من هذه التحف . ومن أجل أن تكون هذه الحاضرة ممثلة في متاحف سائر الدول العربية ، ولا ريب في أن سان يستطيع أن يسهم في سد بعض وجود في هذا الميدان . وسورة معينة في التحف التي تمثل الحفائر القديمة في الشام ، كما أنها معينة أيضاً بالزخارف المصرية التي تمثل الطراز الأموي من العصور الإسلامية . ويمكن أن تستطیع مثلاً أن يقدم إلى الدول الغربية لأخرى بعض التحف المكررة في متحف دمشق وحلب ، أو بعض عمادح الزخارف لمعارف من قصر الحير ، في سبيل حصول على تحف عثر سائر الحضارات والطرز الفنية التي اردهرت في الشرق الأدنى .

كل ذلك حسن جداً . ووضح كل موضوع ، ولكن الإنطاد في معيده هو الذي يستحق أن يدهش له . وفي رأينا أن ودرات المعارف ودوائر الآثار في املاذ عربية المختلفة يجب أن تبادر بأشعب حجة من رجال متاحف وعلماء الآثار في كل منها تبحث الموضوع بحثاً وافياً ، وإعداد بيان أنواع التحف التي تمكن النظر في هداها إلى سائر البلاد العربية . على أن تتبادل ودرات المعارف ودوائر الآثار هذه البيانات ، لتكون أساساً لاصال وتعام

بمقتضاها تبادل الآثار بين البلاد العربية المختلفة . ولكن نة مسألة بح إثارها في هذا الصدد وهي أن قوانين الآثار في معظم البلاد العربية يحرم إخراج التحف المسجلة من المتاحف ولو كانت مكررة . وري أدى ذلك إلى أن تكون التحف التي يمكن سادها بين البلاد العربية من الآثار الصنيعة الشن

والحق أن لا يري إلى أن تكون تلك التحف مما لا يمكن المتاحف الاستملاء عنه . وقد يكون بين التحف غير المسجلة في المتاحف وبين ما يكشف عنه الحفائر ما يمكن تمثيل محتف الحفائر والطرر اعية في متاحف البلاد العربية المختلفة عثيلا يمكن الاطمئنان إليه . ومع ذلك كله فإن طرعا من هذه مسألة بح أن تكون موضع البحث والدراسة العلمية والقانونية في دوائر الآثار المختلفة . ذلك أن بين التحف المسجلة والمعطية الشأن في بعض المتاحف طائفة من نوع واحد ، ومن الخير أن سطر هذه المتاحف في إمكان مبادلة بعضها بتحف أخرى . ولعل حبر الأمثلة على ذلك ما في دار الآثار العربية بالقاهرة من مشكالات من الزجاج لمصر ماليا . فبر في هذه الدار من المشكالات أكثر مما في سائر متاحف العالم ومجموعاته العلمية مختلفة . وعدر من اشكالات تألوف احبيات ، ولكن دار الآثار العربية في حاجة ما . في كثير من لحدف امثلة التي تمثل سائر مادي تصور الإسلامية . وهي لآثار مصرية في حدود في هون اكتاب وو التحف التي عثل الطرر اعية الإسلامية التي اردهرت خارج ودي النيل . ولا شك عسدا في أنها تسمى أن تسطيع الحصول على بعض هذه التحف الفاية التي بعضها ، حتى وو عا الدليل إلى ذلك التبادل عن عدد من تلك مشكالات مسكرة . ولكن النوع والقوانين لا تسمح بسيم التحف المسجلة في الدار . ولا يحرم مذهب . مدار هذا كما لا مع من دس مسألة للوصول إلى حل مسلم . فقد يمكن أن نعثر على هذه الآثار وقد مصر في إعادة مثل هذه التحف مكررة . من متاحف الدول العربية شقيقة . وطولة ودقة . وقد يهتدى أولو الأمر إلى حلول أخرى . فلا بد من أن سادر البحث . المحصة إلى وضع مسألة كلها عن سطر البحث ، ولا سم أن من بين التوصيات التي انتهى بها مؤتمر الآثار في البلاد العربية « أن يوضع في قانون كل دولة ما يسمح بتبادل بعض الآثار مسكرة . أو إهداءها تسهيلا لتبادل الآثار بين المتاحف

ومن الأمور التي يجب أن تنحى فيها التعاون بين البلاد العربية ، تبادل المطبوعات في الآثار والصور وعادج التحف بين تلك البلاد . والحق أننا نود أن يكون في معهد الآثار بجامعة

فؤاد الأول سجلاً مصوراً يجمع رسوم الآثار والتحف في البلاد العربية كلها، ليرجع إليه الاختصاصيون فيما يكتبونه عن لاهوت والعقود الإسلامية وبس مثل هذا «الأرشيف» بدعة أو أمر صحت التعيد وفوائده العظيمة ندر ما نستطيع من بركات يمكن توريثها على عدد من السنين، بحيث يهيأ لنا بعد فترة من الزمن السجل الجامع الذي نطلبه والذي يمكن أن يصبح مرجعاً للاختصاصيين في الآثار من البلاد العربية كلها، فضلاً عن الاختصاصيين في آثار الشرق الأدنى من العلماء غير العرب. ولا ريب أن مثل هذا السجل المصور الجامع سيكون خير عون للأستاذة في شرح محاضراتهم عن تلك الآثار، بل إن معهد الآثار قد يستطيع بمصنفه أن يخص بالميدان الآثار القديمة في البلاد العربية الشقيقة كالآثار السومرية والبابلية والآشورية والعيبية وهي الآثار التي لا تخصي الآن بالعناية اللازمة في هذا المعهد.

ولن تستطيع دول الجامعة أن تحقق التعاون لأى شيء، إلا بإدارة الاتصال بين الاختصاصيين في الآثار بها على أن تكون هذا الاتصال مشتملاً على كل نقيض يخص الاختصاصيين في مصلحة الآثار أو يندرج في إحدى الدول العربية فرد من الزمن بعمق فيها بدوافع الآثار في دولة عربية أخرى وكل نقيض الاختصاصيين وانفعائهم بأعمال الحفر في إحدى الدول العربية لإبعاد محاضرات في معاهد الآثار والمتاحف بالدول العربية الأخرى، معروضون فيها نتائج بحوثهم، وندعوا الزملاء على ما يوقعون به من كشوف بل إن من غير أن يورث نشتمون بأمر لأى في أى بلد من البلاد العربية مدخل الحفر في سائر الأنظار لشقيقة للاطلاع على وسائلهم الخاصة، وبإدراك الآراء العظيمة التي تؤدي إلى تقدم هذه الصناعة من أهم الآثار حتى يهيأ لقاء بين باحثين من اختصاصيين العرب أن يصلوا إلى ما وصل إليه زملاؤهم العرب من وحي في هذا الميدان.

وعلاوة على هذا فإن لدول العربية كلها شيء إلى أن يكون من شأنها من يستطيع أن تعهد إليهم بأعمال حفر الأثرى فيها، وذلك بمقدار من متطوع المتطوع لأحيائه في آثار البلاد العربية ومن الطبيعي أن يؤثر كل دولة عربية الاختصاصيين من أبناء سائر البلاد العربية في القيام بالحفر الأثرية، إذ لم يهين لها من شأنها من يستطيعون أن يأخذوا على عاتقهم هذه المهمة بغير عون خارجي.

ولا ريب في أن القائمين على الآثار في البلاد العربية يحسمون سمعاً إذا عملوا على أن يكون بينهم اتصال وثيق لتيسير كثير من الأمور المشتركة، مثل قوانين حماية الآثار والتجارة في التحف، ومنع امتياز القيام بالحفر، ومنع تعظيم المتاحف والكتابة عن معروضاتها.

وترميم المآثر وتدريب الآثار والاعاق على المصطلحات الفنية في علوم الآثار فطبيعي أن اتحادهم في هذا الميدان قوة لا يستهان بها ، وأن كلا منهم يستطيع الإفادة من تحارب زملائه ، وأنهم يستطيعون بعد هذا التنسيق في أعمالهم أن يتقدموا جهة واحدة في أى منظمة أو مؤتمر من المنظمات أو المؤتمرات الدولية في شؤون المتاحف والآثار ، ومما يؤسف له أن الاختصاص في الآثار من أسماء البلاد العربية ليس بينهم من الاتصال والتعاون في الوقت الحاضر ما يمكن أن يحقق النفع المسمى المطلوب ، فإن كلا منهم يعمل على حدة ولا يكاد يقتصر إلا على طائفة من الاختصاصات في العرب ، حتى أن الفيلسوف الذي يعرفه معشر العرب من رجال الآثار ، عن الكشوف الأثرية في البلاد العربية ، لا يكاد يحده إلا عن العربيين . أما ما يعرفه عن أصوله في ديار العرب وعن زملائه في الأقطار الشقيقة ، فلا يزال ضئيلا ، ولا مناسب الجهود التي يبذلها كل واحد في ميدان اختصاصه . وإذا كان الاتصال في الإنتاج الأدبي وثيقا بين البلاد العربية فلأن عماده القراءة وانتشار المؤلفات . أما في الآثار فإن القراءة وانتشار المؤلفات العربية لا يكمنان . فلا بد من الاتصال الشخصي والدراسة في المتاحف ، وزيارة المآثر ومناطق الحفر وسادل الآراء في مختلف الأمور .

البحر وآثارها

للكنوز احمد قنوي

١ - مقدمة :

يدعاه ذكر الحصار العربية أو أثر حرية العرب في التقدم لإباني ، معترف دهم
أكثر الناس إلى الوقت الذي ظهر فيه نور الإسلام مثلاً قوت العرب ، ووجد بينهم ،
مخرجوا منحتون الأمصار ، وأنشأوا امراطورهم لمطعمه
ولكن قبل أن يولد النبي العربي صلى الله عليه وسلم ن أكثر من ١٥٠٠ عام كانت
هناك في بلاد العرب حصاره عظيمه ، لا نقل عن حصار بلاد الشرق الأخرى ، وسراب
بقايا هذه الحصاره فاعه في بعض جهات اليمن ، معابد لمبيين وآثارهم الأخرى التي نيت في
القرن الثامن قبل الميلاد ما زالت بطاول الاسماء ، ناسورها المصححة ، وأعمدها باربعة ، كما نقش
سكان اليمن القدماء على حدران بعض معابدهم وعلى لوحات من الحجر والخماس بعض أخبارهم ،
فأصبح يعرف الكثير عنهم . وليس القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو ممسا
ظهور الحصاره في اليمن ، ولكنه تاريخ محدد معروف ، ولا شك في أن بدء ازدهار الحصاره
في تلك البلاد يعود إلى عصر أقدم من هذا العصر يصعب مثاب من السنين ، أو أكثر من
ذلك ، كما أن صلة اليمن بالبلاد المجاورة لها تعود إلى آلاف السنين ، ولا يخلو لنا شك في أن
دراسة آثار اليمن بعد حصر مناطقها الأثرية ، سيلقي كثير من الضوء ، ليس على تاريخ الحريه
العربية أو الحرس الساسي فحسب ، بل ستوضح لنا الكثير عن صفة الحصاروات القديمة بعضها
بعض ، والدور الذي لعبه قدماء اليمنيين في تاريخ حصاره الشرق .

٢ - أقدم الحصارات بين اليمن وغيرها من البلاد

معروف من الآثار المصرية أن المصريين القدماء كانوا يقومون منذ شر نازحهم وحلات
بحريه في البحر الأحمر لإحصار البحور وبعض أشياء أخرى من بلاد بونت ، وهي البلاد الواقعة
حول بونت باب المندب ، على الشاطئين الآسيوي والأفريقي ، أي بلاد الصومل وحنوي اليمن
وحصر موت .

وقد كثرت هذه الرحلات منذ ألبى عام قبل الميلاد ، واستمرت حتى آخر أيام الحضارة المصرية ، وأشهر هذه الرحلات هي الأسطول الكبير الذي أرسلته الملكة « حتشسوت » في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وعاد بحملات بحيرات تلك البلاد ، كما عاد أيضاً ومعه أشجار البخور ، عرسها في حدائق معبد الإله آمون . وقد نقش الفراعنة المصريين على حدران معبد هذه الملكة في البر العري بالأقصر ، وهو المعروف باسم معبد أمير البحري بمصرين هذه الحملة وبحيرات بلاد بونت ، ورسموا على جدرانها وأهدوا وحيواناتها وأسماء البحر الأحمر ، وبما يحذر ذكره أن السفلات النهرية بين مصر وأرض لم تقتصر على مدن لشاطئ ، بل وجدت طريقها إلى داخل لبلاد . وقد رأيت في رحلي إلى اليمن في العام الماضي بعض الآثار المصرية ، وأهمها جدران من عهد ملك « ميديسيس ثايت » من الأسرة الثامنة عشرة المصرية . في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ومع آثار مصرية أخرى ، رجع تاريخها إلى القرن السادس من قبل الميلاد . ولكن هناك ما هو أهم من هذه السفلات النهرية . ولقد عرف المصريون أن بعض أجدادهم أتوا من طريق قنط لقصير ، كما أنهم كانوا يعلمون أن بعض آلهتهم وحاسة الإله حورس أتوا من الشرق ، وأحياناً يقولون من الجنوب ، وليس الإله حورس هو الإله الوحيد الذي جمعوا اسمه وبين بلاد العرب صلة بل إن هناك آفة أخرى أشهرها الإله « من » الذي كانوا يدركون دائماً نسفته إلى بلاد بونت .

وكما وصل اليمن عصر فيها انصلت بمهد الحضارة الآخر في العراق ، فقد ورد على آثار السوميريين منذ عام ٣٤٠٠ ق م . إشارات إلى الصلة بينهم وبين الحضارة العربية ، وفي أحجار الملك « نينجات ماسر لثايت » حوالي عام ٧٣٦ ق م . أنه أحضر من أهل ميسا حرية من الذهب والفضة والبخور .

أما صلة اليمن « الشاطئ » الأفريقي فلا بد أنها بدأت منذ أقدم العصور ، وتركت القبائل اليمنية على الشاطئ الأفريقي ، وأحياناً داخل البلاد ، تروا لا ينجي ، من حضارتها وثقافتها منذ آلاف السنين إلى اليوم ، وأهل أكسيوم القدماء ليسوا في الأصل إلا بعض من هاجر من اليمن إلى بلاد الحبشة .

٣ ذكر حضارة اليمن في الكتب المفردة :

ونعرف من القرآن الكريم ، ومن التوراة ، الذي اليميد الذي وصل إليه حضارة اليمن ، ونكفي الإشارة إلى قصة سيدنا سليمان وملكه سبأ ووضع مملكته وعرشه ، لتدرك

ما كانت عليه اليمن حولي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد ، كما ذكر ممالك معين وسبأ في التوراة ، في كتب الأنبياء ، مثل أرميا وحزقيال وأيوب ، تذكر من بين هذه الإشارات ما كانت عليه تلك البلاد من حصار ، وما كان في أمدى أزمانها من سيطرة على بحارة الشرق القديم ، وذلك قبل مجيئ الإسلام بأكثر من ١٢٠٠ سنة .

٤ - اليونان والرومان :

ولم يحل كتب مؤرخي اليونان ولرومان من ذكر الحروب العربية وذكر المميين والستيين ، والحربين ، وذكر بحره المحور والمطور التي كانت في أمدى بحار اليمن ، وهي التجارة التي كانت تدر على أصحابها أرباحا هائلة ، ولم يكن مسموحا للسنن الهمدانية أن يحتكر مينا عدن ، فكانت منظر إلى أن تنبع حوثها إلى بحار اليمن الذي كالوا ينقذوها قواهم إلى أسواق الشام بحدود الحريرة العربية ، من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ، ومن عره أحد طرقاتها شرقا إلى بابل ، أو غربا إلى مصر ومنها إلى أورط ونعمود فوافل اليمن من الشام محلة بكل ما يحدوه في أسواقها ، فيبمونه مرة أخرى إلى سكان الحريرة ، أو إلى التجار الهنود .

وأراد الرومان أن يجمعوا اليمن بسلاطهم ، ليعفروا لسيطره على هذه الطرق التجارية الهامة ، وأرسلوا في عام ٢٤ قبل الميلاد حملة تحت إمرة القائد « أليوس حابوس » حاكمهم في مصر ، فخرجت الحملة يساعدها الأساط حلفاء الرومان ، قصدون عرو اليمن ، فلاقى الجيش أهولا كبيره ، ثم وصل بعد ستة شهور إلى بحران وسكن قبل أن يصل مأرب التي قام المميين في معركة قصت قصه « ما على أمل الرومان ، فعادت فلول الجيش إلى مصر بعد أن مات أكثرهم وهذه الحملة هي أول وآخر حملة حربية ذات أهمية حاول فيها أوروبا أن تستولي على جزيرة العرب

٥ - اليهودية والسجدة :

هنا في اليمن حالة يهودية عيش في جميع أنحاء البلاد ، ويقدر البعض بعدد اليهود تسعين ألفا ، وهم مذهب صمد ، نحو سبعة آلاف ، ويعتقد أن عدد يرقم صمد فيه ، ولا يمكن أن يوجد عدد يود عن خمسة وأربعين ألفا ، في من كاه ، وهم لا يحتضون في مصهرهم لدم عن باقي سكان اليمن ، ولا في حصن مطهر ، من تركه لاجل رؤايتهم على « من برنس » ومسيهم

طائفة سوداء فوق رؤوسهم ، ويقول اليهود إنهم أتوا إلى اليمن من فلسطين في القرن الأول بعد الميلاد بعد تحطيم معبد أورشليم ، ولكن أكثر المؤرخين يميلون إلى عدم الأخذ بهذا الرأي ، ويمتقدون أن الدين اليهودي وصل إلى اليمن واعتقه بعض اليمنيين قبل هذا التاريخ بمصر مئات من السنين . وقد كان الميثيون والسثيون يمدون الآلهة المختلفة ، ورمزون لبعضها بالتمثيل كما لاف عبادة الكواكب إقبالاً كبيراً منهم ، وكان بعض هذه الآلهة محلياً أما البعض الآخر فقد جاء إلى اليمن من غيرها من البلاد وخاصة ناس . وعلى أي حال فقد انتشرت اليهودية انتشاراً كبيراً في حموى الحريرة ، وكان أهم أوقاف إردهاها في القرن الخامس والسادس الميلاديين ، كما أن بعض ملوك اليمن الحيريين اعتنق الدين اليهودي وأحد في اصطهاد عبر اليهود وخاصة المسيحيين .

وبالرغم من أنه لا يوجد مسيحي واحد بين اليمنيين الآن فإسنادى أنه جاء وقت على تلك البلاد كانت الكنائس منتشرة في أنحاء البلاد المختلفة ، وكانت بلاد نجران هي أول مناطق اليمن التي رحبت بالدين الجديد .

ورأى اليهود في المسيحية خطراً عليهم ، وحدثت صدمة الأعداء في نجران التي قتل فيها أكثر مسيحيي تلك البلاد ، وكانت السبب الذي نذر به ملوك بربطة ليطلوا من حليفهم ملك الحبشة أن يغزو اليمن لينتار لمسيحيين وكان ذلك في أوائل القرن السادس ميلادى .

فما الأحاسيس بلاد اليمن ، وسموا كنائس كثيرة أهمها «انقليس» في صنعاء التي رحرها أرمية إلى أقصى حد ووضع فيها تماثيل ورسوم فيها صوراً مذهبة ، وأراد أن يحمل من صنعاء مركزاً تجارياً وثقافياً نأى إليه القبائل بدلاً من مكة وكنتها في الحجاز ، وليكون في ذلك ما يحسب الناس في قبول المسيحية ، ولكن حدث بعد ذلك ما أثار أرمية ، فصار إلى مكة يهدم الكعبة ، ولكنه عاد مدحوراً إلى اليمن .

٦ - الروم :

وبينما كانت الحريرة العربية في هذه الحالة غير المستقرة ، أراد الله أن يطهر في مكة دين جديد قضى على ما هناك من حلفاء وحقق معجزة اتحاد سكانها ، ثم حرحت الحيوش العربية لتقصي على حيوش افروس والروم

وكان لليمن دور هام في نشر دعوة الاسلام ، فإن قبيلتي الأوس والخزرج اللتين باصرتا النبي الكريم بمنى ، هاجرتا من الجنوب واستقرتا في اندية على الطريق التجاري بين عدن وعرة ، كما أن دعوة الاسلام لقيت النجاح الكامل بين قبائل اليمن ، فلم يسلموا حسب

بل كانوا أول المستجيبين لدعوة رسول الله إلى الجهاد . فخرجوا من بلادهم لنشر الدعوة ، وفتحوا الأمصار ونشروا الإسلام ، وكانوا يحكم مدينتهم أفدر من سكان الحجار و يمجّد على الحياة في البلاد التي خصعت لتعود للإسلام . فكان جيش عمرو بن العاص الذي فتح به مصر من اليمن كله ، كما أن الجيوش التي سارت إلى شمال أفريقيا كان أكثرها من القبائل القحطانية ، وهذا هو السبب في التشابه المحسوس بين عادات بعض سكان تونس والحرائر ومراكش وبعض الواحات في الصحراء الكبرى وعادات بعض سكان القبائل اليمنية وخاصة قبائل المشرق .

وأهل اليمن أدكياء ويستطيعون تكيف حياتهم في أي محيط جديد ، فلم يمشوا إلا قليلا حتى امتزجوا بسكان مختلف الأمصار ، وتعلموا منهم أشياء كثيرة يجهلونها ، كما علموا أمما بعض ما يعرفونه من بقايا مدينتهم السابقة ، فكانوا من أهم ساء المصرح العظيم لدى عرفه العالم باسم الحضارة الإسلامية .

٧ - بلاد اليمن في العصر الإسلامي :

لم تلبث بلاد اليمن إلا قليلا حتى بدأت الخلافات المذهبية تحدث أثرا كبيرا في وحدتها وأمنها ، وسكن رغم ذلك تحت الملام في نضع فترات باردهار كبير إذا لم يشمل اليمن كلها فإنه كان يشمل بعض مناطقها ، وخاصة اليمن السعيدة (لواء آ ب) ولواء نمر ورديد وذمر وسماه . وظهرت دول كثيرة ترك بعضها ثروة هامة من العارة وخاصة في ساء الحوامع مثل الدولة الرسولية ، كما تابع اليمنيون في العصر الإسلامي سياسة أسلافهم في العارية باستغلال مياه الأمطار والسيول ، وذلك ساء السدود والخزانات والصهاريج لأن بلادهم تكاد تكون جوارا من الأمهار

وظلت اليمن مقسمة الأوصال مقسمة إلى دويلات ، ساعد على وجودها كثرة المذاهب الدينية ، فهناك مثلا الشوايع في بلاد تهامة وفي لواء آ ب وفي بلاد المشرق ، وهناك الزيدية ، أتباع الإمام زيد بن علي الذين بقيت لهم تقاليدهم الخاصة منذ أيام سمة ، ولهم إمامهم الخاص الذي لا ياتخرون بأمر غيره ، وهم يسكنون الحال . وهناك أيضا بعض الشيعة الإمامية . وفي وقت من الأوقات اشتد ساعد أصحاب مذهب الباطنية ويسمون المكارمة ، وكانوا إلى سنوات مصت يمارسون مذهبهم في بعض البلاد على مقربة من ذمار ، وفي بعض بلاد همدان ، ولم يقص على أعمالهم إلا حلالة الإمام يحيى رحمه الله .

ودامت اليمن لحكم الأتراك ، ولكن بعودهم لم يبق الشاطئ واقليم آب وصماء وما حولها ، وبقي أكثر البلاد يحيا حياة القبائل كما عاش أجدادهم ، ورغم الثلاثمائة عام التي اتصل فيها الأتراك باليمن ، فإنهم لم يستطيعوا توحيد البلاد ، بل على العكس تسببوا في تمزيق أوصالها ، ولم تحصل الحكومة واحدة إلا في عهد المرحوم الإمام يحيى بن حميد الذين انتداه من عام ١٩٣٦ فقط وبعد جهاده أكثر من ثلاثين عاما وهو يعمل لهذا الغرض .

ولاشك أن بلاد اليمن تأخرت كثيرا عن غيرها من البلاد ، ولكن يجب أن نقرر حقيقة هامة ، وهي أن الصاعق اليمنيين لم يفقدوا مقدراتهم ، بل ظلوا ممتطين بها ، كما أن علماء اليمن حافظوا على ما كان يصل إليهم من علوم ، قطعت حدوده لنداء مشتتة إلى اليوم .

٨ - المناطق الأثرية في اليمن :

إذا أردنا حصر نقايا الحضارة الإسلامية في اليمن وحدنا أن هناك نوعين أحدهما الحوامع وأهمها الجامع الكبير في صنعاء وجامع الحد على مقربة من نجر وعص اساحد في نجر بصها وخاصة الأثرية ، كما ترى في آب وزيد ودمار بعض حوامع أخرى ، ولكنها في مجموعها لا يمكن مقارنتها بحوامع القاهرة أو دمشق وعبرها من الحوامع الإسلامية وثاني آثار الحضارة الإسلامية هي آلاف المخطوطات المنتشرة في اليمن وأهمها في مكتبة المشهور له جلالة الإمام الراحل ، وفي مكتبة الجامع الكبير ، وهناك مئات من المجموعات الخاصة في جميع أنحاء البلاد ، وهي ثروة من العلم لا يوجد لها نظير في أي قصر إسلامي آخر .

ولم يبق في بلاد اليمن كلها شيء من نقايا الكنائس المسيحية ظاهرا فوق الأرض كما أنه لا توجد في اليمن كلها بيعة قديمة لها أهمية . وأقدم المخطوطات المعروفة لدى اليهود لا يرجع تاريخه إلى أكثر من خمسةة عام .

ويوجد في أنحاء اليمن بعض نقايا الحصون من المصور الوسطى ، كما توجد فيها أوصاف بعض الأعمال الهندسية لحسن استغلال المياه ، ولكن أهم آثار اليمن هي نقايا الحضارات المينية والسبئية والحيرية .

والحصارة المينية هي أقدم حصارات اليمن ، وكانت عاصمتهم في بلاد الحوف ، وما زال هناك الكثير من نقايا المدن القديمة وفيها آثار العابد وعلى جدرانها وفي أمهاتها النقوش ، وأهمها مدن معين والحرم والبيضاء والسوداء وكما . وقد عثر الأهالي على الكثير من الأحجار

المكتوبة وعلى التناثيل ولوحات الرور والحلي والعملة القديمة ، ووجدت طريقها إلى عدن ثم إلى بعض المتاحف الأوربية والأمريكية

وكانت عاصمة الحضارة السبئية في بلاد مأرب ، وما زالت حرائب العاصمة باقية إلى اليوم تنتظر يد العلم لتكشف عن وجهها القناع ، وحرائب هذه المدسة لا تقل في اتساعها عن أي عاصمة من عواصم العالم القديم ، وترى الكثير من الأعمدة ولأحجار النقوشة ملقى بين خرائبها ، كما ترى بعض حدران مدرلها ومعابدها ظاهرة فوق الأرض . وحول حرائب مأرب ترى الكثير من السطوح الأثرية أهمها مسجد المروفي باسم محرم بلقيس والمعبد المعروف باسم المعابد ، كما يوجد على مسافة ثمانية كيلو مترات تقريباً غرب الحرائب بقايا سد مأرب الشهير ، وستحدث عنه شيء من الإسهاب فيما بعد

ومن أهم مراكر الحصار السبئية مدسة صرواح وبها بقايا المعبد ، كما نجد فيها أيضاً الكثير من النقوش الهامة .

أما ثلث الحصارات وأقربها عهداً إليها فهي الحصار الجبزية ، وكانت في الجنوب ، وأهم بقاياها محدها في مدسة طهر على مقربة من مدسة ريم ، وبها بقايا المعابد والقار ، وسكن قد تحوّر أكثرها ، وسرق اللصوص أكثر ما فيها من نقوش أو أحجار مرسومة ، لأن طهر واقعة في المنطقة التي كانت حاصمة لحكم الآراك ، بينما بلاد مأرب وبلاد الحوف لم تحصع يوماً للحكم التركي ، ولم يجرؤ الناس على إذهاب إليها بكثرته خوفاً من سطوة القبائل التي تقبض هناك ، ولم يستطع حلاله الإمام الراحل أن يسمها إليه إلا حوالي عام ١٩٣٢ .

٩ - الرحالة الذين زاروا الآثار

أحد البدو منذ وقت طويل يسمون ما يحده من الآثار إلى الذين يتحرون فيها في عدن وكان طبيعياً أن يسأل هؤلاء المتحار عن البلاد التي أنت منها هذه الآثار ، فكانوا يحذثونهم عما في بلاد مأرب وبلاد الحوف من بقايا مدن القديمة . ولم يتيسر لأحد من الأجانب الوصول إلى تلك البلاد قبل الصيدلي الفرنسي « يوسف توماس أرو » في عام ١٨٤٣ ، وقد لاقى أكبر المشقات وكان نجاحه محدوداً .

وفي عام ١٨٧٠ أرسلت وزارة المعارف الفرنسية العالم « يوسف هاييبي » لنقل كل ما استطاع نقله من نقوش في بلاد اليمن لنشره في معجم النقوش السامية ، فكان هاييبي أول وآخر أوربي استطاع أن يزور بلاد مأرب والحوف ، ولاشك أن هاييبي نجح في عمله ، وأدى

للمعلم أهل الخدمات ، وقد ساعده في عمله أنه لبس ملابس اليهود والمسيحيين ، وكان سام في مقارلهم أينما سار ويتخذ أدلاء من بينهم .

وفي عام ١٨٨٢ بدأ إدوارد حلالر رحلته إلى اليمن — وهو يسمي الدين مثل هاليبي — ولكنه لم استطع الذهاب إلى مأرب إلا في رحلته الثالثة إلى اليمن في عام ١٨٨٨ وكان يدعى أنه من الحجاج لأثره ، وسمى نفسه باسم الحج حسين ، ودعم حماية أشراف مأرب له ، وتمهد لهم للحاكم التركي في صنعاء سلامته فإن رجال قبيلة عبيدة كادوا يقتلون به لولا هروبه أثناء الليل من مأرب ولم يذهب حلالر إلى بلاد الخوف ، ولهذا بقي ما بقته هاليبي من النقوش مصدرها الرئيسي إلى انيوم رغم مرور خمسين عاماً .

ولم يجرؤ أحد بعد حلالر على المخاطرة بالذهاب إلى تلك البلاد ، وكان المرحوم الإمام يحيى يحشى على حياة سيوفه ، فلم يسمح لأحد منهم بالسفر إلى تلك المناطق التي تعيش فيها قبائل لا تحصى أقامون ولا ترجع إلى رقة شخص عريب ، ولم يسمح لمرحوم الإمام يحيى لأحد بالسفر إلى مأرب إلا بالاستعداد بيه مؤهل لعمق في عام ١٩٣٦ ، كما أنه سمح بالاستعداد محمد توفيق بالسفر إلى الخوف وزيارته آثاره في عام ١٩٤٥ ، وكانت رحلة كل منهما برصاء خلافة الإمام ، وأرسل مع كل منهما الحراس العرب .

وفي شهر مايو عام ١٩٤٧ كان لي وفيه الحد بارساد المناطق الأثرية في اليمن ، فزرت البلاد من ورايح ومأرب ، كما ذهبت أيضاً إلى بلاد الخوف ودرت جرائنها كلها وعدت ومعى مجموعة صور فوتوغرافية لأثار اليمن ، وما رأيت فيها من كتب أو أحجار منقوشة ، كما تمكنت من نقل نقوش كثيرة أكثرها لم يره أحد من قبل لأنه حرج من مكانه في العامين الآخرين فقط . وقد أصدرت هذه الكتابات روعة كبيرة إلى معلومات عن تاريخ تلك البلاد وديانتها القديمة . كما ألقت صور الأحجار المنقوشة كثيراً من الضوء على صلة اليمن القديم بمون لبلاد لأخرى وخاصة الحضارة البابلية .

وكان الفصل أولاً وأخيراً في بحار زيارتي لآثار اليمن إلى المعورة خلافة الإمام يحيى الذي لم يكتف رحمه الله بتسهيل زيارتي لهذه المناطق ، بل أمر بأن أكون صيحه أثناء إقامتي هناك وكان يشملي مطعمه وعيانيته عند كراهه العاليه أطيب الشكر والعرفان بالجميل .

نقلت أنماها جميع ما فيه من نقوش كما أخذت أعداد بقايا الأبنية التي فيه . وقد كان هذا السد يؤدي عرابين أولها حجر المياه خلف وادي مأرب التسع عند مكان يكاد يلتقي فيه جبلا يلتقي الأيمن والأيسر ، في نقطة تسمى الصيفة ، لانتفاع بالياه مدة أطول من فترة مرور السيول ، وذلك لتصريفها من البواب حسب الحاجة ، وثاني العرضين رفع المياه خلف السد إلى علو خمسة أمثاله على الأقل حتى يمكن ري أراضي الوادي المرتفعة . ولهذا المرض سوا في عرض السادة عند الصيفة حائطا صخريا جعلوا فيه فتحتين لتصريف المياه إحداهما إلى اليمن ، وكانت تخرج منها رعة كبيرة لتروي الحفة اليمنى ، والأخرى وهي الأنم إلى اليسار ، فكانت تخرج منها رعة كبيرة تسمى نحو ١١٦٠ مراً ، ثم تصل إلى حوض كبير يخرج منه أربعة عشر مجرى للمياه في الاتجاهات الخمسة لري وادي التسع .

وقد كان كل من المرتعين يروي عدة بلاد . يذرت الأبرم سهدم السد ولم يبق في المنطقة إلا قرية صغيرة وهي قرية مزرب ويحتل ركباً صغيراً من الخرائب ويعتمد في رعايتها على الأمكن المحفصة التي يستطيع أن يرويه ماء السادة ويعتمد في شرب مياهها وماشيتها على الأنبار ، أما مياه الأنبار فتذهب الآن سدى في الصحراء .

وهناك عدة خرائب قري كارب رويها الرعة اليمنى وهي الباقية من الحفة اليمنى . وأهمها مدينة النحاس وحرمة مروت وحرم بنفيس والمهيد ، وفيها كاهن بقايا معابد وأبنية بالحجر . أما الرعة اليسرى فكانت لري مدينة مأرب لمطبعة وهي الباقيا المعابد المختلفة والنقوش لبنيية بالحجر . ظهر أعالي حدراها من بين الأنقاض هي والأعمدة . ومن النقوش التي على مقربة من السد تعرف أن أول من فكر في إقامته هو الملك « ستميلي سوف » وأمم يعمل اسمه « شع امر » البدان عاشا في القرن الثامن قبل الميلاد ، وقد تهدم السد عدة مرات وأسلخته الملوك المختلفون . هذا هو السد في وجود أسماء مروت عبيدين في نقوش الأحجار التي أعادوا استعمالها في البناء . وكان آخر زعيم للسد هو الزعيم الذي قام به الملك أبرهة الحبشي في نصف الأول من القرن السادس الميلادي وذكر يعقوب بن سطرانة وزعيمه للسد على لوحين كبيرين مارتان على مقربة من مكانهما الأصلي . وحدها مؤرخة في عام ٥٤٢ والأخرى عام ٥٦٥ وأمم النص بدأ بقول أبرهة « بقوة وحرور ورحمة الإله الرحمن ومسيحه وارواح القدس نقت أن أبرهة هذا انتفى كمناب ملك الحارث بن عيسى ودوين ملك سبأ ودوريدان وحصر موت واليمن وأعراة بحال ونهامة » ، ثم يتحدث النص بعد ذلك عن الثورة التي قامت بين القبائل في بلاد مأرب ودهاب لإحصاعها ثم عمله وهو هناك بأن سد

مأرب قد تصدع فأمس بإصلاحه وتم ذلك في أحد عشر شهراً وصرفت الخازن للمال الذين قاموا بهذا العمل ٥٠٨٠٦ كيساً من الدقيق و ٢٦٠٠٠٠ حمل من البلح و ٣٠٠٠٠ حمل وثور و ٢٠٧٠٠٠ رأس من النعم وذلك عدا الحيوانات التي استعملها الممل في النقل ، ودكر أبرهة في هذه النص أيضاً مفاطيس السد كما أشار إلى تعثي وباء الجدري في منطقة مأرب أثناء وجوده هناك .

وكان هذا الترميم هو آخر ترميم لسد مأرب ، إذ أصابه الخراب بعد ذلك بقليل فحدث سيل العرم الشهر وبعد ذلك اليوم اندثرت جميع البلاد الزاهرة التي كانت في هذه المنطقة .
هاتمة :

إن فصل اليمن على الحضارة الإسلامية في غير حاجة إلى تذكر أو تعريف ، فقد كان لليمنيين الفصل الأكبر في نقل حضارتهم وحضارات الأمم المختلفة التي نقلت الإسلام من مكان إلى مكان ، وشروا الكثير من فروع العلم والمهارة وخاصة إقامة السدود في جهات مختلفة في آسيا وفي شمال أفريقيا وفي أسبانيا

ولكن يعرف أيضاً أن بلاد اليمن لعبت منذ فجر التاريخ دوراً هاماً في نشر التجارة بين بلاد الشرق القديم واستقر المهاجرون اليمنيون في شمال الجزيرة العربية فكان منهم الباطليون الذين علموا السوميريين على أرمم في بلاد ما بين النهرين في الألف الرابع قبل الميلاد وكان منهم أيضاً القبائل التي عبرت البحر الأحمر إلى الشاطئ الأفريقي وصمدت حرماً كبيراً من تلك البلاد محاصرها ، وأذكر الظن أن أحفاد بعض هذه القبائل وصلوا إلى وادي النيل من الجنوب ومن الشرق وذلك في فجر التاريخ أيضاً .

إن مناطق الآثار في بلاد اليمن لم تعد إليها يد العلماء بعد ، وكل ما وصل إلينا من مسموعات لم تعد ترجمة الأحجار التي أتت من سطوح الأبنية وبعضها يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد ولكن بعض هذه الأكوام والأبقاض يرتفع ارتفاعاً كبيراً ، وكلما تعمق الخفر في عمله وصل إلى عمود أعمد في التاريخ لأن هذه المدن بنيت على أبقاض مدن أقدم منها

إن هناك شواهد كثيرة في التاريخ القديم للشرق بل لا سالع إذا قلنا إن هناك حقائق معقودة في أصل تاريخ حضارة بعض بلاد الشرق القديم وهناك أمل كبير في أن الأبحاث المتصلة في حوض الجزيرة العربية ستعلا هذه الفجوات وتصل بين هذه الحقائق بل وستلحق ضوءاً كبيراً على فصل الحسن الساسي والدور العظيم الذي لعبته الجزيرة العربية في حضارة العالم قبل دورها العظيم الذي قامت به عندما انشق منها نور الإسلام »

مقومات الحضارة العربية

للدكتور سليمان هزيم

لكل حضارة من الحضارات الكبرى في تاريخ البشر مقوماتها وأسسها التي تقوم عليها وتستند إليها . وحضارة العرب هي إحدى الحضارات الكبرى التي ظهرت في التاريخ ، وعاشت فترة طويلة من الزمن ، وأثرت في غيرها من الحضارات . بل إن بعض مظاهر الحضارة العربية ، لا سيما في ميدان الثقافة والروح ، قد عاش وبقى على الأنام أطول مما عاش غيره من ألوان الفكر والثقافة التي ظهرت في جهات أخرى من العالم . ومن أنماط الحضارة في ثقافة العرب لتتسم التي عاشت وأنتجت أدبا قام بذاته وعبره أصحابه عن معنى الحياة ومشعرها خلال فترة تقارب اثنتي عشرة قرنا . وهو ما امتازت به اللغة العربية على كثير من اللغات القديمة والحديثة ، فاللغة اللاتينية مثلا لم تعاش مصعة قرون ، مات بعدها كلغة يتكلم بها الناس ويمرونها عن مشاعرهم ، ولم تبق إلا كلمة تدرس في الكتب واللغات الأوروبية الحديثة كلها لا تكاد يجاوز أطولها عمرا ، كلمة حياة وأدب ، أبلغ أم أو نحو ذلك . أما اللغة العربية فقد عاشت وأنتجت أدبا فهمته الأجيال المتعاقبة وتدوخته رعم بعد الشقة في الزمن . ونحن الآن لا نقرأ الأدب الماهل ونتمتع بقراءته كما لا زال نقرأ القرآن وبأحدنا سحره . وهذا ما يعبر تراثا الثقافي عن تراث كثير غيرها من الأمم والشعوب .

وما يقال عن اللغة العربية يقال عن غيرها من نظم العرب الاجتماعية ، وما خلفوه من تراث حضاري عام . فقد بقي كله وحلده ، ولا بد لبقائه من سبب أو أسباب كانت من دعائم قوته ومقومات حياته . وقد يكون من المفيد في هذا الحديث أن نستعرض بعض تلك الدعائم والقومات ، استمرارا بهدف إلى تخطيط الحقائق التي وصلت إليها دراسات الحديثة للعرب وحضارتهم ، أكثر مما يقصد إلى التعمق في تفصيلات تاريخ الحضارة العربية

وأول ما يلاحظه على حضارة العرب أنها حضارة أصيلة في البيئة العربية ، قد تأثرت بطروفي مهدها إلى أبعد الحدود . فهي إذن ليست حضارة دحيمة ولا منقولة وإن كانت قد تأثرت ببعضها من الحضارات المجاورة . وهذا كان ارتباط الحضارة العربية بالبيئة الجغرافية لبلاد العرب سببا من أسباب قوتها واستمرارها على الزمن . ولكن الشيء المهم أن البيئة العربية

ليست كلها صحراء كما قد تصور ، وإنما فيها البادية وفيها الحضر ، وفيها الصحراء الداخلية والسهول الساحلية ، وفيها العيون وفيها الأودية وعجاري الأنهار ، ومنحدراتها كالربيع الخالي وصحراء النفود مقرر محدب شديد انحناء ، ومنحدراتها الآخر كبلاد اليمن على نوبة عزير الأمطار بشبه الجهات الموسمية ، ثم إن جنوب بلاد العرب على الجملة تسقط أمطاره في الصيف أي في موسم الحرارة ، على حين تسقط أمطار شمالها في الشتاء ، أي في فصل البرودة . لذلك كله فإن البيئة العربية كانت بيئة متنوعة أو هي عبارة أصبح وأدق تجمع بين الوحدة والتنوع : الوحدة من حيث الموقع الجغرافي العام والبيئة الصحراوية الحارة على الجملة ، والتنوع من حيث الاختلافات الإقليمية والمحلية . وقد انعكست الصورة الجغرافية في حضارة العرب وثقافتهم فهي وإن كانت ذات طابع عربي عام ، فإنها مع ذلك تضم بصقات محلية متنوعة . فهناك عرب الحبوب وعرب التين أو قحطان وعدن ، وهناك أعرب البادية ، وأساء الحضر من هناك في شمال الجزيرة أرض العراق وأرض الشام ، ثم هناك عدة الإبل الذين يعيشون على يابس ويعملون في النقل على طول طرق القوافل ، وهناك العرب الملاحون الذين ورثوا العميقين على سواحل البحر المتوسط وورثوا الملاحين القدماء في الخليج الفارسي وبحر العرب . إلى غير ذلك من مظاهر التنوع التي كانت في حد ذاتها مصدراً من مصادر القوة ، وعصباً من عناصر انبعاث الأمن وفتح مجال أمرهم في حياة العرب وحضارتهم . وبولا ذلك التنوع الذي كان مرده إلى بيئة العربية ما كانت لحضارة العرب تلك المقدره المعجبية على أن تحارم الأرض وتحارم الطرود ، ولا كانت لها تلك الحبيوة التي مرتبها عن غيرها من الحضارات .

وليس معنى التنوع في البيئة العربية وفي تكوين العرب أنهم كانوا مجرد جماعات احتلاط بعضها بعض ، وإنما مناه الصحيح أنهم كانوا جماعة ذات مواهب متنوعة ، وحيوية استطاعت على الدوام أن تجد مجالها في العمل والنشاط ومناه الحضارة مهما احتلقت اليدين ومهما بابت الطرود . وذلك كله أمر صحيح مسلم به من بدرسون تاريخ العرب والحضارة العربية .

ولقد حرج العرب من يفتهم إلى البيئات المحاوره واحتكوا بأهليها ، وبقوا عنهم ما بقوا كما مسحوم وأعطوم من نتائج بنتهم العربية ما ساعد على تراوج الفكر والحضارة في العالم القديم تراوجاً كانت له أطيب الثمرات . وكان ذلك على الأحص بعد ظهور الإسلام وانتشاره إلى الشرق والغرب وعلى طول طرق التجارة البرية والبحرية .

بل إن بحار العرب وملاحهم قد انتشروا إلى جهات بعيدة من الأرض وإلى ينابيع متباعدة أشد التباعد ، فهم وصلوا قب آسيا وأطرافها الشرقية ، بل وبلغت بحارهم البحر الأبيض ، وانتشر ملاحهم إلى سواحل إفريقيا الشرقية وبلاد الإرج من جهة ، وإلى بلاد الملايو وجزر الهند الشرقية ومصر وشواطئ الصين من جهة أخرى . وفي كل هذه الأصقاع كانوا رسل الثقافة وحمل النور . ولعل العرب من هذه الناحية أن يكونوا أوسع شعوب الأرض اتصالاً وشرراً للثقافة ونور المدنية والحضارة . بل إنهم سبقوا في سعة الاتصال وفاقوا في اتساع الانتشار ما علمه بعض شعوب أوروبا الحديثة بعد ذلك بعدة قرون .

والحق أن العرب أمة كان لها فضل كبير في الحضارة والمدنية . وهم سلالة الشعوب السامية القديمة ، وورثته ذلك الموقع الحضاري الذي في قلب العالم القديم وهو الموقع الذي اتصلت فيه السلالات من كل الألوان ، وعلم الإنسان أن يأخذ ويعطى ، وأن يؤثر ويتأثر ، وأن يعدو إنساناً في حضارة عالية بالمعنى الكامل الشامل . ولكن أهم بل الطرف أسمى يد درس الحضارة العربية يدرس في سر أسرارهم اتصالها العريضة كانت على الدوام حضارة ظاهرة مهيبة ، وقد يكون من الطريف في هذا المقام أن نسجل عنها بعض الأمور التي ميزت حضارتها وأبرزت الدور الحضاري الذي قام به العرب في سورة واضحة المعالم .

وأول هذه الأمور أن حضارة العرب الإسلامية أخذت من سعة انتشارها ما راد من قوتها وحيويتها ، وأصاف إلى اتساع أقطارها وتنوعها ، فاحتلقت حضارة العرب في أرض الشام بحضارة آرامية قديمة ذات اتصال بحضارة الأعريق وفلسطين ، واحتلقت في أرض العراق بحضارة سامية أخرى كانت متأثرة بحضارة العرس في شمال المائدة وبحال المروج ، كما احتلقت في مصر وأرض النيل بحضارة عريقة أصيلة كان من حظ أهلها أن يمسوا بهم تلقوا حضارة الأعريق وثقافتهم ونتاج فكرهم فاحتصوه وعدوه وحققوه للعرب والمستعربين من أبناء الشرق القديم ، الذين ما لبثوا أن عدوا هم وورثه الثقافة الإغريقية ، وأقاموا عليها خلال بضعة قرون . وهذا الاحتلاط كله في أرض الشام والعراق ومصر وكذلك بانفصال العرب مع أجزاء أخرى من العالم كعارس وبلاد الهند وشرق إفريقيا وشمالها . بذلك كله عدت حضارة العرب حضارة عالمية بالمعنى الصحيح ، وحرحت عن نطاقها ومهدتها الطريق إلى العالم القديم بأسره ، واتسمت أوجه الشبه والاتصال بينها وبين حضارات ذلك العالم وهكذا وجدت طريقاً حديداً إلى الخلود والبقاء ولقي صورة جديدة تختلف عما كانت عليه صورتها العظيمة في قلب الجزيرة العربية

والأمر الثاني الذي يهجم هو أن الحصار العربية في نشأتها الأولى كانت حصاره بسيطة غير مركبة ، وذلك من حيث أسسها المادية ، ونظمها الاجتماعية الصحراوية ، واتجاهات فكرها وزرعها الروحية . وهذه البساطة في حد ذاتها راجعة أيضاً إلى مقومات البيئة الجغرافية والاجتماعية بين اربعة وحدات الإبل . ولكنها كانت إلى جانب ذلك مصدر قوة في الحصار العربية ، لأنها جعلت منها لونا من الحصار أو الحياة واصح العالم بمحدد الأهداف والغايات قائما على أساس حبس العرد للجماعة واندماجه فيها ، حتى فيما يخص حياته المادية ، فالقاء والرعى وغيرهما من مرافق الحياة مشكلا كتاب مرافق عامة تملكها القبيلة كلها أو العشيرة الصارة في حمة من الجهد ولذلك كانت حياة العرد من حياة العشيرة ، كما كان دمه من دمه ، بل لذلك فإن الحصار العربية سميت في كلياتها الأصلية روح الترابط بين العرد والجماعة ولونها من ألوان التآخي والتضامن وشكاف بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وهذه ما حمل منها حصاره عالمية يصح لأن ينتشر إلى العالم الخارجي ، فربط بين أطرافه ، ولا تميز بين عربي وغير عربي ، وإيم شيع في العالم كله لونا جديداً من الحصار الإنسانية ، التي تقوم على أساس الأخوة في الحياة أو الأخوة في الثقافة والدين على كل حال .

وأما لأمر ثالث فهو أن البساطة في حياة العرب وحضارتهم قد تربت عليها ظهور انعكاس من امادة في كثير من ألوان الفكر العربي ، ولعل خير ما يوضح ما ذلك أن العرب حتى الآن لا يزالون يحدون مثلهم المعب في أمور مجردة غير معنوية ، فهم يرون القسيمة الشعرية أدق تعبير عن معنى الحق والخير والجمال من التمثال الجسم أو البناء الشيد ، وهم كثير ما يأخذهم سحر القول بما أكثر مما يحل بهم الزحف المعوس . ولعل العرب أن يفردوا في ذلك بين غيرهم من الأمم وتحت الثقافات الأخرى

أما الأمر الرابع والأخير فيتمثل في صفة لم تكن أقل تعبيرا الحصار العرب وثقافتهم من صفة لمصادم الأوهى المروية وانقد دعوى التجدد وعلى محارة الزمن ومخبرة ظروف البيئات المختلفة إلى انتشار بها العرب أو انتشار ثقافتهم . ومن هذه الصاحبة ينبغي أن تصحح خطأ شائعا عن العرب وعن حضارتهم الإسلامية . وذلك أن الاعتقاد السائد بان من يدرسون التاريخ العربي دراسة سطحية هو أن العرب قوم صحراويون ، قد انتشرت ثقافتهم ونجحت على الخصوص في بيئات الرعاة البدوية للبيئة العربية الأصلية . وكذا إدراجها خريطة العالم وحدد أن العرب قد انتشروا ونقلوا معهم معالم حضارتهم وثقافتهم إلى بيئات متمايزة أشد التباين .. منها أواسط آسيا وشمال أفريقيا وهي أقاليم رعوية ، ومنها مصر وأرض

العراق وهي بيئات راعية مستقرة ، ومنها بلاد الهند وهي مناطق راعية أيضاً ولكنها ذات صياح يختلف تماماً عن البيئة العربية الأصلية ، ثم منها حرر الهند الشرقية التي تقع عند خط الاستواء . وليس في بيئتها الحمرارية ولا في تكوين سكانها وبطنهم الاجتماعية ما يشبه من قريب أو بعد بيئة الصحراء وحياة الرعاة من الأعراب . ولعل هذا كله أن يكون دليل المرونة والقدرة على التشكل والتطور في الثقافة العربية بما يحدرى البيئة الحديثة . . وذلك ما اكتسبه العرب من بيئتهم الحمرارية وموقع بلادهم العراق ، واحتكاكهم بمد القدم بالشرق والغرب وبالشمال والجنوب .

لك خلاصة موحدة عن حضارة العرب ومقوماتها ، ومصادر القوة وعناصر الخلود فيها . لم يكن انقضاءها أن يستوى معاد تلك الحضارة سردياً واستقرصاً ، فهيات أن يستطيع ذلك في مثل هذا الحديث . ولكنها خلاصة أردناها أن نرددها في حضارة ما العربية من قوه ، وما تستمد إليه من مقومات ، لم يرددها الزمن إلا رسوا ولم تردده الأيام إلا ثامناً ، حتى عدت بذلك كله ثرائاً حاداً من حقاً أن نذكره ، ورسالة نالده ما أحرار أن نميش وأن نبقى على من الأيام .

سليمان عرب

أسد الحمرات بمحمد دارون الأوب

الجامعة العربية وأسسها الجغرافية والتاريخية

للدكتور سليمان هزيم

أثار تكوين جامعة الدول العربية اهتمام كبير في العالم خلال الأعوام الأخيرة ، وإن احتلعت وجهات النظر ، ونباتت النزاعات على هذا الاهتمام . فقد نظرت كثرة أهل المشرق العربي إلى تأليف الجامعة على أنه أمل تحقق ، وطمع غير قليل ممن يشكمون العرصة من أهل المغرب الأمازيغي ومنهج جهاب آسيا العربية دنسها إلى الانضمام إليها على أنه أمل يرتجى ، ووقف العالم الخارجي بين مشجع لهذه الحركة الجديدة ومخذ لها ، وبين معارض لها وللعكزة من قيامها ، أو محابذ تكاد لا يهتم لشأنها بأكثر من أن يطار ليرى ما يكون من أمرها في المستقبل .

ولسا نودها أن نعالج موضوع الجامعة من حيث إنها أمل تحقق أو رجاء يرتجى ، ولا من حيث إنها حادث دولي رتق سائجه ، وما عسى أن يكون من أمره . فذلك كله من شأن أهل السياسة ، وقد يكون من الخير أن نعرض إلى معالجة الموضوع من ناحيته الدراسية الخالصة . فبما قيل عن الجامعة وصروره قيامها كدعامة من دعائم السلم في الشرق الأوسط فإن مصيرها إنما يرتبط في الحقيقة بالقومات الأساسية التي يستند إليها وجودها كهيئة تألف من مجموعة مترابطة من الأمم ذات المواقع الجغرافية المتجاورة والتاريخ المشترك المتداخل والمصالح المادية المتشابهة . وهذه القومات الجغرافية والتاريخية تمثل عمصراً دائماً لا يتغير كما تتغير الظروف والبلات السياسية الباصرة . وإذا نحن نظرنا إلى الجامعة ودرسناها من هذه الناحية التي تكشف عن الأسس والقومات ، فإسنا نخرج بصورة تسمح بالحكم على ضرورة قيامها حكماً يستند إلى الحقائق الثابتة أكثر مما يستند إلى الأعراس التي قد لا تثبت أن تتغير أو تزول .

لذلك كله رأيت أن أعرض للجامعة كما عرض لها باحث الجغرافيا أو درس التاريخ . ولعل في هذا النهج من الدراسة ما يلقى صوباً جديداً على هذه الجامعة لما شئت ، يبررها في وضعها الصحيح ، أو في يقرب منه ، ويكشف لنا عن مكان القوة وعوامل الدوام فيها ،

رغم ما قد يمتص سيرها من الناحية السياسية بين حين وحين بل يكشف لنا بقدر استطاع عن قيمة هذه المنظمة واحتمالاتها الكامنة ، ومعنى تكونها بالنسبة لأهلها من جهة ، وبالنسبة للعالم الخارجى من جهة أخرى .

ولعل أول ما ينبى أن نسجله من الناحية الجغرافية أن الشرق العربى يحتل موقعا جغرافيا هاديا في قلب العالم القديم ، تلتقى عنده فارات ثلاث هي آسيا وأوروبا وأفريقيا ، انقى كان لكل منها دورها الخاص في تاريخ البشرية ، وعمد من سواحله من الشمال بحر قديم كان مهدا لكثير من معاصر المدنية القديمة والحديثة هو البحر الأبيض المتوسط ، الذى امتار بهدوء مياهه ، وانتظام ريحه وانتشار حرره ، وكثرة تماريح سواحله وحلجانه ، حيث قامت الموانئ والموانئ مند أقدم المصور . كذلك تنوع في هذا الشرق العربى من الحبوب دراعان المحيط الهندى والبحر العربى ، هما البحر الأحمر وحلج فارس ، وقد ارتقت كلا منهما سفن الملاحة آتية من بحار الهند والشرق الآسيوى البعيد ، أو من شرق أفريقيا . ولما كان المهم أن الاتصال البحرى لم يكن تاما بين بحار الحبوب وبحار الشمال ، وإنما قطعت بين تلك البحار أرض الحررة العربية الشامية ، فكان لزاما أن تمر المتاجر والمال في تلك المرحلة ، ومن هذا أصبح لسكان تلك المنطقة التحكم في المواصلات العالمية منذ القدم . ولو أن الحررة العربية كانت حرة بالمعنى الجغرافى المروى ، فأحاطت بها المياه من كل جانب ، وانصل البحر المتوسط وبحار الحبوب لبحر وحده التاريخ نمواً تاماً ، ولما كانت لشبه حررة العرب وما يتصل بها من بلاد وأقطار تلك الأهمية العريضة في تاريخ المواصلات الهلية وفي علاقات الشرق والغرب والشمال بالحوب .

والحق إن هذا الشرق العربى في حبوب عرب آسيا وشمال شرق أفريقيا قد لعب بموقعه الجغرافى دوراً خطيراً في تاريخ الاتصالات العالمية وتاريخ امشرق يوحه عام ، وساعده على ذلك أنه كان مهدا لكثير من الحضارات القديمة في مصر وبلاد الشام وسوسر وبابل وآشور وعمان وبلاد اليمن ، كما نشأت فيه عدة إمبراطوريات امتد نفودها وسلطانها إلى الشرق أو الغرب ، أو إلى الاثنين معا . وكان فوق ذلك مهيطة الديانات السماوية الثلاث ، فيه نشأت ومنه انتشرت ، ومبعث كثير من ألوان الفكر والثقافة العالمية التى بقيت على الزمن . ولو أننا نظرنا إلى تاريخ الإنسانية المكتوب وحسبنا أنه يمتد خلال خمسة آلاف عام أو نحو ذلك ، لكان من الطريف أن نذكر أن هذا الإقليم الذى نحن بصدده — أو أن أحراه منه على أقل تقدير — كانت مركز القوة السياسية الأول ومبعث الثقافة والعلم والمعرفة الإنسانية خلال

ما يقارب ثلاثة أرباع تلك الفترة . ولو قيس أهمية أقاليم وجه الأرض في تاريخ البشر بطول الحقيقة التي كانت فيها كل منها مركز السلطان ومبث المعرفة ، لكانت لهذا الإقليم السكّانة الأولى بين الأقاليم . ولعل من الخير والإصاف أن تتمثل هذه الحقيقة البسيطة أمام أعيننا ، حتى لا نصلها بتعب الطروب والأحوال في الوقت الحاضر والزمن الذي يعيش فيه ، فلا ندرك أهمية إقليمها ولا قدر مكانته العالمية على وجهها التاريخي الصحيح .

ويتألف هذا الشرق العربي في داخلته من نواة صحراوية أو شبه صحراوية ، تقل فيها الأمطار ولا يتطعم سقوطها ، وتمثل فيها حياة المادية العربية المروعة ، فلا تستقر بها السكان إلا في عدد من الواحات أو حول الآبار . وقد احترقت تلك لمواد منذ فجر التاريخ طرق القوافل ، التي سار عليها حداة الإبل ووسطاء التجارة ، فنقلوا السلع والمتاجر ، وحملوا معهم أنواع السكر والثقافة ، وكان ذلك الاحتكاك لشعري بعض الواحات ومراكز الاتصال ، ولقحت المدينة الخارجية حياة العرب وحضارتهم منذ البداية . كما استطاع البدو وتجارهم أن يشربوا نتائج بثهم العسكري إلى الخارج وكان هؤلاء التجار فوق ذلك وسطاء ثقافة ، حملوا رسالة السكر والمدينة بين أهل الشمال وأهل الجنوب ، وبين أهل المحاجر المتدلة والماردة وأهل البحار الدفينة والبحراء . ولم يكن عربيا بعد كل هذا أن ترتبط التجارة والثقافة في حياة العرب وسكان الحرية الداخلية ذلك الارتباط القوي المبرور

وعلى حاشي تلك لمواد الصحراوية الداخلية التي تمثل قلب الشرق العربي ، والتي لم تكن نواة صحراء ، وإنما احترقها الطرق في جميع الاتجاهات ، وبعدت إياها الحياة الخارجية من كل صيل ، كان هناك نطاق من الحياة المستقرة في أراض يربطها المطر ريادة نسبية أو يتوافر بها الماء من المخاري والأنهار . ويحب أحد التفاضلين بالنواة من جهة الجنوب ، لاسيما الجنوب العربي والجنوب الشرقي ، كما يجمع بها المشرق الآخر من جهة الشمال ، ويمتد خارج الحرية إلى الشمال شرق أفريقيا ، ففي جنوب صحاري بلاد العرب ومحاذها الوسطى كانت هناك اليمن وحصر موت وعمان وهي كلها مراكز لحصارات قديمة قبل الإسلام . فقد نشأت في اليمن وأطراف حصر موت الحصارات الميمية والمنشية والحيرية في ألف السنة السابقة ليلاد المسيح والحضارة السمة اللاحقة به . ونشأت في عمان حضارة أخرى قديمة لا يعرف عنها الشيء الكثير . ولكن بعض الباحثين يرى أنها ربما كانت أقدم من حضارة اليمن ، وأنها كانت على اتصال بأحراء مختلفة من الحرية ، بل إن السومريين أنفسهم ربما جاءوا في الأصل من تلك البلاد أو من حوارها قبل أن يستقروا في جنوب العراق . وسواء أصبح هذا أم لم يصبح ، فإن

اتصال سكان الجزيرة الجنوبية في عمان وحصر موت واليمن بسكانها الشماليين أمر تاريخي قديم لا حد له فيه ، وقد اشتهد ذلك الاتصال سوع خاص في العصر الحاملي وبعد ظهور الإسلام . وكان ل هؤلاء الجنوبيين فصل كبير في نشر الثقافة العربية والدين الإسلامي بالبحر إلى شرق أفريقيا و جنوب آسيا وحرر الملايو وأندونيسيا ، فكانوا بذلك رسل الثقافة العربية ودعاتها في وراء البحار ، وقد عرف الحصارمة منهم سوع خاص بأسمهم « فينيقيو البحار الجنوبية » .

ومع ذلك فإن الجامعة العربية تتكون من السيامي الحالي لا تشمل من جنوب بلاد العرب غير اليمن ، في حين أن الظروف الطبيعية والتاريخية تقضي كلها باعتبار حصر موت و عمان منطقتين متممتين لهذا الشرق العربي من ناحية الجنوب . ولا بد أن ستطر اليوم التي تنقسم فيه تلك البلاد إلى الجامعة ، إذ أرادت هذه الأخيرة أن ينصس تكوينها السيامي مع تكوينها الأفريقي ، وأن تستكمل مقوماتها الطبيعية والتاريخية جميعا .

كل هذا عن النطاق الذي يحف لنواة الصحراوية من ناحية الجنوب . أما النطاق الشمالي ذو الحياة المستقرة والمدنيت الحضرية القديمة فيشمل ما يعرف باسم « الهلال الخصيب » كما يمتد إلى شمال شرق أفريقيا ، لتدخل ضمنه مصر ووادي النيل الأوسط في السودان . أما الهلال الخصيب فيتألف من منطقة تمتد على شكل هلال مفتوح نحو الجنوب ، تتوغل فيه مادة الشام . ولهذا الهلال شعبان هما العراق و الشام عموما الأوسع . والعراق في مجلته سهل منبسّط تحف به الجبل في الشرق والشمال ، وبحري فوقه أسهار دجلة والفرات وقارون وروافدها المتحدرة من الجبل . وقد نشأ بالعراق منذ انقدم حصارات متتامة ، كان بعضها في أسفله مثل سومر ، وبعضها في وسطه مثل بابل ، وبعضها في أطرافه الشرقية مثل آشور . ولكن المهم أن العناصر السامية استطاعت في النهاية أن تكتسح معظم أراضيها اكتساحا ، وأن تصفنها بالسيمة السامية ، حتى إذا ما جاء العرب ووسعوا من داخلية الجزيرة قبل الإسلام وبعده ، لم يلقوا عقاء كبيرا في أن يشروا فيه لغتهم ودينهم وثقافتهم ، وى أن يتخذوا منه قاعدة يشرون منها مدالم تلك الثقافة نحو الشرق إلى إيران وتركستان واستطاع العراق في العهد العربي يحتل أدواره أن يكون وحدة ثقافية ، حتى إذا ما جاء العهد الحديث كانت هذه الوحدة الثقافية عاملا هاما في وحدته السياسية رغم وجود بعض العناصر الكردية وغير العربية في أقصى الشمال .

أما الشرق الثاني من هلال الخصيب فأكثر تعقيد من الشرق العراقي ، لأن الطبيعة

تعمل منه مهلاً مستويا تحرى فوقه الأسفار ربط بين مختلف أجزائه ، وإعما جعلت منه هدفا معتد السطح والتضاريس . ففي شماله توجد سلاسل لبنان الشرقية والغربية ، التي تفصل بين سوريا وسواحل لبنان ، والأولى ذات خيصال وسهول داخلية تنحدر نحو القادسية ، وترتبط بها ارتباطا وثيقا . أما لبنان فإن سعوج جباله الغربية وسهله الساحلي الصين تنحدر نحو البحر المتوسط ، وترتبط جبالها به ارتباطا يرجع إلى أيام الفينيقيين . وقد تأثر ساحل لبنان أكثر مما تأثر غيره من أقاليم الشرق العربي بحياة اللاجئين في شرق البحر المتوسط ، وثقافة الإغريق والروم الشرقيين ، وظهرت آثار ذلك في العهد المسيحي ، وفي الكنائس الطائفة التي لا تزال قائمة حتى الآن .

وإلى الجنوب من سوريا وسواحل هضابك شرق الأردن وفلسطين ، وتقسيمها منحصص الأردن والبحر الميت . وقد يكون من المهم هنا أن نلاحظ الفرق الكبير في التكوين الطبقي بين ساحل فلسطين من جهة وساحل لبنان شمال حيفا من جهة ثانية ، فالأول رملي منحصص تكثر به الرواسب ، ويكاد يغلو من الرافق الطبيعية الصالحة ، وإعما ترجع أهميته إلى الطارق البرية التي كانت تحترقه ، أو سبغ على طولها وترتبط ما بين مصر وشبه جزيرة سيناء من ناحية ، وداحلية الجزيرة العربية الشمالية وبقية أرض الهلال الخصيب من ناحية أخرى . أما ساحل لبنان من حيفا شمالا فصغرى في أكثر أجزائه ، ويوجد به عدد من الرافق الطبيعية التي لا تزال تستعمل في الوقت الحاضر مثل بيروت . وقد مثل هذا الساحل على الدوام المدخل البحري الأساسي لتجارة الشئ الشامي من الهلال الخصيب ، واستطاع أن يحتفظ بمكانته هذه على مر العصور . فكما تحكم الفينيقيون في بحارة مملكة سليمان البرية التي كانت تشمل أراضي فلسطين والشام الداخلية ، كذلك استمرت موانئ لبنان ومرافقه الموانئية متحركة في بحارة الشرق الأدنى في العصور الوسيطة ، ولا تزال في الوقت الحاضر تلبس أعباد سوريا الداخلية على بيروت (والاسكندرونه قبل أن تصب إلى تركيا) في بحارتها البحرية . ولذلك كله فقد يكون من الخير في معرض الحديث عن التكوين السياسي والقوى لكل من سوريا ولبنان أن نجمع بين حقيقتين لا سبيل إلى الأحد بإحداهما دون الأخرى : فاما الحقيقة الأولى فإن مقتضيات البيئة الطبيعية والتوجيه الإقليمي والتاريخ الثقافي تقضي بأن يكون لكل منهما كيانهما القوي والسياسي واستقل . واما الحقيقة الثانية فإن مقومات الحياة الاقتصادية السليمة والصالح المادية اشتركة تقضي بأن يكون بينهما أوفق الاتصال ، وأن تكونا بمثابة الشقيقتين التوأمين في أسرهما الأم العربية .

فإذا ما نحن خرجنا من الجزيرة العربية معناها الجغرافي انصيق ، وانقلنا إلى شمال شرق
أفريقية وحدنا أرض وادي النيل التي ارتبطت في تاريخها بطول ماشرق الأسيوطي للبحار ،
وكانت فوق ذلك واسطة الاتصال بينه وبين الخارج في بعض أدوار ذلك التاريخ . والحق
إن الجغرافيين المحدثين لا ينفقون لأن بين شمال شرق أفريقية وحبوب غرب آسيا ، وهي
كلها تؤلف إقليمًا جغرافيًا واحدًا ، رغم وجود البحر الأحمر بينها . وقد وثقت الطبيعة الصلة
بين مصر وغرب آسيا ، وأعلنت طريقًا طبيعيًا سهلاً يصل بينهما ، وسر على طول الساحل
الشمالي لشعبة جزيرة سيناء ، حيث يسقط الأمطار في فصل الشتاء ، وتجربها كشأن الرمال
المنتشرة على الساحل ، تعتمد بها المياه الجوفية طول العام ، وبذلك كثرت الآبار
وتوافرت المياه على طول الطريق . وقد كان طريق سيناء الشمالي هذا هو طريق العمرة
السامية للمدة التي حارب من الشرق إلى مصر في أيام قدماء المصريين كالفكسوس وغيرهم .
ثم جاءت عنه عمرة العرب وهجرات قبائلهم خلال العهد الإسلامي ، وكذلك خرجت على
طول هذا الطريق عرواى المصريين وحملاتهم إلى الشرق القريب في أعصر التاريخ المختلفة ،
ولا زال لهذا الطريق أهميته العسكرية الكبرى ، فهو مفتاح مصر من ناحية الشرق ، وفيه
تسير الآن سكة حديد فلسطين ، وحارب من طريق السيارات لجرى الحديد . وكلما سهل
الاتصال وسر من هذا الطريق استوثقت العلاقة بين مصر وحاراتها العربية ، وبرزت قيمة
اهتمام مصر بشؤون تلك الحارات . ولا بد هنا من أن نشر رسالة خاصة إلى موقع فلسطين
عند طرف مدخل مصر الشرق . ذلك أن فلسطين هي الأخيرة الوحيدة المباشرة لمصر من
بلدان الشرق العربي ، فحدودها البرية من الشرق لا تلامس بلاداً غيرها ، ولا يمكن أن يتم
الاتصال البري بين هذه البلدان هذا الشرق إلا عن طريق أرض فلسطين ، وإذاً فإن
فلسطين إن هي ثقب خارج طاق الجامعة العربية الحديثة تستطيع أن تكون حائراً حقيقياً
بين مصر وبقية بلدان الجامعة ، فتعوق مثلاً تنفيذ أية اتفاقية حركية تشير ببادل المستحات
والتأخر وتقيها بين أعضاء الجامعة ، أو تموز مرور قسم من أبواب المنزول السعودية إلى
إحدى موانئ سواحل مصر للتكرير والتصدير ، أو تمرقل أية اتفاقية لتيسر مرور المسافرين
بالبر بين مصر والشرق ، أو غير ذلك من الحالات التي قد تبدو اقتصادية محضة في الوقت
الحاضر ولكنها قد تصبح واقعية ومؤلة .

وعلى ذلك فإن فلسطين قيمة أخرى هامة للعلاقات بين مصر وحاراتها العربية ،
وهي تعتبر قاعده عسكرية من الدرجة الأولى ، ونستطيع أن سلطة تسيطر عليها أن تهدد كيان

الشرق العربي كله ، ونمل في ذلك ما يكشف لنا عن ضرورة التعاون الشامل بين أمم الشرق العربي وشعوبه إذ هي أرادت أن تحفظ كيافها بعد أن تعبرت بعض الأوضاع العسكرية في هذا القسم الخطير من العالم .

على أن هذا الأمر مما تقتضيه لا تفقد عند سبها كانت وثيقة الصلة بمقبة اشرق العربي ، ولا عند أنها تكون جزءاً أساسياً من هذا الإقليم الذي تضمه بلدان الجامعة ، وإنما يجب في الوقت نفسه أن نلاحظ أن مقومات احياء في مصر دنها توسط ساحية ثانية غير الشرق الآسيوى ، هي وادى النيل من ناحية الجنوب . فقد قصت الطبيعة أن تمتد حدود مصر « احيوية » في هذه الجهة الأخيرة إلى امتد كثير من حدودها « السياسية » . ولذلك كان على مصر أن تستثمرت مصالحها ومصالحها في احيويات استثمرت كلها بمصالحها ومصالحها مع اشرق . بل يندك كان اتصال مصر باحيويات قديماً قدم ، مصالحها بالشرق . وكل كان ذلك الاتصال بالشرق قائماً على مبادل سلعهم والتجارة ، واحتشاك الفكر ، واستشار الثقافة ، كان قائم كذلك على هذه الأشياء جميعاً ، وعلى شيء آخر فرسه الطبيعة فرسا ، فأحسه المصريون إحساساً واستعداداً بآله ، فأنهبوا نحو الجنوب لأنه مصدر الحدة ، وشروا احصارتهم فرعونية ومسيحية وإسلامية في روع السودان بل تخطوه إلى بلاد أخرى في شرق أفريقيا وارب على ذلك كله أن بوذلت الصلات الشرقية ، وتمككت الروابط التاريخية ، فأضفت على اوحدة الجمرافية قوة جديدة ، لابد أن ينتهى منها طبل الزمن ، ومهما كثرت المراقيل المصطنعة ، إلى أن تستصل ما قصت الطبيعة - وما أمر الله به - أن يوصل بين مصر والسودان . وإلى أن يتم ذلك نسمى أن بواجه الحقيقة اردوحة ، والتي لا يمكن تجاهلها ، وهي أن مصر لن تحدد أمها كاملاً ، بل هي اكتفت بتحقيق صلاتها للمكينة مع الشرق العربي الآسيوى دور أن يستكمل وحدتها في الجنوب ، وإن هذا الشرق العربي ذاته لن يجد قوته كاملة ما لم تكن مصر والسودان معا عصبوا أساسياً عاملاً في جامعة أمم الجديدة .

والآن وقد فرعنا من استمرار الروابط الجمرافية والتاريخية بين مختلف أقطار الجامعة نستطيع أن نعرض في إيجاز الحركة اى انتهت تأليف الجامعة ، فقد سير ذلك التاريخ سبيلها في تحقيق معنى هذه الحركة وتحديد أهدافها ومراميها واستشعار معنى ما قد ينتهى إليه أمرها في المستقبل . وهذه الحركة كثيرها إنما جاءت ونبذة تطور بطيء في الفكر والتنظيم داخل نطاق العالم العربي في الشرق الغرب ، ويطور بطيء أيضاً (وإن لم يكن من معاحات وتحولات سريعة أحياناً) في علاقة سكان ذلك الشرق والعالم الإسلامى عامة بالعالم

الخارجي . وقد يذكر أن انتشار الإسلام اقترن منذ البداية بحركات سياسية كبرى صحب إنشاء الإمبراطوريات والممالك العربية المتتامة ، ورغم قرب السيادة وانتقالها في النهاية من أيدي العرب إلى أيدي الأتراك ، ودخول الشرق إلى ذلك في عصر مظلم ، سادته الانحلال واركود ، فقد احتفظ العالم الإسلامي في حملته باستقلاليته السياسية خلال قرون ثلاثة أو تزيد ، حتى إذا ما انتهى القرن الثامن عشر وطبع لقرن التاسع عشر وجاء « بليون » بحملته المشهورة على مصر وانشق العرب ، كان ذلك حاجة عهد جديد ، إذ كانت هذه أول صدمة موحمة إلى قلب العالم الإسلامي ، لغت انظار إلى أهميته السكامة ، وهيمته بأسياسة للتساقي الأوربي نحو السيطرة العالمية . ومع أن حملة « بليون » هذه أضعفت في عزمها المداشر من احتلال مصر ، وقطع نظري على الإبحار إلى إمبراطوريتهم في الهند ، فإنها كانت نقطة تحول في التاريخ عامة ، وفي تاريخ اتصال الشرق بالغرب ، والعالم الإسلامي بأوروبا بصفة خاصة . وربما كانت الحملة الفرنسية من هذه الناحية من أمد حروب نابليون آياً وأغناها ذكر على الزمن .

وقد تتابع الصعد الأوربي والتوسع السياسي على حساب العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر . ولم يكن عربياً أن يؤدي طراد الضغط والتنوع في بلاد المسلمين وممتلكاتهم إلى رد فعل سياسي . فشأت في أربع لأخير من القرن الماضي حركة خطيرة كان على رأسها جمال الدين الأفغان ، وهي حركة « اوحده الإسلامية » التي دعت إلى تحرير البلاد الإسلامية وإعزاز حاشتها دفاعاً للخطر الأجنبي . وقد فسرت هذه الحركة إزاء ذلك تفكيرات محتمة ، فقل بعضهم إنها إحياء لحركة التوسع الإسلامي القديمة ، وإنها معنوية على خطر كبير وشر مستطير بالنسبة لأوروبا واديحية عامة . وقال بعضهم إنها وإن لم تستطع أن تبديد عهد السيف وأن تغلق الجهاد مسلح فيها سمعت روح التمصب ، وعمد عناصر الحق والانكراهية التي لا بد أن محر الشرق والغرب في النهاية إلى القضاخ والحرب ، وقالت فئة قليلة إن هذه الحركة لا تبدو أن تكون نبعاً في الهواء شعر الزواجر المحلية ، ولكنه من يستطيع أن يبعث في الشرق روح الجهاد ، كما معنا ظهور الإسلام لأول مرة . ولحققة أنها كانت حركة طبيعية ، ونتيجة لازمة ما سبق به العرب من توغل واستمرار ، ولم يكن لشرق ولا الدين مسئولين عنها . أكثر من العرب ومن السياسة . وليس أدل على أن الادافع السياسية السكامة في هذه الحركة كان أقوى من الدفع تدني الظاهر من أنها ما لبثت . دعم تسميتها « بالوحدة الإسلامية » — أن تحورب ونقلت بالتدريج في أوائل القرن الحالي إلى حركتين عصرتين داخل العالم الإسلامي ، وهما : حركة لطورانية ، وحركة الوحدة العربية . وكانت

هذه الأثرة موجهة ضد الغربيين المسلمين بقدر ما هي موجهة ضد العرب المسيحيين والذي يصبها في شأن حركة الوحدة العربية أنها كانت تمثل المرحلة الثانية في الوعي السياسي الحديث للشرق العربي ولم يكن هذا الشرق في أوائل القرن الخالي قد أصابه كثير من صنف أوربا المسيحية ، وفي عدا مصر التي استولى عليها الإنجليز ، بل كان ذلك الشرق في حيلته لا يزال يحكم العثمانيين بالفعل أو بالاسم . لذلك لم يكن هناك سبيل إلى أن تتجدد الحركة العربية مظهراً دينياً ، وإنما هي قد ظهرت على حقيقتها ضد الغداة . ولكنها كانت بذلك أدعى إلى القوة ، وأدنى إلى الحقائق العملية من الحركة الأساسية الأولى ، فضلاً عن أن العالم العربي كان أصغر كثيراً من العالم الإسلامي . وكانت أحواله أكثر تفارماً وعاسكا ، وشؤونه الاقتصادية أكثر تداخلاً وتشاكاً ، وثقافته أكثر وحدة واتساقاً من العالم الإسلامي الكبير الذي يشمل الهندي والعربي والترك والعربي وغيرهم من دوى الأقطار المتعاضدة والصاحبة متفرقة ، والثقافات المختلفة ، والأجناس المتشابهة التي تسمت اسمع بينها في كيان سياسي واحد .

لذلك كله نشأت حركة الوحدة العربية وهي أصبحت بقاء واثم من الحركة الإسلامية ، وقد أهدت الحركة الجديدة من الحرب العالمية الأولى عهد ما أثار العرب إلى جانب ارتفاعه ضد تركيا التي صنعت في حسكر الأتراك اتسوى ومع ذلك فإن العرب لو اتسعة ، وما حصلوا عليه من وعود وعهود كثيرة لم تشفق منها غير جانب ضئيل محدود . ذلك أن الحرب في أوروبا هيعة الواقع العربي والعسكري للشرق ، لا يسوي اقرب اطعم فيه الدول المستعمرة ودان لصاح في الشرق عامة . وقد جاهدت - واصلوا في إراحه بعض الأراش - ولكنهم لم يرقوا إلى مكان السيادة ، لا ريفياً حراً محدوداً ، وفي مناطق الداخلية البعيدة من الحرية كسجد ، أو برويه وغير المعروفة كائن الأملج . أما السواحل العربية وما على الهدنة في درود وتواصلات ، أو أحسن موارد الحرب وعدها ، فقد امتدت إليها الأيدي عارية سافرة ، أو مدهمة مستترة ، فكان مسح واحتلال ، وكان نفوذ وأسدب ، وحرش : طاعة ومربسا نصير الأسد بعيد البحر ، بعد أن حاول أميركا أن تكون لها يد ، ثم كفت عن ذلك وتغذت بعمده عن الشرق ومشكلا - الشرق .

وفي هذه الأثناء كان على السياسي في الشرق العربي قد دحر في المرحلة الناشئة من مراحل تطوره الحديث ، إذ أخذ الضمور القومي الخبي يشرر إلى هذا الشرق مختلف أصقاعه وشأنه خلال الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، وأحدث فكرة « الأمة » معلود

في أوطن صغيره وأقاليم محدوده ولم بعد أساس فكرة « القومية » و « الأمة » الاشتراك في الدين ، كما كانت الحال في المرحلة الأولى أمام حركة الوحدة الإسلامية ، ولا الاشتراك في اللغة والثقافة ، كما كانت الحال في المرحلة الثانية بأن الأمم الأولى لحركة الوحدة العربية ، وإنما أصبح ذلك الأساس هو « الوطن » و « القومية الوطنية » التي تفصل بيئة معينة وقيم معين ، يعيش داخل حدوده جماعة بشرية تتشكك بين أمر أدها مصالح ومقومات الحياة مادة ومعنوية ، ويكون من ليسور بوحية جهودهم والإغراب عن آرائهم تثبت الوسائل التي اصطفتها وأحدث بها الأمم والقوميات الحديثة في أوربا خلال الحيلين السابقين وكانت شعوب الشرق العربي قد أدركت أن الظروف والأوضاع السياسية قد تعرت كثيراً عما كانت عليه من قبل فتشروع الوحدة العربية لا يسهل سعيه في صورة نظرية ، كما أن الوحدة الثقافية العامة لا يمكن أساساً لقيام الوحدة السياسية والقومية ، خصوصاً إذا تسميت المصالح المادية والاعتبارات القومية ، وإذا احتضنت مراحل المصالح السياسية وسانت نظم الحكم في مختلف الأقطار .

ولكن حرب المسببة ما لبثت أن جاءت بمصر جديد ، أو هي بعبارة أدق قد عجلت ظهور هذا المصير الجديد فبعد أن كان الشرق لأدنى في الحرب العالمية الأولى ميداناً ثانوياً فإنه أصبح في الحرب الثانية ميداناً أساسياً من ميادين القتال ، تحمفت فيه قوات المحاربة بأعدادها الضخمة من أغلب أقطار العالم ، ودرت فيه ملاحم كبرى كان مصيرها فاصلاً وحاسماً في تقرير مصير الحرب كلها . فبرز قيمة هذا الإقليم المحروم ، وراحته الأهل الإقليم إلى أن تشووه له مرة ، وبكثير جداً من شؤون التفصيص الخاصة ، وبه ذلك أهل الإقليم إلى أن ينداهم وأقطارهم تحت سيطرة جبرية فالحظوة من ناحية الاتصالات له له ، ومساقت للأمم المتحاربة الكبرى في رحمتها نحو هذا موقع لا يسمته الفصلة في كل ما تشغل بالهيطره المالية في الحرب والسلام على السواء . ودم الأمر كذلك فإن من الشرق الأدنى وتاريخه القابل لتبقى مرتبطة أشد الأسيوط وأوثقها بالشؤون العربية والمصالح الدولية ، وليس بعيداً من هذا الموقف الدولي أن يكون لكل وطن صغير في الشرق العربي استقلاله القوي . فقد لا يلبث مثل ذلك الاستقلال أن يذهب مع الريح ، التي قد هبت من الغرب أو من الشمال ، أو هي قد تعصف غالبة كالإعصار من جميع الجهات ، فتكون أنظمة الكبرى ، ونأي الريح العاصف على كل شيء ، ويطروح شغل الشرق إلى أسفل الدراج من جديد

في هذه الظروف بدأ لقائمون على شؤون أمم الشرق العربي يدركون ضرورة إيجاد نوع

من التعاون بها جميعا لعمل ذلك يشد من أروها ، ويقطع الطريق على بعض ذلك الشائش والنساق بين الدول الكبرى على استعمال تفرق الكلمة بين أمم الشرق . وقد ساعد على هذا الاتجاه الحدد نحو التعاون أن بريطانيا التي تجمع لها من الحرية والتجربة في شئون هذا الشرق ومن المصالح الحيوية فيه أكثر مما تجمع لبرها من لأمم القوة ، قد أحست حاجتها إلى أن يعدل في سياستها التقيدية وإلى أن تسار الانحهاات الجديدة قبل أن يسبقها الزمن ، فلم يدرص في ما سله قادة الشرق العربي من مسمى في سبيل التعاون المشود . . . وهكذا تهيأت الظروف ، وتماقت الحواث حتى تم تأليف جامعة الأمم العربية ، التي نحن بصدد هذا الآن

على أن من المهم أن ندحض أن هذه « الجامعة » العربية تشكيبها الحالي مختلف عن « الوحدة » العربية عالمى السياسى المروف ، وقد تقدمت شعوب الشرق العربي حثيثاً نحو الاستقلال القوى ، وطرب — أو بطريرس مها على الأقل — إلى « الوحدة » السياسية على أنها رجوع إلى وراء ، وعلى أنها أمر لا سبيل إلى تحقيقه عالمى الصيق للوحدة ، بعد أن اتحدت هذه الدول الناشئة سبيلها إلى تحقيق الاستقلال القوى في كثير من الأشياء ، بل بعد أن أحد كل مم نظامه الخاص في الحكم وإدارة إلى حد لم يستطع قادة الشرق أن يمكروا حتى في إقامة « اتحاد » بين الأمم أو قوميات عربية على نحو ما تحد في الولايات المتحدة الأمريكية ، أو اتحاد الجمهوريات السوفيسية . وعلى ذلك لم يكن بد من الاكتفاء « جامعة » تحفظ فيها كل دولة نكيها المستقل ، ولا ترضط بغيره الأعضاء إلا بالشاورة الحرة ، وفي حدود ما امكن عليه الأعضاء مختاري ، تحقيقاً لمصالح مشتركة ، وصحة لا على أن يصيب الأعضاء منفردون أو مجتمعين من حيز لا بد أن ترتب على اجتماع كلهم في عالم لا يكاد يصيحات الفردية الصميمة تحد فيه سدى ولا ردها .

ومع ذلك فقد لا سعد كثير على الحق إذ نحن قررنا أن مشروع الجامعة ، كما أحد به ، كان حراً ما يمكن التوفيق به بين فكرة الوحدة من جهة ، وبين ما استحدث على الشرق العربي وأقاليمه من وعى سياسى قوى وما اقتضته الظروف الدولية وبصام العالم الجديد من جهة أخرى وقد لا يبعد أن ثبت الأيام أن هذه الخطوة التي خطاها الشرق العربي كانت خطوة سديدة خطها شعوبه في الاتحاد الصحيح ، وأن السياسة التي أملها لم تكن سياسة عاطفية متطرفة بقدر ما كانت سياسة عملية تقوم على الاعتدال وإدراك الحقائق . بل قد لا يبعد أن يكون الجامعة في قابل الأيام ، ورغم بعض الأعراض السياسية الطارئة ، أداة سالحة لتحقيق

التعاون الدولي في هذا الإقليم الذي يعتبر محطاً للعلاقات الدولية والعالمية ، وأن تكون
هوى ذلك وسيلة صالحة لتوحيد الجهود واستكمال ما يقص من استقلال أكثر أعضائها الحاليين
وتعميد السبل لاستقلال بقية الشعوب العربية التي لا زال خارج الجامعة ، ودكها يتوفى
إلى الانضمام إليها في يوم من الأيام .

وعد جاب الشرق العربي كان منذ أقدم العصور مدرسة للإنسانية في كثير من الأشياء .
فعليه نشأت عبر واحدة من انبياء القدعة ، وفيه نشأ الأديان السماوية ، ومنه اشرب
دات النعمى وذات الشمال ، وفيه احتك الشرق والغرب ، فتعارف الإنسان وعلم كل مهما من
الأحر بعض ما لم يكن يعلم . وقد مر الشرق العربي في تاريخه الطويل نكث من التحارب
والأحداث ، ولا شك أن تاريخه الطويل القابل سيجعل نكث ما جعل به ماضي ، ورغم كان
مرجع الاضطراب المسمى وعدم الاستقرار في هذا الإقليم إلى أن ثلاثة دات بغليد قديمة
راسخة في الحياة والحكم والثقافة ، وكل حدد فيها لاند أن ينسج مع القديم الذي لم
يستطع الزمن أن يمسحه . ولذلك كان طبيعي ألا تستقر النظم الحديثة في سهولة وبسر ومع
ذلك فإن الشرق العربي يمر لأن متحيرة تكاد ينسج بها الزمن . فهو يحاول أن يوفق في
نظامه السياسي بين القومية العبيدة التي ترسط بوحى معين وأمان قومية من الطبيعي ألا تحلو
من بعض أديبه ، وبين التعاون الدولي في جماعة من الأمم المتقدمة وذات المصالح المشتركة
ولاند أن يؤدي هذا التوفيق إن يحج إلى هديد الشعوب القوي ، وللطيف روح العصبية
الإقليمية ، على نحو يعلم الأمم الصغيرة كيف تعمل ونصحي من أحل حاراتها ورميلاتها ،
فيما ينسب إليه من خدمة أو حمامات ، هي مثال مصر لما تسعى به الإنسانية من هشات
علمية شاملة . بل لمن تجربة الخدمة العربية إن هي تحجب وبوطد أركانها على مر الأنام
— ومحاحها متوقف على معاودة العالم الخارجى بقدر ما هو متوقف على إحلاص أعضاء
الجامعة وقبولهم التصحيه — لهذا أن نكون مثالا يحتدى في ماطن مشاهمة من العلم ،
كأمريكا اللاتينية إلى شرر أممها ، أو ككاد تشتت ، في اللغة والثقافة والمصالح العسكرية ،
أو كأمم جنوب شرق أوربا ، التي شرك في الموقع الجغرافى والمصالح الاقتصادية ، وإن كانت
في الحس والثقافة . . ومن يدرى بل محاح الجامعة العربية يكون درساً حديداً في التنظيم
والعلاقات الدولية يصيغه لشرق إن ما قدم للإنسانية في تاريخه بطور من دروس

سليمان هزيع

أستاذ الجغرافيا بجامعة قاروق الأولى

حياة المهاجرين العرب في أميركا

ماذا استفادت وماذا تستفيد منهم البلاد العربية ؟

للمؤلف د. عبد الله بن عبد الله

في عقود معدودة من الزمن سيستقر الشرق العربي - سيستقر استقلالاً حقيقياً ، استقلالاً أدبياً روحياً تكون فيه علاقته مع العرب في الأدب والفن والعلوم الاجتماعية والمهنية - حتى والمعلوم الطبيعية - علاقات المصالح والسوي بالسوي . وفي هذه العقود المقبلة من الزمن قد يختصر هذا الشرق العربي طريقه إلى محنته القومية إذا هو أحسن استخدام كمورثته من الاختراعات الشخصية والمهنية ، كالتقنية والحكمة لعملية الفتنة التي أصبحت ملكة في أوف من المهاجرين العرب في البلاد الأمريكية - من كندا شمالاً إلى الأرجنتين جنوباً - حيث المهاجرين العرب في أميركا هي سحابة عربية بحجم مذهلة في تطور منذ لأوف من الماطن بالصاد في محيط يحسب اختلافاً ثانياً عن المحيط الذي نشأوا وترعرعوا فيه . ولم تكن هذا التطور وما نجم عنه من الاختراعات دائماً فاعداً مفيداً و كثرهما كبيراً منه . إن لم تكن الأكر - كان كذلك . حتى لنحذر لما أن نقول إن العرب في المهاجر الأمريكية كانوا ، بوجه الإجمال ، ماهدين ما يشده العرب من الحياة الجديدة في عهد استقلالهم . ومعنى هذا الحياة التي تفرص على عزة النفس وتنمى الحرية وتسمى وراء الاستقلال لاقتصادى وتحدد وراء رفح مستوى الحياة بين عامة الشعب ، وتقدم الماديات وتطلب الرخاء بالعمل وسد وطية الكلام وتنمى وتنمى وتنمى بالهوية البشرية الإنسانية . في جميع هذه الأمور كان المهاجرون ولا يزالون على ما يعتقد محبّين في ميدان الحياة ، إذا هيسوا بأحوالهم في الوطن القديم .

لذلك بحسب أن أول فائدة تجمع بين ما استفاده العرب وما تعودوا أو يرجي منهم أن يفيدوا به البلاد العربية هي مجرد نجاح العدد الكبير منهم في مهام الحياة المعقدة ، فقد جاء هذا النجاح دليلاً واضحاً وحجة ناصعة على القوى الكاسية في صدر العربي والإمكانيات الواسعة التي تبرز من عالم الغيب إلى عالم الحضور عندما تتوفر له الفرص والظروف المواتية فالمهاجرون

العرب ، إلى أجل غير مديد ، كانوا مقياساً لتحد الأقصى الذي تستطيع العرب أن يصل إليه في حروبها من الحرية يطلق فيه السوع من قيوده ويفصح لتعقيرية محل سيطرة ولا يحاصر بأقل شك في أن الأقطار العربية — وبالأخص لبنان وسوريا — مدينة حتى الآن في بعض محاسنها وقدمها لجهود العرب المهاجرين في أميركا وبلاهمم الشديد الذي أبدوه بأوطانهم القديمة في لبنان خصوصاً أصبح اليب لسقوط بالآخر لأحر رمزاً معوساً لهذا الدين ولهذا المجاح الذي أحرره المهاجرون في ديار عرسهم . وقد ساهم المهاجرون فعلاً بمشاريع عديدة في الوطن القديم منها اقتصادية تجارية تحت وصفا حيرة حتى سكا لا تحو قرية في لبنان وسوريا من أثر هذه المساهمة مهما كان وصيفاً . وسكني الإشارة إلى مشروع العمل ومسح لمربعة إحوار في طرابلس — لبنان — ومشروع الكهرباء لشمال لبنان الذي اشترك المهاجرون اللبنانيون الثمانيون في حسن — بسمايا — وغيرها بمسط وافر من أسهمه وشركة عمري ورومي للجلود في دمشق التي فست عيب بصيغ الاستعمار الفرنسي في حين أحدث تراحم صناعة الجلود لفرساويه .

لقد استفاد المهاجرون العرب في جميع المهنة في أميركا وأعادوا وست لأبوه هذا مستعداتهم وإفادتهم الأدب — وهي كثيرة . بل أود أن أوجه إلى استعداداتهم وإفادتهم المعنوية وهي أكثر أهمية وأشد مدى في الشؤون الأدبية أحد المتحفظون رجون إحوالهم المهاجرين وكثيراً ما يروهم في . وهذا ذكر الاستعدادات والإفادات المعنوية فلا معنى لذلك نعوي المهاجرين فوقاً حلقاً على المتحفظين أو أن ما يتعلق به المهاجرون من اصحات هو أفضل وأرفع شأن مما توارثه المتحفظون من الأخلاق طيبة سمجة حيلة بعد حيل ، بل معنى أن هناك صفات حنيفة بعد صالحة ومؤهلة للمحتاج انادي والاعني هي أوفر في المهاجرين منها في المتحفظين ، ونخص من هذه ثلاث صفات — (١) الحرية الشخصية (٢) الاتحاد (٣) التعاون وتنظيم هذه صفات أن نعوها عوامل نفسية لا يستغنى عنها في طلب نجاح . ولا أراي بحاجة إلى التويل في الكلام على كل منها وقد نشرت فصول من كتب عديدة في اللغة العربية عنها وعن غيرها في سبيل كلام عن مستقبل املاذ العربية ومطالب التقدم لها

(١) لقد كان الحق في الحرية شخصية والحرية من « اتحاد التركي » والاتقاص على شرائع حائرة كان درهم ، انظار على رعاة فرنسا ، من أهم الأسباب التي جعلت كثيرين في سوريا ولبنان — ولا سيما من المستحقين — على هجر دمشق والدرس الطب في وركوهم من

مبحار إلى « أمريكا » وكان ما وجدته المهاجرون عرب من معاني هذه الحرية ومبادئ ما أدركتهم ، فقد كان كثيرون ولا يزالون إلى بعض منهم أحياء يدعون رئيس الجمهورية الأمريكية — أكان ذلك في الولايات المتحدة أم المكسيك أم لارابيل أم الأرحميين — « ملكا » . وكانت دهشة هؤلاء عظيمة عند ما يتحدثون بنفوسهم أن « ملك » بلاد عظيمة كالولايات المتحدة مثلا يزل إلى ميدان الانتخاب ويخضع ويكافح ويسعى لاكتساب الأصوات بالوعود والتحليل والاستعطاف ، وأن الذي نصبه « ملك » أو ذلك في البيت الأبيض هو هذا المصوت أو صاحب السيط الذي يسيّر المرشحين إلى اكتساب صوته . وإذا وجد بلاعب في الانتخاب أو وجد من اشتم من « بيع » صوته ويخشي ورده رغم عرض نفسه على أساء حبه يعود ، كدسه في أنوطن قديمه يقوم يقع على حرد السبي لحرية أمتهم لكرامة الله لا على أمريكا . ومن ظواهر هذه الحالة أني تدل على سلامة عنصر العربي وقبول نفسه نظام الحرية التي كانت قدك من شيمه وتقيدته القليلة أني في المهجر استلغ هذه الحرية لشخصية أي وحدها في أمريكا واستعاد منها أكثر مما استعاد غيره من المهاجرين . فمادم من بعض انطامري في ذلك على عكس هذا الاستنتاج — من عصية مذهبية أو إقليمية أو انقياد أحمى صحفهم ، رعايا أسياس أو تلك بحريات حدودها مقاصده في الأوصاف مدعة — بحره بقول أن العربي المهاجر كان أكثر منها بالحرية الشخصية في أمريكا من غيره من شعوب سلافية مثلاً أو الإندونيسيين واليابانيين أو لأنان أقربي العهد من عربهم وفوق ذلك يمكن عرب المهاجر مقلداً في سبانه الحرية لشخصية . فقد عدل هذه الحرية عارسخ في قراره ومنه من الاحترام بشرع الأدنى والتهيم بالخدمة القومية والمبادئ الإنسانية لشامة أي يوارثها عن آفانه وخدمته عوداً إلى خرائط تاريخ . فكل من المهاجرين العرب احناء والباحثين والمحمول الذين بدوسون حواء عربهم عرباً ثين في سارعهم إلى منح لمي مهاجرون عليه تهافت الخداع في انصاع . وهذه حقيقة اعترف بها الأمير كيون بنفوسهم وبهواؤهم بحرمين « سوريين » — وهو لاء الذي كان يطلقه الأمير كيون الثمنون على سوريين واليسيين معا في عهد قريب أما في أميركا اللاتينية فقد شاع استعمال لسة لخدمة لموطلة « وركو » أي أراك

(٢) كان الاجتهاد ظاهرة الدرة في بدت بيان التحليل متحصنة وفيها تقي شاعر البين حافظ إراشيع في قصيدته المشهورة عن مهاجرين التي يقول فيها —
أسطولهم أمل في البحر مركل وحشهم عمل في لبر مقتر
رادوا الساهل في الدنيا فو وجدوا إلى الهجرة ركباً صاعداً ، ركبوا

ويقول كثيرون إن هذا الاجتهاد الذي أظهره المهاجرون من سورية ولسان في أظهرها
 حرماً منه في الوطن القدم سكار ذلك الوطن قد عمر وتقدم منذ عهود من السنين فيؤلاء
 يسور أو يماسون أن الوردع أو الدرع بذلك الاجتهاد كان معقوداً في الوطن القدم إلا
 في مدة السنين الأخيرة . نفس الذي « شغل نفسه » ويتفتح شعر اجتهاده كالذي يشتمل
 لما كم مستند يستولى على حتى يده وعرق حشفه . وقد كان يذكّر أبناء هذا الجيل
 عن آباءهم أو حدودهم في سوريا وغيرها من بلاد مملكة الفينيقية سهرت فيه علاج من
 « بطوبى » لأرضي عداً للزراعة باسمه خوف من عواصف « لعشر » . فهاجر الأمر في عندما
 أم هذه الديار الأميركية في أواخر القرن التاسع عشر وحدث أن كل ما حسب يده من مال
 وروى — عدا صرته كانت آشد حقيقة لا تذكر — هو له « حلال رلال » خذ وحبس
 واستمعى ، وها هو عليه ما أرسله إلى أهله في الوطن القديم ووجد أيضاً عمل فرصة مقسما
 وميدان عمل الحر مفتوحاً أمامه ونسيبيلات حجاج متوفرة لديه وببيت فيه مملكة الاعتماد
 على نفس وشق طريق العلاج بصرته ودهنه في بلاد كانت ولا تزال « فردوس الماهدين »
 وكان هذا الاجتهاد نفسه — أو بالأحرى نتيجة هذا الاجتهاد وحلاوه مدفعه وحرية التمتع
 بثمره — اراعاً لمضى آخر من الاجتهاد ، يعني به الاستساض وانصراف قوى الإنسان إلى أمور
 أخرى غير ما اعتادها ، فانسوى أو انساني المهاجر الذي لم يتمود في قرنته صميرة أكثر
 الأحياء إلا علاحة والزراعة ومشق وروى ثوب ربة دود غر أصبح بين يده ومعهها
 « مانع كشة » يعمل في صدوفه عشر أنواع مصنعة هي م يكنى يعرف أمتاها قبلها
 ثم بعد أن يجمع قليلاً من رأس لال يفتح دكانه صميرة جميع « الحودة » ثم يحرق كبيراً
 للأقمشة أو حاقوناً للمدانة وأكولات وهد زمل ترمى أنواع شعرات والحصايات
 وهي هي يصطلع بها المهاجرون عرب يوم في الآلات شجده فيه مدحش من موعها .
 يذكر مصاصها على سبيل المثال نجا ، مبرر ، وخروجه « دكا » وصمغها في معمل
 خاصة في فرنسا ، طبخ ونسجها وأحياناً في صين حيث شمر منها لأفوف من الرجال
 ومساء حساب شعرات لمورين واللباسيين حياكة الأقمشة الخيرية — حياكة الحاكيات
 وسكرات — صمغ لعلاتن والعدال نسائية — صمغ شمر مائة امرأة وسورية
 — نخرة مدله على أنواعها — نخارة شجن موكه والخضر ماحنه المقاولات لتعبيد
 انطرافات وماء اسارل استقيم على العزول ومداراب طبيعية — طبخ — الهندسة
 — الكيمياء — المحاماة — التاريخ — العلوم الاجتماعية — الفلسفة — اللغات — العلوم

الإلهية - الصحافة - التأليف - الموسيقى - الرسم - المحب - الرقص .

وقد ورد كثيرون من مهاجرة في كل من مراهق الحياة والمهنة هذه وفي كثير مما لم يذكره . وقد أتت في كتابي « لاطقون » عباد في أميركا^(١) على عدد من هؤلاء المرحومين والثائقين من المهاجرين العرب .

وبدا صريحا صريحا عن « من طغروا من أمجاد إلهيهم وأمر بعدد من المهاجرين العرب كثيرين من الذين أفادوا وطهم الحديد وأهدوا أوطانهم لتدبيرة سحاحهم الأدنى الروحي . فكان بين هؤلاء من قرب فهم الروح الشريفة العربية إلى أدهان الأمير كيلى كجران جميل حران صاحب كتاب « السى » وكتاب « يسوع المصري » وغيرهم من التأليف الصوفية البرقة لشعر « التربة - وأمين لريحان المعروف في جميع البلاد العربية بتأليفه الممددة عن البلاد العربية وملوكها وإبراهيم منرى الرحمان صاحب كتاب « المسيح المورى » وكتاب « حكام من الشرق وحكام من الغرب » والأستاذ غيليل حتى صاحب كتاب « تاريخ العرب » وغيره من التأليف لتاريخية عن العرب . وأهد بعض من هؤلاء المؤلفين وغيرهم من كتبه باللغة العربية « كارتخاسات » « ربيعة لمور » « لأمين الرحمان » « والأحبة المتكثرة » و « دمه وانسانه » حران « والآباء والسنون » لميمه الخ . وفيها كلها انتفاص على روح الرحمة والتمصب والاستعداد . وزانا بغير حاجة للتعبير بالشعراء العرب الذين سعوا في الديار الأميركية ورددت أمدية الأدب والدارس في عواصم العالم لمرى قصائدهم وسارت بها ركان كايلى أنى مامى وسب عريضة ورشيد سليم المورى المعروف بأشعر المورى ورشيد أبوب وياس عريضة وبدره حداد وفورى وشقيق ميموف وسمة فاران وشكر الله الحر وغيرهم . جميع هؤلاء معجور روح الحرية في أشعارهم وعكسوا على صفحات دواوينهم فكره أميركا التي لم تنس بعد الآن فكره أفندية حمرافية بل فكرة روحية قد تمجدها في أواسط أفريقيا ومجاهل آسيا وقد لا يفتقر عليها في غاهل نيويورك ومماور شيكاغو . ونشط بها المزار لو حشا بعدد جميع اساحجين الماردين من المهاجرين العرب في المهاجر الأميركية بل يستحيل علينا إحصائهم لأن بالصبط ، وكما نستطيع أن نقول بلا وجل أو تردد إنه لا يكاد يحصى مرفق من مراهق الحياة أو « حية من نواحي الاجتهاد في أميركا لا تمثل فيه عربى أو اس عربى مهاجر . ثم أقل من ستة توى في

(١) نشر هذا . مكتب « معهد شؤون عربية الأميركية » في نيويورك ، وترجمه إلى العربية موسوع وشرح الأدب العربي « يعقوب عويطات » المعروف بالمدوى نظم .

باريس رحل اسمه الدكتور حنايل طرنة ابن مهاجر لسانى كاد يصل إلى رئاسته جمهورية كولومبيا . وفي جامعة كورنيل عالم بالهندسة الكهربائية نشرت عنه حريدة التيمر اليووركية مقالة احمارنة مطولة مدد بصع سموت لما اكتشف خلا رصاصى بمفصلة هندسية كهربائية فيل بها ألحور الرياضيين مدة أكثر من مئتي سنة . وهو الأستاذ ميشل مانطى . وفي نيويورك مهاجر عربى آخر أحضر آلة لتدوين الأصوات واسعة الانتشار . وفي هيوستن سكساس — مهندس جيولوجى اكتشف طريقة لتسهيل استخراج نفوت من الأرضى الرملية . وفي لكسينى أوكلاهوما طبيب من بلدته حبيبى مرجميون اسمه الدكتور ميخائيل شدد صاحب فكرة ول مستشفى نفوت فى أميركا وهو يدعى « أما الطب لتعاون » فى هذه البلاد . ولواردا ، انجوى وشوسى فى عبد الموسوع ، ألأنا عشرات السبعينات بذكر هؤلاء المهاجرين وأولادهم بين استندوا من هجرهم وأودوا أولادهم احديده وأوطانهم القديمة . إن لم يكن شىء سوى ما اكسبوا هذه الأوطان من السمعة الحسنة ، لكفى .

(٣) التعاون والتنظيم : بارعم من أن المردية تملك شواعر العربى بقيم والمهاجر على السواء — فقد علم مصانف الدهر العرب أهمية التعاون والتفهم . وكان المهاجرين مهم نصيب من ذلك . لم يتوصل المهاجرون العرب إلى تأسيس شركات مساهمة كبرى وأكثر ما نجد من شركات هؤلاء المهاجرين هو من نوع الشركات العائلية يحصر أسهمها بأخوة وأسماء . وهذا لا يعنى أن عدداً من المهاجرين العرب لم يساهموا فى تأسيس شركات أميركية . على أن التعاون الذى نحن فى صدده ظهر بين المهاجرين العرب فى مشاريعهم الخيرية وجميعهم الكرى ، فى الراريل حيث يتجلى هذا التعاون فى أمهى مظاهره نجد « كاييتس » عربيتين ومسنى وداراً للمعجر وأندية بمخمة مهابدى ارضى فى سان باولو الذى بعد من نجف تلك المدينة العظمى . ولا غرو فى ذلك فإن حاليه سان باولو امرية هى كبرى الخاليات العربية — خارج العالم العربى — ببيع عددها قوى الأرميين ألف نفس وتجاره تلك المدينة بالأمشة يكاد يسيطر عىب المهاجرون من أصل عربى بل أن شركة باعت إخوان بعد من أكبر الشركات التجارية الصناعية فى الراريل ولأسباب لا يريد أن نبحث فيها فى هذا المقام لم يتوقع المهاجرون العرب فى اولايات المتحدة فى مصر التعاون عىل ما يوفق إخوانهم فى أميركا الانليسية . هذا استئناسا بعض الجمليات الخيرة و « أحلاف » الجمليات سورية لسانية تشمل اولايات المتحدة كلها ونصح فيها سن العربى « سميع عجيجا ولا ترى

طحيثا « لا يستطيع المهاجرون العرب في الولايات المتحدة أن يقدّموا بما يحق لإخوانهم
 حقوقي من التراضي أن يقدّموا له في معبر التناوب والاتحاد . على أن مهاجري الولايات
 المتحدة لم تهمهم الاستفادة من التخصيم والكفاءة الأميركيتين . فقد قطع بها السورون
 والليمانيون نصفا عربيا حتى فاق فيها بعضهم الأميركيتين من الأصل المكسوي . ويصح
 هذا بالأخص في أساء . خيل التي تضع « مود أوداي Mode Of Day » (أي موسعة
 اليوم) الأس من موقوف ورجونه في لوس انجليس . له أو كان له مسد . سبع سنوات -
 ٣٥٠ علا تنبع بة منه من جميع أنواع الأسرة السائبة . بيه العتدة التي وقد فتن
 للولايات الأخوة . لآرمه الاقنع بيه اسكري في هذه اسلاد أن لا يبيعوا بضائعهم بل
 بصورتها بالأساء في محزن شهيد انتخاب . بل لا يبيعوا من الثياب السائبة إلا ما يسمع في
 معيهم . ويصنعهم هـ وعرو على أساء . المحارن كثيرا من رأس مال وكفلوا بضائعهم من
 الحسارة إذ ما أفسد المحرر أو حاول الإفلاس . وهذه الشركة ساه كبرى بأربعة عشر نطاقا
 ومكتب ترمي مقد لا مافات التجارية من أصحابها وأصحاب اعازن لتي تعامل معهم . وفي
 دالاس (مكس) أعطت شركة جميع المصنوعات ارحية في العام وهي ملك مهاجر لغاني
 وله ثلاث معامل أحدها في دالاس نفسها بعد من أنق وأطم وأتعب العامل من بوعه في
 جميع البلاد ، الهواء في داخله معدّل لـ Air - Condition ، وعرفه صوره باليون Neon
 الأخرى التي لا تؤدي الميون وفيه مطعم ومستوصف . وفي حاكسونيل (فلوريدا) أجل
 معمل لتعطيف ثياب وصاحبه أيضا لسانى .

يسأل القارى « ولارب قالا : » لقد سمعنا كثيرا عن قدم المهاجرين العرب ولكن
 بماذا يعيد هؤلاء المهاجرون أوطانهم أو عاد تستفيد منهم هذه الأوطان ؟ والجواب على ذلك
 في رأينا توقف بالأكثر على الدول والشعوب العربية لا على المهاجرين بومهم المهاجرون
 في أميركا قد ولوا أو كادوا ، وأولادهم فما سمعوا عن العالم العربي ما تشهد بحيلاتهم بالشوق
 إلى « الوطن القديم » فقد أصبح هـد . الوطن عندهم أرض خيال كما لو أنك أردت من
 صفحات « أم لينة ويلة » فإذا شئت أن تستفيد مما اكتسبه المهاجرون وأولادهم وأن
 تستعمل اختياراتهم فعبدا أن نخرج مساقا واسعا لتخفيف هذه الأمية - مساقا تهديدا
 يقرب بين المهاجرين والمحتفين - مساقا مرسكراً إلى النعمة المتبادلة والريح المعرى
 واحتصارا من وقت القارى أثنت فيم تقي في من هذه المسحة بعض الاقتراحات التي
 تكشف للقارى ما أعنى من هذا المساق .

في الأدب والفنون

من المشاريع التي يجب أن تتحقق بوقت قصير تطويع أوامر الصداقة بين المهاجرين وإحواشهم في العالم العربي وصنع كتاب في « أدب المهجر » يضم إلى حرتين : الجزء الأول منه يحتوي على مستحبات تربية لأفضل ما كتبه أدباء المهاجر الأميركية بالعربية والأمكلمة والأسبانية والبرتغالية مد ترجمتها إلى العربية . و الجزء الثاني يحتوي على أفضل ما نظمته شعراء المهجر من القصائد الخالدة . ثمرد نشر كتاب كهذا بعيد الأقطار العربية ست روح جديدة في الأدب العربي أو تحرير تلك الروح . هذا عدا ما يطوى عليه نشر الكتاب من تشجيع لأدباء المهجر واعتراف بمقربتهم والتعارف بينهم وبين الأدباء في العالم العربي .

وما تفرحه في هذا الباب أيضاً وصنع كتاب في تاريخ المحجرة العربية إلى العالم الجديد وإسرائيل وأفريقيا الجنوبية والعربية . وهذا الكتاب علاوة على أنه تحفة محد ذاتها — إذا تحقق نشره — سيكون من أهم عوامل التعرف بين المهاجرين العرب والعالم العربي . وقد يرعى هذا الكتاب أو يشمه كتاب آخر سيعد سلس العبارة عن حاصر العالم العربي بالانكليزية والاسبانية والبرتغالية .

ويعين ما المقام عن عرض افراحات أخرى في هذا الباب كإشياء معرض للمهاجرين في بيروت مثلاً بإشراف الجامعة العربية يضم أفضل ما أنتجه المهاجرون من أدب وفن وصناعة . ثم هناك افراح آخر يحذر الجامعة العربية لاهتمام به وهو سادل رجل الأدب والصداقة والتفكير بين العالم العربي والندار الأميركية وسطيح سياحات خطبية لأجل هذا المعرض ودعوة الحميات الكبرى لعقد اجتماعاتها السنوية في حاصرة من حواصر العالم العربي كل سنة . ومما يستدعى استعداداً كبيراً وشطلب مالياً وديراً ويحذر التفكير به منذ الآن تأليف شركة للترجمة ونشر أفضل ما يصدر في العالم العربي من كتب الأدب والتفكير الاجتماعي والفلسفة والسياسة وغير ذلك في دور النشر الأميركية بالاتفاق مع أصحابها .

في العلوم الصرفة والعلوم التطبيقية

لقد أصبح بين المهاجرين العرب عدد كبير من الاختصاصيين في العلوم المختلفة يستعيد منهم العالم العربي استفادة محسوسة . محذر بالجامعة والكيان العربية لاهتمام بدعوتهم

لإلقاء محاضرات أو أن تطلب الحكومات العربية خدماتهم في دوائرها المختلفة . على أن هناك فئة من الخبراء الذين اكتسبوا خبرة واسعة بالممارسة السليمة في أحيان كثيرة إلى علم صحيح وإن لم يكن مما يحمل أصحابها من العناء . حد لك مثلاً واحداً يكفيك مؤونة التطويل .

أعرف في وشيتا فولز Wichita Falls وويلر Tyler (تكساس) عدداً من الاختصاصيين - من أبناء المهاجرين العرب - في التفتيش على المرور وحفر آبارها - استخدام هؤلاء العميين في استئجار المرور لحساب الحكومات العربية وتفتيش اتفاقات معقولة بمود على الخبراء بارخ وسبق ملكية المرور بأدى أصحاب البلاد ، أمر على أقصى ما يكون من الأهمية لاسي في هذه الأيام الخرجة التي يهدد العالم العربي بانهيار اقتصادي حار . ومثل ذلك يقال في استخدام كثيرين من المهندسين والكيميائيين والبيكاسكيين من أبناء الجيل الثاني من المهاجرين . أعرف أحدهم حراً مصنع السلاح من نوع بترلر اشتدته حكومة الولايات المتحدة أثناء الحرب الأخيرة بروج إنتاج مصنع سلاح عظيم في كندا .

تأسيس معامل مشتركة

وهنا نتقدم إلى اقتراح فيه فائدة لمسوى فرصة الناس وهو تأسيس معامل صناعية كبرى يشترك فيها المهاجرون بأموالهم وأيديهم وعقولهم ولا يخافوا اشتراكهم في تأكد المهاجرون العرب وأولادهم من سبب الأمن والسلام والحريه والاشخصية في البلاد العربية فإنهم سيقبلون بذلك إعطاء على لاسي في هذه الشركات اشتراكاً بغير عيب . وعلى الأقطار العربية كافة ، الرغح الوفير فادعهم العربية يستطيع أن يحل الأزمات والمصاريف والحكومات العربية لكي يؤمروا شركات صناعية وعمرية كبرى تشجع المهاجرين بالإعلاء في الصحف المنجزة على شراء أسهمها واستخدام الفهم فيها . ومضى بدأت الأرباح تنسحب إلى حيوب المهاجرين فتدفع سبل من رؤوس الأموال الأميركية العربية غير منقطع للاستمرار في هذه الشركات ويعود إلى الأوصاف العربية مثل بل ألوف من المهاجرين ذوي الاختصار أو اسع والمعرفة التكنيكية والثقافة العالية الذين لم تكن الأوطان العربية بحاجة ماسة إليهم على الأقل تزداد على ودحاً بوجودهم

ولأجل تحقيق هذه الافراحات وعمرها تمامي لنهنا لابد للجمعية العربية من إنشاء مركز رئيسي في نيويورك ومثله أو مروع له في عاصمة المكسيك وسان دييغو ووسايرس . فيكون هذا المركز الرئيسي أو المكتب العام الخلفة المفوضة لربط هذه الموامل الانصالية

مما ونسيفها وتنظيمها . وقد يدخل في هذا السكت أو يورثه مكتب آخر فدعانة العربية
بين الشعب الأميركي وفي هذا الاتجاه أيضاً تجد عدد من الصحفيين ولأدباء الأميركيين
العرب الذين تستفيد منهم الدول العربية .

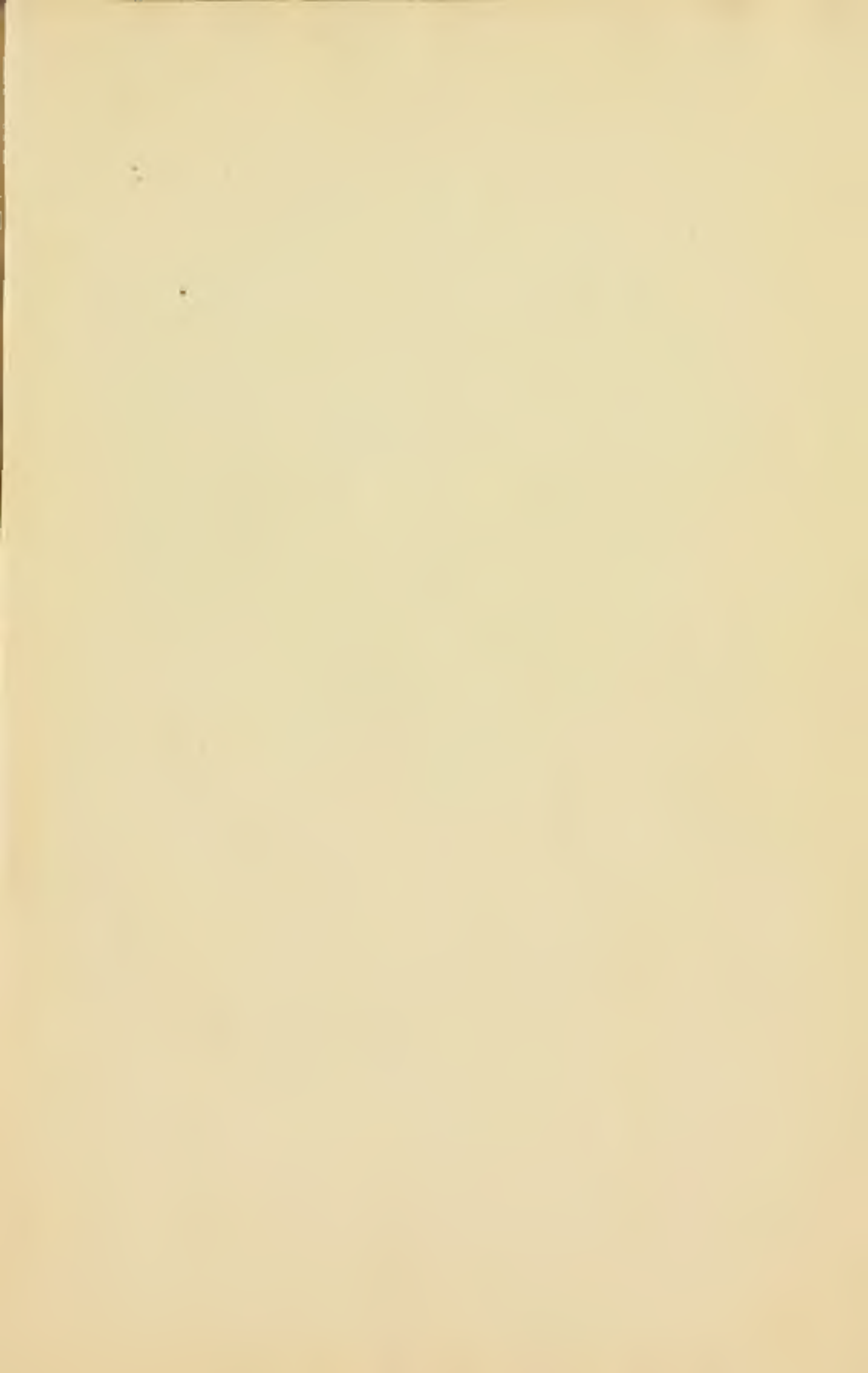
هذا ملخص وجيز لموضوع واسع لم يتم إلا تأطرافه ولم يتوخ منه إلا تسييه الخامة
العربية وبمت نظر دوى الشأن من رعماء العرب إلى وجوه أهميته المتعددة

صبيح إبراهيم طنب



A 55







0026813165

956
L4748
1

BOUND

APR 30 1956

